الشهادة لالوهية المسيع (ضد الآريوسيين) المقالة الأولى

للقديس أثناسيوس الرسولى

www.christpal.com

مؤسسة القديس أنطونيوس

مــــركز

دراســات الآبــاء

الشهادة لالوهية المسيع

(ضد الآريوسيين)

المقالة الأولى

للقديس أثناسيوس الرسولى

عربها عن اليونانية

الأستاذ

الدكتور

صموئيل كامل عبد السيد **نصحى عبد الشهيد**

ديسمبر 1984م

كيهك 1701 ش

اسم الكتاب: الشهادة لالوهية المسيح

(ضد الآريوسيين)

اسم المؤلف: القديس أثناسيوس الرسولى

اسم المعرب: الأستاذ صموئيل كامل

والدكتور نصحى عبد الشهيد

اسم الناشر : مركز دراسات الآباء – بيت التكريس

12 شارع الخندق حدائق القبة – القاهرة

ت : 836389

اسم المطبعة: دار يوسف كمال للطباعة

2 شارع المدارس بالمليحة – حدائق القبة

ت : 823578 – 827074

رقم الإيداع: 7350 / 1984

الترقيم الدولى

مقدمـة تاريخية ولاهوتية

كان الشغل الشاغل للقديس أثناسيوس وبل عمل حياته كله الذى من أجله كرس كل وقته وكل قواه وكل جهوده هو "الشهادة لالوهية المسيح" التى أعتبرها بحق حجر الزاوية فى بنـــاء الإيمان المسيحى كله، والتى بدونها لم يكن يتصور حدوث أى فداء أو خلاص للانسان. ومـــن أجل هذا الحق "ألوهية المسيح"، صرف أثناسيوس كل وقته وبذلك طاقاته، ولأجل هـــذا الحـــق أحتمل العزل من كرسيه البطريركى وأحتمل النفى خمس مرات بلغت مـــدتها معـــاً عـــشرون عاماً، بل ولاجل هذا الحق كان مستعداً فى أى لحظة أن يسفك دمه بكل سرور.

وتعتبر "المقالات الأربعة ضد الآريوسيين". هى الكتاب الرئيسى من بين "كتابات القديس أثناسيوس اللاهوتية"، التى يدافع فيها عن ألوهية المسيح ضد البدعة الآريوسية.

تاريخ المقالات الأربعة:

طلب القديس سرابيون (أسقف تيميس بشمال الدلتا صديق القديس أثناسيوس والمعاصـــر له) فى رسالة بعث بها إلى القديس أثناسيوس، طلب منه ثلاثة أشياء هى:

1- تاريخ للأحداث الجارية (أى تاريخ البدعة الأريوسية المعاصرة وقتئذ).

2- شرح ومناقشة للبدعة الآريوسية ورد على أفكارها.

3- وتاريخ دقيق حول موت أريوس.

وفى رده على سرابيون يكتب أثناسيوس تاريخ موت أريوس، ثم يرسل لـــه بخـــصوص الطلبين الأول والثانى ما كان قد كتبه "إلى الرهبان ضد البدعة الآريوســـية" (رســـالة 2:54)، حينما كان منفياً ومختبئاً فى وسطهم (فى الفترة ما بين 358 – 362م). وعلى هـــذا الأســـاس يعتبر علماء الباترولوجى أن القديس أثناسيوس يقصد بهذا كتابيه إلى الرهبان وهمـــا "تـــاريخ

الآريوسيين"، "المقالات الأربعة ضد الآريوسيين". وبذلك يعتبرون أن التاريخ الذى كتب فيه القديس أثناسيوس المقالات هو فترة نفيه الثالث، أى ما بين 358–362م. ويتضح من كلام القديس أثناسيوس نفسه أنه لم يكتبها ويقدمها معاً مرة واحدة. إنما قدمها على فترات فى تلك السنوات (مقاله2 فصل1).

محتويات المقالات الأربعة:

يقدم القديس أثناسيوس فى المقالة الأولى (وهى التى بين يدى القارئ الآن)، ملخصاً لتعليم البدعة الآريوسية كما جاءت فى كتاب "ثاليا" تأليف أريوس، ثم يقدم دفاعاً عن تعليم مجمع نيقية المسكونى ضد الآريوسية بأن المسيح ابن الله هو أزلى وغير مخلوق وغير متغير، وعن وحدة الجوهر أو المساواة فى الجوهر الواحد بين الآب والابن، ويفند اعتراضات الآريوسيين على هذا الإيمان النيقاوى الأرثوذكسى. وبعد ذلك يتناول بالشرح والبحث بعض نصوص الكتاب المقدس التى كان الآريوسيون يحولون معناها للطعن فى ألوهية المسيح، فيقدم شرحاً مفصلاً ودقيقاً للنصوص الكتابية مبرهناً بواسطتها على صحة ايمان الكنيسة بألوهية المسيح: فيشرح:

أولاً – فيلبى 9:2،10 "لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً.

ثانياً – مزمور7:45،8 "من أجل ذلك مسحك الله الهك"

ثالثاً – عبرانيين 4:1 "صائراً أعظم من الملائكة..".

وفى المقالتين الثانية والثالثة يكمل شرح النصوص: (عبرانيين 2:3)، (وأعمال 36:2)، (وأمثال 22:8) ونصوص من إنجيل يوحنا حول بنوة المسيح لله وعلاقة الابن بالآب والنصوص (متى 18:28)، (يوحنا53:3)، (مرقس32:13)، (لوقا52:2)، (متى39:26، يوحنا27:12) حول تجسد المسيح.

وفى المقالة الرابعة يكمل القديس أثناسيوس دفاعه عن أزلية "الابن الكلمة" وعدم مخلوقيته. ضد بدعة أريوس وضد كل بدعة أخرى مثل بدعة سابليوس وغيرها من البدع.

لقد صارت هذه "المقالات الأربعة ضد الآريوسيين" هى المصدر الذى ظـل المـدافعون عن لاهوت المسيح ينهلون منه على مدى القرون الماضية وحتى الآن. وقد استطاع أثناسيوس بقدرته المتزنة الثابتة على الإمساك بالحقائق الأولية خاصة فيما يتعلـق بوحـدة جـوهر الله، وببنوة المسيح الحقيقية الطبيعية للآب، وقدرته على النفاذ إلى اعتراضات الآريوسيين وتحليلها ودحضها. وبتتبعه للمنطق الآريوسى إلى نهايـة نتائجـه اسـتطاع أثناسـيوس أن يبـين أن الأريوسية فلسفة متناقضة مضادة للعقل ومضادة للتقوى معاً وأهم ما يلفت النظـر فـى هـذه المقالات الأربعة "هو امساك القديس أثناسيوس الثابت والشديد "بالجانب الخلاصى" فى دفاعـه عن ألوهية المسيح. فهو يؤكدد على الأهمية القصوى لالوهيته لأجل حقيقية الفداء ولأجل نوال النعمة. ولأجل معرفة الله التى توهب لإنسان الخاطئ، بواسطة المسيح (انظـر مقالـة 35:1، 50:49، ومقالة 67:2، 69،70).

أن تعليم القديس أثناسيوس اللاهوتى إنما يرتكز على أساس فكرة الفداء: أى أن شـركتنا مع الله، ونوالنا التبنى كأبناء لله ما كان ممكنا أن يتحقق لو لم يعطنا المسيح مما هو خاص بـه (مقالة16:1).

مصار المقالات الأربعة والترجمة:

أصل النص اليونانى ظهر فى المجلد 26 من مجموعة الآباء باليونانية لمينى (MG 26 : 12 – 526) .

ونفس النص اليونانى الذى تمت عنه هذه الترجمة إلى العربية هو النص المنـشور فـى "سلسلة آباء الكنيسة" E.II.E.

"كتابات أثناسيوس الاسكندرى الكبير مجلد 2".

"دار نشر الآباء" تسالونيكى 1974.

وهو يحوى النص اليونانى القديم فى الصفحة اليسرى ويقابله فى الصفحة اليمنى ترجمة إلى اليونانية الحديثة.

كما تمت مقارنة الترجمة، بالترجمة التى أنجزها سنة 1844 العالم الكاردينال نيومان Newman بالانجليزية والمنشورة بالمجلد الرابع من المجموعة الثانية من سلسلة آباء نيقية وما بعد نيقية.

وفى مقدمة "المقالات الأربعة" الذى نشرته "دار نشر الآباء بتسالونيكى، توجد مقدمة هامة عن "اريوس والآريوسية" لعالم الآباء المعروف الاستاذ ب. خريستو P.christou استاذ الآباء بجامعة تسالونيكى كانت قد نشرت أصلاً فى مجلة "ثيولوجيا .O. H.E" اللاهوتية التى تصدرها الكنيسة اليونانية. وقام "الاستاذ صموئيل كامل" بتعريبها عن اليونانية، ووضعناها كملحق فى نهاية هذا الكتاب.

ويسر "مركز دراسات الآباء" أن يقوم بنشر "المقالة الأولى ضد الآريوسيين" للقديس أثناسيوس الرسولى، وبمشيئة الله سيقوم المركز بنشر المقالات الثلاث الباقية بالتتابع.

وللمسيح إلهنا الحى المتجسد لأجل خلاصنا كل مجد وسجود وتسبيح مع الآب والروح القدس الإله الواحد الآن وإلى كل الدهور.. أمين.

بيت التكريس لخدمة الكرازة — دكتور

فى 13 ديسمبر – (4كيهك) 1984 — نصحى عبد الشهيد

عيد استشهاد القديس اندراوس الرسول

الفهـــــرس

صفحة

الفصل الأول :

مقدمه

سبب الكتابة :

1- بقدر ما نأت وابتعدت الهرطقات عن الحقيقة، بقدر ذلك ابتدعت واستنبطت لنفسها جنونا وخبلاً بات جلياً واضحاً. وصار كفر وتجديف هؤلاء الناس ظاهراً بيناً للجميع منذ القدم. لأن خروج الذين ابتدعوا أمور الخداع هذه، عنا – من الممكن أن نثبته وتوضحه كما كتب المغبوط يوحنا (1يو19:2)، فان فكر مثل هؤلاء القوم لم يكن له وجود قط قبل ذلك، كما أنه لا يتفق مع ما نعتقده نحن الآن ونؤمن به. ولذلك أيضاً فكما يقول المخلص، فإن الذين لا يجمعون معنا هم يفرقون مع الشيطان (لو23:11)، متعقبين النائمين، حتى إذا نفثوا فيهم سمهم المهلك يضمنون أنه يشركونهم معهم فى الموت.

وحيث أن واحد من الهرطقات، وهى الهرطقة الأخيرة – التى ظهرت الآن كتمهيد لضد المسيح (المسيح الدجال) – وهى التى – تسمى الآريوسية، وإذ هى باطلة وخبيثة وماكرة، فقد لاحظت أن أخواتها من الهراطقات الأخرى الأقدم منها، قد فضحت جهاراً، ولذلك فأنها – مثل أبيها – الشيطان – تظاهرت بلبس كلمات الكتاب المقدس، لتحاول الدخول مرة أخرى إلى فردوس الكنيسة لكى تظهر كأنها مسيحية بغير وجه حق، وأن تخدع البعض لكى يفكروا ضد المسيح، معتمدة على أباطيلها الزائفة. إذ ليس فيها شئ من الصواب. وها هى قد أغرت بعض الحمقى من هؤلاء الذين لم يهلكوا فقط بالسماع بل أيضاً – مثل حواء – أخذوا وتذوقوا، حتى أنهم – بسبب جهلهم وعدم درايتهم صاروا يعتبرون المرحلوا (أش5:2) وأخذوا يطلقون على هرطقتهم الشنيعة أنها حسنة. ولهذا أعتقدت – بعد أن طلبتم منى – أنه صار ضرورياً أن أفتت قوة درع هذه الهرطقة الدنسة، وأن اكشف عن نتانة حماقتها، وعفن وقاحتها، لكى

يتجنبها الذين ما زالوا بعيدين عن هذه البدعة، وأيضاً لكى يندم الذين خدعوا بهـا، فيتوبـوا. ولكى يدركوا بعيون قلوبهم المفتوحة أنه كما أن الظلام ليس نورا، والكذب ليس حقيقة، هكـذا فليست الآريوسية بدعة حسنة، لكن بعض هؤلاء أيضاً الذين يسمون مـسيحيين، كثيـراً مـا يخدعون لأنهم لا يقرأون الكتب المقدسة، ولا يعرفون المسيحية قط، ولا يدركون الإيمان بها.

الآريوسية مختلفة تماماً عن الإيمان الحقيقى:

2- أى شبه رآه هؤلاء إذن، بين هذه البدعة وبين الإيمان الحقيقى. حتى أنهـم يقولـون بأنه لا يوجد شئ ردئ فيما يعلمه أولئك (المبتدعون)؟ ومعنى هذا فى الحقيقة، أنهم يعتبـرون قيافا مسيحياً. وأيضاً لا يزالون يحسبون يهوذا الخائن بين الرسل، ويقولون عن أولئـك الـذين طالبوا بإطلاق سراح باراباس بدلاً من المخلص، أنهم ما اقترفـوا أى أثـم، وهـم يمـدحون هيمينايس والاسكندر[(1)] على أعتقادهما القويم، ويعتبرون أن الرسول يكذب بخصوصهما.

إلا أن هذه الأشياء لا يستطيع أن يحتمل المسيحى سماعها، كما أن ذلك الذى يجـرؤ أن يتحدث بمثل هذه الأقوال، لا يمكن إعتباره سليم العقل والإدراك.

فبالنسبة للآريوسيين يعتبر أريوس لديهم بدلاً من المسيح، مثل مانى عند المانويين، وفى مقابل موسى والقديسين الأخرين عندهم سوتيادس[(2)] الذى كان يهـزأ بـالاميين (الـوثنيين). وكذلك ابنة هيروديا[(3)]. لأن آريوس وهو يكتب الثاليا[(4)]. كان يقلد الأسلوب النسائى المنـسوب إلى سوتيادس. وكما أبهرت أبنة هيروديا هيرودس برقصها، كذلك أريـوس سـخر الـرقص واللهو فى التشهير والافتراء على المخلص.. وهو قد فعل هذا. من ناحية لكى يموء ويـضلل عقول هؤلاء الذين انغمسوا فى الهرطقة لدرجة الجنون. ومن ناحية أخرى لكى يبدل اسم رب المجد إلى شبه صورة إنسان زائل (رو23:1). وهكذا يتخذ مشايعوه اسم الآريوسيين بدلاً مـن المسيحيين ويكون هذا دليلاً قاطعاً على كفرهم.

الأريوسيون ليسو مسيحيين:

فلا تدعهم أذن يجدون لأنفسهم عذراً. ولا تدعهم يتهكمون مفترين على هؤلاء الذين هم ليسوا فى الحقيقى مثلهم. فيسمون المسيحيين بأسماء معلميهم، لكى يظهروا هـم أيـضاً بهـذه الطريقة أنهم مسيحيون[(5)]. ومرة أخرى لا تدعهم يمزحون، وهم يستحون من اسـمهم الـذى

جلب عليهم مثل هذا العار والخزى، فلو كانوا حقاً يخجلون فليغطوا عريهم. أو فليتنحوا عن ضلالهم. لأنه لم يحدث قط فى أى وقت. أن أتخذ الشعب المسيح أسماء أساقفتهم ليكونوا تابعين لهم. بل أتخذوا اسم الرب وحده الذى به نؤمن ولذلك فنحن أيضاً الذين أتخذنا تعاليمنا من الرسل المغبوطين الذين خدموا انجيل المخلص. فإننا لم ننتسب إلى أسمهم ولم ندع به. بل نسمى فقد باسم المسيح ولذلك فنحن مسيحيون وهذا هو لقبنا.

أما أولئك الذين ينتمون إلى أخرين يأخذون منهم العقيدة التى يعترفون بها. فأنهم من الطبيعى بالنسبة لهم أن يحملوا اسماءهم أيضاً. لأنهم قد صاروا ملكاً لهؤلاء المعلمين.

3- وحيث أننا جميعاً من المسيح يقينا. لذلك فأننا ندعى مسيحيين. وقديماً عندما طرد ماركيون وألقى بعيداً لأنه ابتدع الهرطقة، فإن هؤلاء الذين كانوا معه ورفضوه عندما حرم من الكنيسة ظلوا مسيحيين، فى حين أن الذين تبعوا مركيون وشايعوه لم يسموا بعد مسيحيين بل لقبوا ماركيونيين. وهكذا أيضاً فالنتينوس وباسيليدس ومانى وسيمون الساحر، فأنهم نقلوا وأعطوا لأتباعهم أسماءهم الخاصة، ولذلك صار البعض يلقبون فالنتينيين والبعض الآخر باسيليديين وآخرين سيمونيين. والبعض الآخر الذين هم من فريجيا لقبوا فريجيين، والذين من نوفاتيس نوفاتيين.

وهكذا أيضاً ميليتيوس عندما طره وحرمه بطرس الأسقف والشهيد، لم يعد يطلق على أتباعه اسم مسيحيين بل ميليتيين. وهكذا فقد حدث نفس الشئ أيضاً حينما حرم ألكسندروس المطوب الذكر آريوس، فإن الذين ظلوا مع الكسندروس بقوا مسيحيين أما الذين خرجوا منشقين مع أريوس، فأنهم تخلوا عن اسم المخلص لنا نحن الذين بقينا مع الكسندروس، ومن م أطلق على أولئك اسم الآريوسيين. وها هو الآن بعد موت الكسندروس، فإن الذين لهم شركة مع خليفته أثناسيوس، وأولئك الذين ارتبط أثناسيوس نفسه معهم فى الشركة الكنسية لهم نفس الميزة. فإن أحداً من أولئك لم يطلق عليه اسم أثناسيوس. كما أن أثناسيوس لم يطلق عليه اسم أى واحد من أولئك المرتبطين، ولكنهم – وفقاً للوضع المألوف – يسمون جميعاً مسيحيين. لأنه وان كان لدينا سلسلة متتابعة من خلفاء المعلمين... وقد صرنا نحن تلاميذ هؤلاء، ولكن حيث أننا نتعلم منهم أمور المسيح وكل ما يختص به. لذلك فمما لا شك فيه، فأننا مسيحيون وهكذا ندعى. أما أولئك الذين يتبعون الهراطقة، فحتى لو كان لديهم آلاف الخلفاء، فأنهم حتماً يتخذون لهم اسم من ابتدع الهرطقة، وهكذا فأنه حتى بعد أن مات أريوس. رغم أن عدداً

كبيراً خلفه فى هرطقته، إلا أن هؤلاء الذين اعتقدوا بتعاليم ذلك الرجل والمعروفين بمشايعتهم لآريوس، فأنهم يسمون أريوسيون.

والبرهان العجيب على هذا، أن أولئك الوثنيين الذين دخلوا الى الكنيسة – ولا يزالــون يدخلون فيها حتى الآن، فإذ يهجرون ضلالة الأوثان، فأنهم لا يدعون بأسماء الــذين علمــوهم أصول الإيمان. بل يدعون باسم المخلص، وصاروا يدعون باسم المخلص، وصاروا مسيحيين بدلاً من وثنيين، بينما أولئك الذين ينضمون إلى الهراطقة. والذين يتحولون من الكنيــسة الـــى الهرطقة، فأنهم يهجرون اسم المسيح، وتبعاً لذلك يتخذون أسم الآريوسيين، إذ لم يعد لهم إيمان بالمسيح قد، بل صاروا خلفاء لجنون أريوس وخبله.

4- كيف يمكن إذن أن يكونوا مسيحيين أولئك الذين هم ليسوا بمسيحيين بل هم مجانين الآريوسية؟. أو كيف ينتمى هؤلاء الى الكنيسة الجامعة، وهم قد انفضوا عن الإيمان الرســولى ونبذوه وصاروا مبتدعين شروراً جديدة، وبعد أن نبذوا أقوال الكتابات الالهية، فأنهم يــسمون ثاليا أريوس حمة جديدة؟ وما يقولونه يثبت حقاً أنهم يبشرون بهرطقة جديدة. ولهــذا الــسبب أيضاً فقان الانسان ليدهش، أنه فى حين أن كثيرين كتبوا مؤلفات كثيرة وعظات أكثــر عــدداً حول العهدين القديم والجديد، فليس فى أى منها شئ مما ابتدعته ثاليا، بل حتى لا يوجد شـــئ منها عند كبار الأمميين وعظمائهم... ولكنها موجودة فقط بين أولئك الذين ينشدون ويتغنــون وهم ثمالى وسكارى بين قرقعة الكؤوس والصخب والسخرية أثناء عبــثهم ولهــوهم ليثيــروا ضحك الآخرين.

أن أريوس الغريب، فى الواقع لم يقلد أحداً وقوراً، وإذ كــان يجهــل كتابــات الرجــال الوقورين من عظماء القوم، فإنه كان يختلس كثيراً من الهرطقات الأخــرى. ولا يوجــد لـــه منافس فى مجال الهزل والسخرية غير سوتيادس وحده. لأنه ماذا كان فى وســعه أن يعمــل سوى أن يرغب فى التحول ضد المخلص. بأناشيده الراقــصة، معبــراً بثرثرتــه المموقتــة وطنطنته البغيضة عن كفره وإلحاده، مستخدماً فى ذلك رخامة ألحانه المنحرفة الفاسقة؟ وهــذا كى يتأكد ويتضح فساد ما كتبه. من تلك الأقوال التى تتضح بعد نضح الروح وفساد الــذهن، وذلك كما تقول الحكمة تماماً "يعرف المرء من الكلمة الصادرة عنــه" (أنظــر ابــن ســيراخ 29:19) ولأن الضلال لم يكن سهوا، بل هو متعدد الوجوه، ومتعمد أيضاً، فهو مثــل الثعبــان الذى يلتف حول نفسه صاعداً هابطاً، ولكنه – (أى أريوس) قد سقط فـــى ضـــلال الفريـــسيين

عندما أرادوا مخالفة الشريعة، فأنهم تظاهروا بأنهم غيورون على أقوال النـــاموس. وعنـــدما أرادوا أنكار الرب المنتظر، بينما كان هو نفسه حاضراً بينهم... فأنهم أدعوا بأنهم يستشهدون بالله. ولكنه أثبتوا بذلك أنهم يجدفون بقولهم: "لماذا وأنت إنسان تجعل نفسك ألهاً" (يـــو33:10)، وتقول "أنا والآب معا واحد". هكذا أيضاً أريوس المزيف والذى حذا حـــذو ســـوتيادس، فأنـــه يزعم أنه يتحدث عن الله، مستخدماً كلمات الكتاب المقدس، ولكنه أثبت من كل النـــواحى أنـــه كافر وذلك بإنكاره الابن، معتبراً أياه من بين المخلوقات.

الفصل الثانى:

مقتطفات من ثاليا أريوس

5- أن بدء ثاليا أريوس عبارة عن أقوال ركيكة جوفاء. وقد أتخذت لها أسلوباً أنثويا وهى هكذا: "حسب إيمان مختارى الله" الذين لهم أدراك ووعى بالله من الرجال القديسين الذين يتصفون بالعقائد المستقيمة، هؤلاء الذين حصلوا على روح الله القدوس. وأنا على الأقل تعلمت هذه الأمور من أناس لهم نصيب كبير من الحكمة. أناس مدهشون من المعلمين لأمور الله. وعموماً فأنهم يعتبرون من الحكماء. وقد أقتفيت أنا آثار هؤلاء وسرت على دربهم. وها أنا أسير فى نفس الطريق، معلماً لنفس هذه المبادئ، أنا الذائع الصيت، ولقد عانيت الكثير لأجل مجد الله، وعرفت الحكمة والمعرفة، وهى التعاليم المستقاه من الله، أن مثل هذه الثرثرة الجوفاء التى يتشدق بها ثاليا، والتى ينبغى تجنبها والابتعاد عنها، إذ هى مليئة بالكفر والضلال، إذ قد جاء فيها "لم يكن الله أباً فى كل حين" بل كان هناك وقت حين كان الله وحده،

ولم يكن أباً بعد، بل قد صار أباً فيما بعد... والابن لم يكن موجوداً دائماً. لأن كل الأشياء قد خلقت من العدم، وكان هناك وقت لم يكن فيه الابن موجوداً، ولم يكن له وجود قبل أن يصير، بل هو نفسه كان له بداية تكوين وخلقة ويقول: "لأن الله كان وحده. ولم يكن هناك الكلمة والحكمة بعد.. من ثم فعندما أراد الله أن يخلقنا، فإنه عندئذ قام بصنع كائن ما وسماه اللوغوس والحكمة والابن، كى يخلقنا بواسطته" ولذلك فهو يقول أن هناك حكمتان: الأولى مستقلة وموجودة مع الله. أما الابن فقد جاء من خلال هذه الحكمة الأولى، وقد سمى الحكمة والكلمة بسبب اشتراكه فقد فى هذه الحكمة الأولى. وقد سمى الحكمة والكلمة بسبب اشتراكه فقد فى هذه الحكمة الأولى، لأنه يقول "أن الحكمة جاء إلى الوجود بواسطة الحكمة بمشيئة الله الحكيم".

وهكذا يقول أيضاً: أنه توجد كلمة أخرى فى الله غير الابن. وأيضاً أن الابن قد سمى كلمة وأبناً بسبب مشاركته للكلمة حسب النعمة.

وهذا التعليم أيضاً إنما هو أحد الأفكار الخاصة بهرطقتهم كما يتضح من مؤلفاتهم الأخرى. "أنه توجد قوات كثيرة، أحداها هى قوة الله ذاته بحسب طبيعته الذاتية الأبدية. أما المسيح فليس هو قوة الله الحقيقية، بل أنه هو أيضاً قوة من تلك التى تدعى قوات. والتى تعتبر احداها هى قوة الله ذاته بحسب طبيعته الذاتية الأبدية، أما المسيح فليس هو قوة الله الحقيقية، بل أنه هو أيضاً قوة من تلك التى تدعى قوات، والتى تعتبر أحداها أيضاً "الجرادة" و "الدودة". وهى ليست قوة وحسب بل أعلن عنها أيضاً أنها قوة عظيمة[(6)]. أما القوات الأخرى المتعددة فهى مثل الابن. وأن داود أنشد عنها بقوله: "رب القوات" (مز10:24). والكلمة نفسه أيضاً. مثل كل القوات متغير بحسب طبيعته. ويبقى صالحاً بإرادته الحرة – الى أى وقت يريده. ولكنه حينما يريد، فإنه يستطيع أن يتحول مثلنا، إذ انه قوة طبيعة متغيرة. ويقول أيضاً "بما أن الله عرف بسبق علمه. بأن الكلمة سيكون صالحاً فقد منحه هذا المجد. مقدما الذ1ى حصل عليه بعد ذلك. كإنسان، بسبب الفضيلة، ولهذا فإن الله – بسبب أعماله التى كان يعرفها بسبق علمه أنها ستعمل – خلقه بمثل هذه الصورة التى صار عليها الآن".

6- بل أنه تجاسر مرة أخرى أن يقول "الكلمة ليس إلهاً حقيقياً، وحتى ان كان يدعى الهاً لكنه ليس الهاً حقيقياً. وإنما هو إله بمشاركة النعمة مثل جميع الآخرين، وهكذا فإنه يسمى إلهاً بالاسم فقط. وكما أن جميع الكائنات غريبة عن طبيعة الله ومختلفة عنه فى الجوهر. هكذا

الكلمة أيضاً يعتبر غريباً عن جوهر الآب وذاتيته ومختلفاً عنه، بل هو ينتمي إلى الأشياء المخلوقة والمصنوعة. وهو نفسه أحد هذه المخلوقات".

وفضلاً عن ذلك، فإنه كما لو كان قد صار خليقة للشيطان ووارثاً لتهوره ووقاحته، فقد ذكر فى "ثاليا" ما يلى: "وحتى الابن فإنه لا يرى الآب" وأن "الكلمة لا يستطيع أن يرى أو أن يعرف أباه تماماً بصورة كاملة. ولكن ما يعرفه وما يراه، فإنه يعرفه ويراه بقدر طاقته الذاتية، مثلما نعرف نحن أيضاً بقدر طاقتنا الذاتية". كما يقول "أن الابن ليس فقط لا يعرف تمام المعرفة، إذ هو يعجز عن هذا الإدراك، بل أن الابن نفسه لا يعرف حتى جوهره الخاص به. وأن كل من الآب والابن والروح القدس، جوهره منفصل عن الآخر حسب الطبيعة. وأنهم مقسمون ومتباعدون وغرباء عن بعضهم البعض، وليس لهم شركة أحدهم مع الآخر، إذ يدعى هو نفسه "أنهم غير متشابهين تماماً فى الجوهر والمجد بلا نهاية". ويقول "أنه فيما يتعلق بتشابه المجد والجوهر. فإن الكلمة يعتبر مختلفاً تماماً عن كل من الآب والروح القدس" وهكذا بمثل هذه الكلمات يزعم ذلك العديم التقوى أن "الابن منفصل بذاته وليس له شركة مع الآب اطلاقاً". هذه مقتطفات من النصوص الأسطورية كما جاءت فى كتابات أريوس الهزلية.

7- فمن هو الذى يسمع مثل هذه الأقوال، ومثل هذا النغم فى ثاليا، ولا يبغض أريوس وهو يقول بتمثيليته هذه؟ وبينما هو يدعو باسم الله ويتحدث عنه، فمن لا يعتبر هذا الرجل مثل الحية التى قدمت المشورة للمرأة؟. ومن لا يرى – وهو يقرأ ما كتبه – تجديفه وتضليله، مثلما فعلت الحية وهى تحاول أغواء المرأة؟ فمن لا يفزع من هول هذه التجاديف؟. فكما يقول النبى "السماء تنذهل، والأرض تقشعر" (أر12:2) من جراء التعدى على الشريعة. أما الشمس فإذ لم تحتمل تلك الاهانات المثيرة التى وقعت على جسد الرب المشترك لنا جميعاً. والتى احتملها هو نفسه من أجلنا بإرادته. فإنها أستدارت وحجبت أشعتها. وجعلت ذلك اليوم بلا شمس وأزاء تجديفات أريوس، كيف لا تتمرد حياة البشرية فتصاب بعدم النطق، فيصمون آذانهم، ويغلقون عيونهم. هرباً من سماع هذه التجديفات. ومن رؤية وجه كاتبها؟.

وبالأحرى كيف لا يصخ الرب ذاته ضد هؤلاء العديمى التقوى، بل والجاحدين أيضاً. بتلك الكلمات التى سبق ونطق بها على لسان هوشع النبى "ويل لهؤلاء لأنهم هربوا عنى. بالشقاوتهم لأنهم إذنبوا الى. أنا أفتديتهم لكنهم تكلموا على بالكذب" (هو 13:7). وبعد ذلك بقليل "وهم يفكرون على بالشر". "وعادوا الى العدم" (هو16:7 السبعينية)؟.

لأنهم بعد أن أبتعدوا عن كلمة الله الذى هو كائن، ابتكروا لأنفسهم ما هو غير كائن. فسقطوا فى العدم. ومن أجل ذلك السبب أيضاً، فإن المجمع المسكونى[(7)]. طرد، أريوس الذى علم بهذه الأمور، من الكنيسة وحرمه، إذ لم يحتمل المجمع كفره وجحوده. ومنذ ذلك الحين، فقد أعتبر ضلال أريوس. هرطقة تفوق سائر الهرطقات، حيث لقب بعدو المسيح. وممهداً للمسيح الدجال.

ولكن رغم أن هذا الحكم ضد الأريوسية، يعتبر فى ذاته كاف جداً لأن يجعل الناس يهربون بعيداً عن هذه الهرطقة الكافرة، إلا أنه، كما سبق أن قلت. يوجد البعض من الذين يدعون مسيحيين، يعتبرون – عن جهل أو عن تظهر بالجهل – أن هذه الهرطقة لا تختلف إلا قليلاً عن الحق، ولذلك يسمون الذين يعترفون بها. مسيحيين.

لذلك هيا بنا إذن بكل ما عندنا من جهد. لنكشف القناع عن حيل الأريوسية وخداعها. بأن نضع أمامهم بعض أسئلة، فبعد أن تدحض آراؤها. فأنهم سينفضون من حولها ويهربون كما لو كانوا يهربون من وجه أفعى.

الفصل الثالث:

خطورة الموضوع

8- فلو أن استعمالهم لبعض كلمات من الكتاب الإلهى، فى ثاليا، يحول – بحسب ظنهم – التجديف والكفر الذى فى ثاليا الى كلمات مديح وثناء، فإنهم حينما يرون يهود هذه الأيام وهم يقرأون الشريعة والأنبياء. فبلا شك – يلزمهم على هذا الأساس أن ينكروا المسيح مثل أولئك اليهود. وربما لو استمعوا إلى المانويين وهم يترنمون ببعض مقتطفات من الإنجيل. فأنه سينكرون مثلهم الشريعة والأنبياء.

فإن كانوا يتململون ويثرثرون هكذا، بسبب جهلهم.. إذن فليعلموا من الكتب المقدسة، أن الشيطان – وهو مبتكر الهرطقات ومؤلفها – يستعير أقوال الكتب المقدسة كغطاء يتستر من ورائه لكى ينفث سمومه الخاصة به ليخدع البسطاء. وذلك ليخفى الراحة العفنة الكريهة الكامنة فى شره الخاص. وهكذا خدع حواء. وهكذا حاك الهرطقات الأخرى. وهكذا الآن أيضاً فإنه حث أريوس لكى يدعى أنه يحتج ضد الهراطقة ويقاومهم. وبهذه الطريقة فإنه يدخل هرطقته هو فى غفلة من الجميع.

ومع ذلك فان هذا الداهية الخبيث لم يتمكن من الافلات. فلأنه كفر بالله الكلمة. فإنه أفرغ كل من لديه فى الحال، وانكشف أمام الجميع جهله بالهرطقات الأخرى أيضاً. وأنه لم يكن فى عقيدته أى شئ مستقيم، ولذلك كان ينافق ويراءى.

لأنه كيف يمكن أن يتكلم بإستقامة عن الآب، وهو ينكر الابن الذى يكشف الآب ويعلنه؟. أو كيف يمكن أن يعتقد أعتقاداً قويما فيما يخص الروح القدس. بينما هو يفترى على الكلمة الذى يهب الروح ويعطيه؟ ومن سيثق به عندما يتحدث عن القيامة. ما دام هو شخصياً ينكر المسيح. الذى صار البكر من الأموات، من أجلنا (كو1:19)؟. وكيف لن ينخدع فيما يخص حضوره بالجسد، وهو يجهل كلية الميلاد الحقيقى للابن من الآب؟. فإنه هكذا أيضاً حدث مع اليهود حينما أنكروا الكلمة وقالوا "ليس لنا ملك إلا قيصر" (يو15:19)، فأنهم فقدوا كل شئ دفعة واحدة وبقوا بدون نور مصباح. وبدون رائحة الطيب. وبدون معرفة النبوة. وبدون الحق ذاته. وهم حتى الآن، لا يفهمون شيئاً. كمن يسيرون فى الظلام. لانه من سمع بمثل هذه التعاليم فى أى عصر من العصور حتى الآن. أو من أين أو ممن سمع هؤلاء هذه الأمور، أولئك المنافقون والمأجورون لنشر الهرطقة؟. ومن علم هؤلاء مثل هذه العقيدة حينما كانوا يلقنونهم دروس الدين؟ ومن قال لهم بعد أن أنصرفوا عن عبادة الخليقة، أن تعالوا من جديد لتعبدوا المخلوق والمصنوع؟. وأن كان هؤلاء أنفسهم يعترفون بأنهم قد سمعوا بمثل هذه التعاليم لأول مرة الآن. فليكفوا إذن عن عن إنكارهم بأن هذه الهرطقة إنما هى غريبة، ولم يتسلموها عن الآباء. والذى لم يأت من الآباء بل أبتدع الآن. فأى شئ آخر يمكن أن يكون. سوى ما تنبأ به المغبوط بولس "فى الأزمنة الأخيرة ينحرف البعض عن الايمان القويم تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين فى نفاق الكذابين الموسومة ضمائرهم الذاتية". (1تى1:4، 2،14) وأيضاً "مرتدين عن الحق".

الإيمان الصحيح عن الابن:

9- ها نحن إذن نتحدث بحرية عن الإيمان الصحيح النابع من الكتب الإلهيـــة، ونـــضع هذا الإيمان كسراج على المنارة فنقول: ابن حقيقى حسب الطبيعة للآب ومن نفـــس جـــوهره. وهو الحكمة وحيد الجنس وهو الكلمة الحقيقى الوحيد لله. وهو ليس مخلوقـــاً ولا مـــصنوعاً. ولكنه مولود حقيقى مـــن ذات جـــوهر الآب. ولهـــذا فهـــو إلـــه حـــق إذ أنـــه واحـــد فـــى الجوهر مع الآب الحقيقى.

أما بالنسبة للكائنات الآخرى. التى قال لها: "أنا قلت: أنتم الهة" (مز6:8)، فإنها حـــصلت على هذه النعمة من الآب وذلك فقط بمشاركتها للكلمة عن طريق الروح القدس. لأنه هو رسم جوهر الآب هو نور من نور، وهو قوة وصورة حقيقية لجوهر الآب. لأن هذا ما قاله الـــرب أيضاً: "من قد رآنى فقد رآى الآب" (يو9:14). فهو كان موجوداً دائما. وهو كائن كل حـــين، ولم يكن قط غير موجود. وكما أن الآب أزلى، هكذا أيضاً فأن كلمته وحكمته يجب أن يكـــون أزلياً.

ثم فلنر إذن ما يتشدق به هؤلاء مما يقدمونه لنا من مزاعم مما جاء فى ثاليا الذميمة؟.

دعهم أولاً يقرأونها مقلدين أسلوب كاتبها، كى يتعلموا – حتى وأن كانوا يسخرون مـــن الآخرين – إلى أى ضلال قد أنحدروا. وبعد ذلك فليقولوا، ولكن ماذا فى وسعهم أن يقولوا منه سوى: "أن الله لم يكن دائماً أباً. ولكنه صار أباً فيما بعد. والابن لم يكن موجوداً دائماً، لأنه لم يكن موجوداً قبل أن يولد. وأنه ليس من الآب، ولكنه هو أيضاً خلق من العدم. وهو ليس مـــن نفس جوهر الآب لأنه مخلوق ومصنوع"؟ وأن "المسيح لم يكن الها حقيقياً، بل هو نفسه صـــار الهاً بالمشاركة. والابن لم يعرف الآب معرفة تامة، والكلمة لم ير أباه بصورة كاملة. والكلمـــة الحقيقى الوحيد للآب، ولكن بالأسم فقط يدعى كلمة وحكمة، وهو بالنعمة فقد يدعى ابناً وقـــوة. وهو ليس غير قابل للتغير مثل الآب، ولكنه متغير بالطبيعة كالمخلوقات. وهـــو قاصـــر عـــن إدراك معرفة الآب إدراكاً كاملاً" غريب أمر هذه الهرطقة حقاً، إذ ليس هناك أى احتمال فـــى استقامة تعاليمها، بل هى تتخيل أنه لا وجود لذلك الذى له وجود فى الواقع، بل تنـــشر علـــى الملأ مهاترات كفرية تماماً بدلاً من الأقوال الورعة النقية. إذن، أن قام أحد النـــاس بالتـــصدى لبحث تعاليم الفريقين وتساءل إلى إيمان أى منهما ينحاز وأى منهما يتكلم الكلام اللائـــق عـــن الله.

أو بالأحرى دع هؤلاء الذين يحرضون على الكفر بنفاق يقولون، بماذا يجب أن يجـاب عندما يسأل انسان عن الله. (لأن "الكلمة كان الله")، فإنه من الاجابة على هذه السؤال سيعرف كل ما يتعلق بكلتا المسألتين، أى ماذا يجب أن يقوله الشخص: هل "كان" أم "لم يكن"؟ هل هـو "دائم" أم "صار من قبل" هل هو "أزلى" أم "منذ متى، وحتى متى". هـو هـو "الـه حـق" أم "بالوضع والمشاركة والاختلاق" هل هناك من يقبل القول بأنه (أى الكلمة) "واحـد مـن بـين المخلوقات" أم أنه "مشابه الآب". وأنه "غير مشابه للآب حسب الجوهر". أم أنه "مشابه لـلآب وخاص به" وأنه "مخلوق" أم أن "به قد خلقت المخلوقات".

أنه "هو ذاته كلمة الآب"، أم أن هناك "كلمة آخر" بالاضافة إليه، وأنه تكون عن طريـق هذه الكلمة الآخر. وعن طريق حكمة أخرى.. وأنه إنما لقب حكمة وكلمة بالاسم فقـط. وأنـه صار شريكاً لتلك الحكمة وتاليا لها.

10- فأقوال من أذن، هى التى تعتبر لاهوتية وتوضح أن ربنا يسوع المسيح هـو إلـه وابن الآب؟. هل هى تلك الأقوال التى تقيأتموها أنتم، أم تلك التى قلناها نحن ولا نزال نقولهـا من الكتب المقدسة.

إذن فإن كان المخلص ليس إله وليس كلمة وليس ابناً. فأنه يكون من الجائز لكـم (فـى هذه الحالة) أن تقولوا ما تريدون كما هو جائز للوثنيين واليهود فى أيامنا.

أما إن كان هو كلمة الآب والابن الحقيقى. وإله من إله، و "فوق الكل مبارك إلى الأبـد" (رو5:9)، فكيف لا يكون لائقاً أن نزيل ونمحو الاقوال المغايرة وثاليا الأريوسـية. كـصورة للشرور. ومليئة بكل أنواع الألحاد والكفر؟ والتى عندما يسقط فيها أحد، "فأنـه لا يعـرف أن الاشباح سيهلكون بواسطتها، وأنه سيلتقون بها فى عمق الهاويـة" (أم18:9 سـبعينية). أنهـم يعرفون هذا الأمر. وهم أنفسهم فى الواقع كمخادعين يخفون هذه الامـور لأنهـم لا يملكـون الشجاعة أن ينطقوا بها علناً. ولكنهم يقولون أشياء أخرى قريبة منها. لأنهم أن تكلمـوا علنـا فسوف يلامون. وأن تعرضوا للشبهة (بسبب الانحراف) فان الجميع سيتصدون لهم ببـراهين من الكتب المقدسة. ولذلك، فيما أنهم أبناء هذا الجيل. فأنهم بدهاء. قد أوقدوا المـصباح الـذى أعتبروه خاصاً بهم، بزيت خام. ولكنهم خوفاً من أن ينطفئ بسرعة لأنه قد قيل "نور الأشـرار ينطفئ" (أيوب 5:18)، فأنهم أخفوه تحت مكيال النفاق والريـاء. ويـدلون بـأقوال مغـايرة. مستعينين بحماية الأصدقاء مهددين بقسطنديوس[8] وذلك حتى لا يرى، أولئك الذين ينـضمون

إليهم، نجاسة الأريوسية ونتانتها. وذلك بواسطة دهائهم وأقوالهم التى ينطقون بها. كيف إذن لا تكون هذه الهرطقة مستحقة للكراهية مرة أخرى، بحسب هذا أيضاً. وهى فى الواقـع تخفـى (بضم التاء) بواسطة مشايعيها أنفسهم. – إذ أنها لا تتجاسر أن تظهر علناً وتـتكلم بحريـة –، بل هى تتربى وبعتنى بها كالحية؟.

لأنهم من أين جمعوا لأنفسهم تلك الترهات؟ أو ممن حصلوا إذن على مثل هذه الأقـوال التى يتجاسرون على التشدق بها؟. أنهم ليس فى وسعهم أن يحددوا الشخص الـذى سـبق أن تسلموا منه هذه الأقوال. لأنه من من الناس. سواء كان يونانياً أو بربرياً يجسر أن يقول عـن ذلك الذى يقر ويعترف به أنه إله. بأنه واحد من المخلوقات، وأنه لم يكون موجـوداً قبـل أن يخلق؟. ومن هو ذلك الذى يؤمن بالله. ولا يصدق الله القائل "هذا هو ابنى الحبيب" (متى5:17) ويزعم بأن الابن ليس ابناً بل مخلوقا؟ بل أن مثل التعاليم سوف تثيـر سـخط الجميـع أكثـر ضدهم. فإنهم حتى لم يتخذوا براهينهم من الكتب المقدسة، لأنه سبق أن كشفنا مـراراً، كمـا سنكشف الآن أيضاً بأن هذه التعاليم مخالفة وغريبة عن الأقوال الالهية، إذن، إذ لم يتبق إلا أن نقول بأنهم قد أصابهم الجنون بعد أن تلقوا هذه التعاليم من الشيطان (لأنه هـو وحـده الـذى يزرع مثل هذه التعاليم). لذلك هيا بنا لنقاومه، لأنه سيكون لنا صراع ضـده عـن طـريقهم. وبمشيئة الرب، بعد أن يعجز كالمعتاد بواسطة البراهين، فإنهم سيصابون بالخزى عندما يرون ذلك الذى زرع هذه الهرطقة فيهم. خالياً من أية قوة. فيتعلمون، ولو متأخراً. أنـه بمـا أنهـم أريوسيون. فهم ليسوا مسيحيين.

الفصل الرابع:

الابن أزلى وغير مخلوق

11- قد قلتم وأعتقدتم حسب اقتراح (الشيطان) عليكم، بأنه "كان وقت لم يكن فيه الابن موجوداً". لأن ثوب أفكار بدعتكم هذا، هو الذى يجب أن ينزع أولاً.

قولوا أيها المهاترون عديمى التقوى، ما المقصود بالوقت الذى لم يكن فيه الابن موجوداً؟ فإن كنتم تشيرون بهذا إلى الآب. فإن تجديفكم يكون أعظم. لأنه من غير اللائق أن يقال عنه "كان فى وقت ما" أو أن يشار إليه بكلمة "وقت". لأنه كائن دائماً وهو موجود الآن. وحيث أن الابن أيضاً موجود فهو (الآب) أيضاً موجود، وهو نفسه الكائن. وأبو الابن. فإن كنتم تقولون أن الابن كان موجوداً مرة، حينما لم يكن موجوداً، فالجواب هو أن هذا كلام صبيانى أحمق. إذ كيف يكون هو نفسه موجوداً وغير موجود؟ وإذ تجدون أنفسكم فى حيرة أمام هذا التضارب فى الأقوال، فإنكم يمكن أن تقولوا، أنه كان هناك "وقتاً ما "حينما لم يكن الكلمة موجوداً، لأنه هذا هو المعنى الطبيعى لظرف الزمان "وقتاً ما" الذى تستخدمونه. والقول الذى سجلتموه بعد ذلك هو "الابن لم يكن موجوداً قبل أن يولد". هو مساو تماماً لقولكم "كان هناك وقت ما لم يكن موجوداً" فسواء هذا القول أو القول الآخر، فكلاهما يعنى أنه كان هناك زمن سابق على الكلمة. إذن من أين أتيتم بهذه الأقوال؟ لماذا تزمجرون كالأمم وتقولون كلمات فارغة زائفة ضد الرب وضد مسيحه[(9)]؟. لأنه لم يسبق لأى كتاب من الكتب المقدسة أن استخدم تعبيراً مثل هذه التعبيرات عن المخلص، بل بالأحرى تقول عنه "الدائم"، "الأزلى" والمشارك دائماً مع الآب فى الوجود، فى البدء كان الكلمة، وكان الكلمة عند الله. وكان الكلمة الله"[(10)] ويقول عنه فى الرؤيا ما يلى "الكائن والذى كان والآتى"[(11)] فمن يستطيع إذن أن ينتزع الأزلية من ذلك "الكائن". "والذى كان" ولأجل هذا الأمر عينه كتب بولس وهو يتكلم عن اليهود فى الرسالة الى أهل رومية قائلاً "ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن فوق الكل الهاً مباركاً الى الأبد". وحين كان يتكلم مع الأمميين قال "لأن أموره غير المنظورة ترى بوضوح منذ خلق العالم مدركة بواسطة المصنوعات قدرته السرمدية وألوهيته"[(12)] وما هى قدرة الله؟. هو نفسه يعلم فى مرة أخرى قائلاً "المسيح هو قوة الله وحكمة الله"[(13)] أنه بالتأكيد لم يكن يقصد الآب بهذه الكلمات، كما كنتم تتهامسون كثيراً فيما بينكم قائلين أن "الآب إنما هو قوته الأزلية" ولكن الأمر ليس هكذا. لأنه لم يقل أن الله ذاته هو القوة" بل أن "القوة هى قوته". فمن الواضح الجلى للجميع أنه استخدم الهاء فى قوته (ضمير الاضافة فى الغائب المفرد) ولم يستخدم "هو" (ضمير الغائب المفرد فى حالة الفاعل) ولكنه

ليس غريبا (عن الاب) بل هو (الابن) خاص به ذاته[14]. أقرأوا أيضاً سياق الكلام "وأرجعوا إلى الرب". "وأما الرب فهو الروح"[15]، وسترون أن هذا النص يشير إلى الابن.

12- لأنه (بولس) وه يتحدث عن الخليقة، فإنه يستمر أيضاً فى الكتابة عن قوة الخالق فى خليقته، تلك القوة التى هى "كلمة الله"، والذى من خلاله (بواسطته) قد خلق كل شئ. فلو أن الخليقة فى طاقتها بذاتها وحدها أن تعرف الله بدون الابن، فالتفتوا لئلا تسقطوا فى الغواية. فتظنوا، أنه بدون الابن أيضاً قد خلقت الخليقة. ولكن إن كانت الخليقة قد خلقت عن طريق الابن، وأنه "فيه تثبت (تقوم) كل الأشياء فى الوجود"[16] . فأن الذى يتأمل الخليقة بطريقة مستقيمة، فلابد أن يرى أيضاً بالضرورة الكلمة الذى خلقها. ومن خلال الكلمة يبدأ أن يدرك الآب. وان كان حسب قول المخلص "لا أحد يعرف الآب إلا الابن ولمن سيعلن له الابن عنه"[71] وحينما سأل فيلبس "أرنا الآب" لم يقل له، انظر الخليقة، بل قال له "من رآنى فقد رآى الآب". فإن بولس بصواب وأدراك. يتهم اليونانيين بأنهم، بينما يرون تناسق الخليقة ونظامها فإنهم لا يدركون الكلمة خالقها. (لأن المخلوقات تعلن عن خالقها). لكى يدركوا الإله الحقيقى من خلال المخلوقات. ويكفوا عن عبادة المخلوقات. – ولذلك قا لبولس "قدرته السرمدية ولاهوته" لكى يشير بذلك إلى الابن. وحينما يقول القديسون "الكائن قبل الدهور"، "والذى به صنع الدهور" فإنهم بذلك يبشرون بخلود الابن وأزليته. وهم حينما يقولون الابن فهم يقصدون الله نفسه.

ولذلك يقول أشعياء "الله الأبدى، خالق أطراف الأرض"[18] وقالت سوسنه "أيها الاله الأزلى"[19]. أما باروخ فكتب "قد صرخت إلى الأبدى مدى أيامى"[20] وبعد قليل يقول "لأنى أنا أعتمدت فى رجائى على الأبدى، لأجل خلاصكم، وغمرنى فرح من لدن القدوس"[21]. لذلك يقول الرسول أيضاً وهو يكتب للعبرانيين. "الذى (الابن) وهو بهاء مجده وصورة جوهره"[22] وداود ينشد فى المزمور التاسع والثمانين قائلاً "فليكن بهاء الرب الهنا علينا"[23]. وأيضاً "بنورك سنرى النور[24] فمن يكن حمقا لدرجة أنه يشك فى أن الابن كائن على الدوام؟. لأنه من رأى نوراً قط بدون بريق وميضه. حتى يقول عن الابن أنه "كان هناك وقت ما لم يكن فيه موجوداً"، أو "أن الابن لم يكن موجوداً قبل أن يولد"؟ وما قيل فى المزمور الرابع والأربعين بعد المائة. موجهاً قوله للابن "مملكتك مملكة كل الدهور"[25] فلا يجوز لأى شخص. أن يتخيل أى فترة – مهما كانت وجيزة – لم يكن فيها الكلمة موجوداً. لأنه ان كانت كل فترة زمنية

تقاس من خلال الدهور، والكلمة هو ملك وصانع كل الدهور. لذلك فبالضرورة. حيث أنـــه لا توجد قبله أية فترة زمنية من أى نوع. فإن يعتبر ضرباً من الجنون أن يقال "كان هناك وقــت عندما لم يكن الأزلى موجوداً. وأن "الابن هو من عدم" حيث أن الرب نفسه يقــول "أنـــا هــو الحق"[26] ولم يقل "صرت الحق". بل هو يكرر دائماً "أنا هو" – فيقول – "أنا هو الراعـــى"[27] – و "أنا هو النور"[28] ومرة أخرى يقول "ألستم أنتم تقولون أنى أنا الـــرب والمعلـــم وحـــسنا تقولون، لأنى أنا هو"[29]. ومن عندما يسمع مثل هذا القول. من الله. والحكمـــة وكلمـــة الآب، متحدثاً عن ذاته، يظل حائراً بخصوص الحقيقة، ولا يؤمن فى الحال، بأن عبارة "أنا هو" تعنى أن الابن أبدى، وأزلى قبل كل الدهور.

13– مما سبق ذكره يتضح أن ما تقوله الكتب المقدسة عن الابن يبرهن أنه أزلى. أمـــا ما يتفوه به الأريوسيون متشدقين بالألفاظ: "لم يكن". "من قبل" ، "متى؟" فإن الكتـــب المقدســـة تشير بهذه الألفاظ الى المخلوقات. وهذا سيتضح مرة أخرى مما سنذكره فيمـــا يلـــى: فمـــثلاً، عندما تحدث موسى عن الأمور المختصة بتكوين الخليقة، قال "كل خضرة الحقل لم تكن بعـــد فى الأرض وكل عشب الحقل لم يكن قد نبت بعد لأن الله لم يكن قد أمطر علـــى الأرض، ولا كان إنسان ليعمل فى الأرض[30] وجاء فى التثنية "حين قسم العلى، الشعوب"[31]. وكان الـــرب يقول عن نفسه "لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت أنى ماض إلى الآب، لأن أبى أعظم منى. وقد قلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون"[32].

أما عن الخليقة فيقول على فم سليمان "قبل خلق الأرض. قبل صنع الأعماق. وقبل تدفق ينابيع المياه. وقبل أن ترسخ الجبال. وقبل جميع التلال. ولدنى"[33] وأيـــضاً "قبـــل أن يكـــون ابراهيم أنا كائن"[34] ويقول عن أرميا "قبل أن أصورك فى الرحم عرفتك"[35] وداود يرنم قائلاً "يارب صرت لنا ملاذاً من جيل إلى جيل. قبل تكوين الجبال. أو قبل خلق الأرض والمسكونة منذ الأزل وإلى الأبد أنت هو"[36]. وفى سفر دانيال "وصرخت سوسنة بصوت عظيم وقالت،: أيها الإله الأزلى العارف بالخبايا، والعالم بكل الأشياء قبل حدوثها"[37].

وهكذا إذن يظهر أن الألفاظ "لم يكن فى وقت ما". و"قبل أن يصير". و"عندما" ومثل هذه التعبيرات انما تنطبق على الكلام بخصوص المنشآت والمخلوقات التى جبلت من العدم. ولكنها غريبة تماماً بالنسبة للكلمة. فغن كانت الكتب المقدسة تستخدم هذه التعبيرات عن المخلوقـــات، بينما تقول عن الابن أنه "الدائم" إذن فيا محاربى الله، فان الابن لم يصر من العدم. ولا يحسب

فى عداد المخلوقات اطلاقاً، بل هو صورة الآب وهو الكلمة، ولم يكن قد غير موجود، بل هو موجود على الدوام. وهو الشعاع الأزلى لنور هو أزلى. لماذا إذن تتخيلون أن هنـــاك أزمنـــة سابقة على الابن؟. أو لماذا تجدفون على الكلمة بأنه لاحق وتالى للدهور وهو الـــذى بـــه قـــد صارت الدهور.؟

لأنه كيف يوجد زمن أو دهر إطلاقا. بينما لم يكن الكلمة قد ظهر بعد حـــسبما تقولـــون أنتم، وهو الذى به قد "كان كل شئ، وبغيره لم يكن شئ واحـــد"[(38)]. ، أو أن كنـــتم تقـــصدون زمناً ما، فلماذا لا تقولون جهاراً أنه "كان هناك زمن لم يكن فيه الكلمة موجوداً. ولكـــن بينمـــا أنتم تسكتون عن اسم "الزمن" لكى تخدعوا البسطاء ولكنكم من ناحية أخرى لا تخفون شعوركم الخاص على وجه الاطلاق، ولكن – حتى لو أخفيتمون. فإنكم لا تـــستطيعون أن تفلتـــوا مـــن إنكشاف أمركم. لأنكم لا تزالون تقصدون الأزمنة عندما تقولون "كان مرة حينمـــا لـــم يكـــن موجوداً" ، "لم يكن موجوداً قبل أن يولد".

الفصل الخامس:

البنوة الالهية غير البنوة البشرية

14- وهكذا بعد برهنا هذه الامور وأثبتناها، فإنه لا يزالون يجدفون أكثر قائلين: "أن لم يكن هناك وقت ما، لم يكن فيه الابن موحوداً، بل هو أزلى فى وجوده مع الآب، إذن فلا يعود يسمى بعد ابناً بل أخاً للآب". يا لكم من حمقى. مغرمين بالتشاحن والمخاصمة! لأنـــه ان كنـــا نقول أنه هو وحده كائن أزلياً مع الآب، دون أن نقول – فى نفس الوقت – أنه ابن، لكان هناك بعض العذر لتوقيرهم ولتدقيقهم المصطنع هذا، ولكن إن كنا فى نفس الوقت الذى نقول فيه أنه أزلى، فإننا نعترف إيضاً أنه ابن من آب فكيف يكون ممكناً أن يعتبر المولود أخاً للذى ولـــده؟ فإن كان إيماننا هو بالآب والابن، فأى رابطة أخوية توجد بينهما؟ إذ كيف يمكـــن أن يـــدعى الكلمة أخاً لذلك الذى (أى الآب) هو أيضاً كلمة له.؟ وان هذا الاعتراض ليس من قوم يجهلون حقيقة الأمور، لأنهم هم أنفسهم يعرفون الحقيقة. ولكن هذه الحجة إنما هى حجة يهودية، آتيـــة من قوم "بمشيئتهم يعتزلون الحقيقة" كما يقول سليمان[(39)]. فالآب والابن لم يولـــدا مـــن أصـــل سابق عليهما فى الوجود، حتى يمكن أعتبارهما أخوين، ولكن الآب هو أصل الابن وهو والده.

والآب هو آب، وهو لم يكن ابناً لأحد، والابن هو ابن وليس بأخ.

فإن كان هو يدعى ابناً أزلياً للآب، فحسناً يقال. لأن جوهر الآب لم يكن ناقصاً أبداً، حتى يضاف إليه (ابنه) الخاص به فيما بعد. وأيضاً فإن الابن لم يولد (من الآب) كما يولد انسان من انسان، حتى يعتبر انه قد جاء الى الوجود بعد وجود الآب، بل هو مولود الله، ولكونه ابن الله الذى هو من ذاته (من ذات الله) الموجود من الأزل. لذلك فإنه هو نفسه (أى الابن) موجود من الازل. فبينما خاصية طبيعة البشر أنهم يلدون فى زمن معين. بسبب أن طبيعتهم غير كاملة. أما مولود الله فهو أزلى، بسبب الكمال الدائم لطبيعته. فإذا لم يكن ابناً. بل مخلوقاً وجد من العدم، فعليهم أن يثبتوا ذلك أولاً. وبعد ذلك إذ يتصورونه مخلوقاً. يمكنهم أن يصيحوا قائلين "كان هناك وقت عندما لم يكن الابن موجوداً، لأن المخلوقات لم تكن موجودة قبل أن تخلق" أما أن يكن هو ابناً – كما يقول الآب وكما تنادى به الكتب المقدسة – فإن "الابن" ليس شيئاً آخر سوى أنه المولود من الآب. والمولود من الآب هو كلمته وحكمته وبهاؤه ما يجب أن نقوله. هو أن الذين يعتقدون أنه "كان هناك وقت عندما لم يكن الابن موجوداً "أنهم يسلبون الله كلمته، ويعلمون بمذاهب معادية كلية لله معتبرين أن الله كان فى وقت ما بدون الكلمة الذاتى وبدون الحكمة. وكان النور فى وقت ما بدون بهاء. وكان النبع جافاً مجدباً.

حقاً أنه يتظاهرون أنهم يخشون ذكر اسم الزمن، بسبب أولئك الذين يعيرونهم، ويقولون، بأن (الابن) كان قبل الأزمنة إلا أنهم يحددون أوقاتاً معينة، فيها يتخيلون عدم وجوده، مبتدعين أزمنة ويا لسوء ما ابتدعوا – فإنهم بذلك ينسبون لله نقص الكلمة (أى عدم العقل) وبذلك فإنهم يكفرون كفراً شنيعاً.

15- وحتى أن اعترفوا معنا، بأسم "الابن" وذلك لأنهم لا يريدون أن يدانوا علناً من الجميع. إلا أنهم ينكرون أن الابن هو المولود الذاتى لجوهر الآب. ويبنون انكارهم على أساس أن الابن – بحسب كلامهم – يوجد. بلا شك، من جوهر يتجزأ وينقسم الى أقسام. وهذا الكلام لا يقل بالمرة عن غنكارهم أنه ابن حقيقى، وإنما هم يلقبونه بلقب ابن. بالاسم فقط. أفلا يرتكبون خطأ جسيماً حينما يتصورون أفكاراً جسدية. وينسبونها لغير الجسدى (اللاجسدى). وحينما بسبب ضعف طبيعتهم الخاصة. فإنهم ينكرون طبيعة الآب وذاتيته؟ لقد حان الوقت لهؤلاء الذين لا يفهمون كيفية وجود الله ولا ما هى هيئة الآب، أن ينكرون أيضاً. لأن هؤلاء الناس الأغبياء يقيسون مولود الآب بمقاييسهم البشرية الذاتية. وان اناساً يفكرون بمثل هذه

الطريقة أنه لا يمكن أن يكون هناك ابن لله. فإن هذا أمر يستحق العطف والرثاء. ولكن يلـــزم أن نستمر فى سؤالهم وفضح أفكارهم.

إذن فان كان الابن – كما تقولون – تكون من العدم. ولم يكن موجوداً قبل أن يولد، فإنه – على ذلك – يدعى ابناً والهاً وحكمة بحسب المشاركة فقد مثله مثل كل الأشـــياء الأخـــرى، فغن كل هذه الأشياء الأخرى (أى المخلوقات) قد تكونت وتقدست وتمجدت بالمشاركة أيـــضاً. إذن فهناك حاجة ملحة أن تقولوا لنا. من هو الذى يشاركه (الابن). ما دامــت كـــل الأشـــياء الأخرى لها شركة فى الروح (القدس). أما هو – فبحسب قولكم– لمـــن يـــستطيع أن يكـــون (الابن) مشاركاً؟ هل للروح؟ بل كما قال هو ذاته حقاً بالأحرى ان الروح نفـــسه يأخـــذ مـــن الابن[40] ومن غير المعقول القول بأن هذا (الابن) يقدس من ذلك (الروح). ولا يتقبى بعد ذلك بالضرورة إلا أن نقول أن الآب هو الذى يشاركه الابن. إذن من هو الذى يـــشاركه (الابـــن). ومن أين هو؟ فلو أن هذا (المشارك فيه) كان شيئاً من الخارج، مدبراً من الآب، فلن يكون فى الامكان أن يشارك الابن الآب، بل يشارك ذاك الذى هو من خارج الآب. ولن يكن الابن بعـــد ذلك، ثانياً بعد الآب. إذ أن ذاك الذى من خارج سيكون سابقاً على (الابن) ذاته، ولـــن يكـــون ممكناً أن يدعى ابن الآب، بل ابناً لذلك الذى باشتراكه فيه دعى ابناً والهاً.

وان كان هذا أمر غير لائق وكفرى. إذ أن الآب يقول "هذا هو ابنى الحبيب"[41] وأيضاً يقول الابن أن الله أبوه[42]. فيكون واضحاً إذن. أن ما يشترك فيه ليس من الخارج. وإنما هـــو من جوهر الآب. ومرة أخرى. إن كانت هذه المشاركة. شيئاً آخر. غير جوهر الابن، سيحدث نفس الخطأ، إذ فى هذه الحالة – سيكون هناك شئ فى الوسط بين ما هـــو مـــن الآب وبـــين جوهر الابن أياً كان هذا الشئ.

16– وإذ يتضح أن مثل هذه الأفكار غير اللائقة إنما هى بعيدة عن الحقيقة، لذلك فمـــن الضرورى أن نقول أن ما هو من جوهر الآب الذاتى كلية، إنما هو الابن. لأن القول بـــأن الله يشترك فيه كلية هو نفس القول بأن الله يلد. وأن الله يلد. ماذا يعنى هذا القول سوى أنـــه يلـــد ابناً؟

وكل الأشياء تشترك فى الابن بحسب النعمة النابعة من الروح. ويتضح مـــن هـــذه ان الابن نفسه ليس مشاركاً لشئ ما. وأما ما يشترك فيه مـــن الآب، فهـــذا هـــو الابـــن – لأنـــه

بإشتراكنا فى الابن. يقال عنا أننا نشارك فى الله. وهذا مـــا قالــه بطـــرس: "لكـــى تـــصيروا مشاركين فى الطبيعة الالهية"[43] وكما يقول الرسول أيضاً "أما تعلمـــون أنكـــم هيكـــل الله"[44] وأيضاً "لأننا نحن هيكل الله إنما هى معرفة تدور حول الآب، لان الابن هو مولود ذاتـــى مـــن جوهره. وكما أن الله يشترك فيه. فلا يستطيع أحد أن يقول أن هذا (الاشتراك فيه) هـــو ألـــم وتقسيم لجوهر الآب (لأنه قد صار أمراً واضحاً ومعترفاً به أن الله يشترك فيه. والاشتراك فى الله هو نفسه الولادة (هو نفسه أن الله يلد)). وهكذا يتضح أن الولود ليس بـــألم (بتغييـــر) ولا بتقسيم لذلك الجوهر المبارك. وليس كفراً (من عدم الإيمان) أن يكـــون لله ولـــد. مولـــود ذات جوهره وحينما نقول أنه "ابن" و "مولود" فلا يعنى هذا تغيـــراً ولا تقـــسيماً لجـــوهر الله. بـــل بالاحرى، نحن نعرف أنه ابن الله الوحيد الجنس، الأصيل والحقيقى. وهذا هو ما نؤمن به.

فان كان المولود من جوهر الآب. إنما هو الابن. – كما أوضحنا ,اثبتنا – فليس هنـــاك أدنى شك. بل هو أمر ظاهر جلى للكل أن هذا المولود هو نفسه. حكمة الله وكلمته والذى بـــه ومن خلاله خلق (الآب) كل الأشياء. والذى به يعلن نفسه لأولئك الذين يريد أن يعلـــن لهـــم. وهذا المولود هو أيضاً شكله (المعبر عنه) وصورته. التى فيها يرى ويعرف، لذا فإنـــه "هـــو والآب واحد". ولآن من يرى الابن فإنه يرى الآب أيضاً.

وهذا (المولود) أيضاً هو المسيح، الذى به قد أفتديت كل الأشياء. وبـــه أيـــضاً خلقـــت الخليقة الجديدة[46] . وأيضاً فإذا كان الابن هكذا، فلا يكون ملائماً – بل أن هذا يكون خطـــراً جسيماً – أن يقال أنه "مخلوق من العدم". أو أنه "لم يكن موجوداً قبل أن يولد". لأن من يـــتكلم هكذا عن المولود الذاتى من جوهر الآب، يكون قد جدف مسبقاً على ذات الآب، إذ أنه يعتقـــد عن الآب بمثل هذه التعاليم التى يخادع بها فى تخيلاته عن المولود منه.

الفصل السادس:

الابن الوحيد والثالوث

17- إذن، فان هذا وحده كاف لـدحض وهـدم الهرطقـة الأريوسـية، ولكـن عـدم أرثوذكسيتها يمكن أن يظهر أيضاً مما يأتى :

ان كان الله خالقاً وصانعاً. وهو يخلق مخلوقاته بواسطة الابن، ولا يستطيع أحد أن يرى الأشياء المخلوقة بأية طريقة أخرى. سوى بإعتبارها مخلوقة بواسطة الكلمة، أفلا يكون تجديفاً – إذ بينما أن الله هو الخالق – يأتى أحد فيقول أن كلمته الخالقة وحكمته. لم تكن موجودة فـى يوم ما؟ فإن هذا مشابه للقول. بأنه حتى الله لم يكن خالقاً. إذ أنه لا يملك كلمته الخالق الـذاتى.

الذى هو منه، بل ما يخلق به، إنما يكون (فى هذه الحالة) قد جلب إليه من خارجـــة، ويكـــون غريباً عنا. ويكون غير مماثل له حسب الجوهر.

وبعد ذلك، فليقولوا لنا – أو بالاحرى ليتهم يرون من هذا، مقدار ضلالهم وعدم تقـــواهم فى قولهم "كان وقت عندما لم يكن موجوداً" وأيضاً "لم يكن موجوداً قبل أن يولد" – لأنه ان لم يكن الكلمة دائماً أزلياً مع الآب، فلا يكون الثالوث أزلياً، بل واحد مفرد هكذا كان مـــن قبـــل. وفيما بعد صار ثالوثاً بالإضافة. وهكذا بمرور الزمن – حسب رأيهم – فقد تزايدت المعرفـــة عن الله وتشكلت. وأيضاً ان لم يكن الابن مولوداً ذاتياً لجوهر الآب، بل قد خلق من العدم. إذن يكون الثالوث قد تكون من العدم. وكان هناك وقت ما عندما لم يكن هناك ثالوث، بـــل واحـــد مفرد. وهكذا يكون الثالوث فى وقت ما ناقصاً. ثم فى مرة أخرى يكون كاملاً، فيكون ناقـــصاً قبل صيرورة الابن، ويكون كاملاً حينما صار الابن. وهكذا (على أساس هذا الكلام)، تحـــسب الخليقة مع الخالق، والذى لم يكن موجوداً فى وقت ما يحسب مساوياً مع الله الذى هـــو كـــائن على الدوام، ويمجد معه. وما هو أردا من هذا حقاً .أن الثالوث يوجد متماثل مع ذاته. إذ يكون مكوناً من طبائع وجواهر غريبة ومختلفة عن بعضها.

وهذا القول ليس شيئاً آخر سوى أن الثالوث أصله مخلوق. إذن ما كنه هذه العقيدة عـــن الله. التى لا تتماثل حتى مع ذاتها بل تسير الى الاكتمال عن طريق الاضـــافات. مـــع مـــرور الأيام، ففى وقت ما لا يكون موجوداً هكذا. وفى وقت آخر يكون موجوداً هكذا.

وهكذا يكون طبيعياً أنه يمكن أن ينال اضافة جديدة، ويستمر (فى نوال الاضافة) بـــلا نهاية، كما حدث مرة فى البدء وأتخذ أصله بطريق الاضافة. فلا يكون هنـــاك إذن شـــك أنـــه يمكن أن يحدث فيه تناقص. لأن الأشياء التى تضاف وتزاد. من الواضح، أنها يمكن أيضاً أن تطرح وتنقص.

18- ولكن، حاشا لله، أن يكون الأمر هكذا، فالثالوث ليس مخلوقاً، بل هو أزلـــى، بـــل يوجد لاهوت واحد فى ثالوث، وهناك مجد واحد للثالوث القدوس. وأنـــتم تتجاســـرون علـــى تمزيقه إلى طبائع مختلفة. ومع أن الآب أزلى. فانكم، تقولون عن الكلمة الجالس معه أنه "كان هناك وقت ما لم يكن فيه موجوداً. ومع أ، الابن جالس مع الآب، إلا أنكـــم أنـــتم تريـــدون أن تبعدوه عنه. فالثالوث منشئ وخالق. وأنتم لا تتورعون أن تحطوا مـــن قـــدره إلـــى مـــستوى المخلوقات التى وجدت من العدم. أنكم لا تخجلون أن تساووا بين الكائنات التـــى فـــى حالـــة

العبودية، وبين رفعة الثالوث، وأن تضعوا الملك رب الصباؤوت فى مرتبة واحدة مع رعاياه، كفوا عن التفكير فى خلط الأشياء التى لا يمكن أن تتحد معاً. أو بالاحرى كفوا عن التفكير فى مزج الأشياء غير الموجودة مع ذلك الذى هو الكائن. ليس ممكناً أن تقولوا هذه الأقوال على زعم أنكم تقدموا مجداً وكرامة للرب، بل العكس، فأنتم تقدمون له عاراً وهواناً، لأن من لا يكرم الابن فأنه لا يكرم الآب أيضاً. فان كان التعليم اللاهوتى كاملاً الآن على أساس فهمه كثالوث، فهذه هى الديانة (العبادة) الحقيقية والوحيدة. وهذا هو الصلاح والحق. وهذا هو الواجب أن يكون هكذا دائماً. إلا إذا كان الصلاح والحق هى أشياء صارت فيما بعد. ويكون كمال اللاهوت يحدث من طريق الاضافة. فمن اللازم، أن يكون هذا التعليم هكذا منذ الأزل. لأنه أن لم يكن أزلياً (كثالوث). فليس من الواجب أن يكون هكذا الآن (ليس من الواجد أن يكون ثالوثاً الآن حسب افتراضهم). ولكن ما هو خلاف ذلك – كما تدعون أنتم أنه هكذا من البدء – فإنه حتى الآن لا يكون ثالوثاً.

ولا يستطيع أحد من المسيحيين أن يحتمل مثل هؤلاء الهراطقة لأنه يناسب الأمميين أن يتحدثوا عن ثالوث مخلوق، ويضعونه فى مساواة مع المخلوقات. إذ من خصائص المخلوقات أنها تقبل النقص والزيادة.

أما إيمان المسيحيين فإنه يعرف الثالوث المبارك على أنه غير قابل للتغير، وأنه كامل. وأنه هو هكذا أزلياً وعلى الدوام. فإيمانهم لم يضف شيئاً أكثر إلى الثالوث، ولم يعتبر أنه كان فى وقت ما. ناقصاً، لأن أياً من هذه الأمرين إنما هو ضلال. ولذلك فإن ايمانهم يعرف الثالوث بصورة نقية ولا يخلطونه مع المخلوقات. مقدماً السجود للثالوث غير المنقسم، وحافظاً له وحدته اللاهوتية وايمانهم على الدوام لأنه أزلى كالآب الذى هو كلمته الأزلى أيضاً.

لذا فلنفحص هذا الأمر مرة ثانية الآن.

19– ان كان يقال عن الله أنه ينبوع حكمة وحياة، كما جاء فى سفر أرميا، "تركونى أنا ينبوع المياه الحية"[(47)] وأيضاً "أن عرش المجد ذو المكانة الرفيعة هو موضع مقدسنا، أيها الرب رجاء أسرائيل كل الذين يتركونك يخزون. والمتمردون عليك فى تراب الأرض يكتبون لأنهم تركوا الرب ينبوع الحياة"[(48)] وقد كتب فى باروخ، "أنكم قد هجرتم ينبوع الحكمة"[(49)]. وهذا يتضمن أن الحياة والحكمة لم يكونا غريبين عن جوهر الينبوع، بل هما خاصة له. ولم يكونا أبداً غير موجودين. بل كانا دائماً موجودين. والآن فان الابن هو كل هذه الأشياء. وهو

الذى يقول "انا هو الحياة"[50]. وأيضاً "أنا الحكمة ساكن الفطنة"[51]. كيف اذن لا يكون كـافراً من يقول "كان وقت ما عندما لم يكن الابن فيه موجوداً؟ لأن هذا مثل الذى يقول تماماً "كـان هناك وقت كان فيه الينبوع جافاً خالياً من الحياة ومن الحكمة". ولكن مثل هذا الينبوع لا يكون ينبوعاً. لأن الذى لا يلد من ذاته لا يكون ينبوعاً. يا لكثرة السخافات التى فى هذا القـول لأن الله يعد الذين يصنعون مشيئته أنهم سيكونون كينبوع لا تنضب مياهه اطلاقاً، كما يقول أشعياء النبى "وسيشبعك (الرب) كما تشتهى نفسك، وتتشدد عظامك، وتكون كحديقـة مرويـة جيـداً، وكينبوع مياه لا تنضب مياهه"[52] فبينما أن الذى يقال عنه، والذى هو فـى الحقيقـة ينبـوع الحكمة، يتجاسر هؤلاء ويجدفون عليه قائلين أنه عقيم ومجدب مـن حكمتـه الذاتيـة. إلا أن أقوالهم هذه الصادرة عنهم، إنما أقوال زائفة، أما الحقيقة فتشهد بأن الله هو الينبـوع الأزلـى لحكمته الذاتية، ولما كان الينبوع أزلياً. فبالضرورة يجب أن تكون الحكمة أزلية أيـضاً، لأنـه من خلال هذه الحكمة خلقت كل الأشياء، كما يرتل (يزمر) داود فـى المزاميـر "كلهـا (أى الأعمال) بحكمة صنعت"[53] ويقـول سـليمان "أسـس الله الأرض بالحكمـة وبـالفهم هيـأ السموات"[54].

ونفس هذه الحكمة هى الكلمة، "وبه" كما يقول يوحنا "خلقت كل الأشـياء. وبغيـره لـم يخلق شئ واحد"[55].

وهذا الكلمة هو المسيح، لأنه يوجد "إله واحد الآب الذى منه جميع الأشياء ونحـن لـه، ورب واحد يسوع المسيح. الذى به جميع الأشياء ونحن به"[56]. فان كانت كـل الأشـياء قـد خلقت به. فهو لا يمكن أن يكون بين جميع هذه الاشياء. فالذى يتجاسر أن يقول عـن (ذلـك) "الذى به خلقت جميع الأشياء". أنه واحد من بين جميع هذه الأشياء. فبالتأكيد أنه يفكـر نفـس هذه الأفكار عن الله نفسه "الذى منه جميع الأشياء" وان كان أحد يتحاشى هـذا القـول كـأمر شنيع. ويستبعد الله عن جميع الأشياء حاسباً إياه. آخر، فإنه يواصل نفس القـول أيـضاً بـأن "الابن" الوحيد الجنس الذاتى من جوهر "الآب". هو آخر مختلف عن جميع الأشياء.

ولكونه ليس واحداً من بين الجميع. فليس من الصواب أن نقول عنه "كان وقت مـا لـم يكن فيه موجوداً"، و "لم يكن موجوداً قبل أن يولد". لأن مثل هذه الأدعاءات تليف أن تقال عن المخلوقات أما "الابن" نفسه فمثله مثل "الآب". وهذا الابن هو مولود الآب الذاتى من جـوهره. وهو "كلمته" الذاتى وهو "حكمته" الذاتية. وهذه هى علاقة "الابن" الذاتية نحو "الآب" وهذا عينه

يدل على أن "الآب" هو "أب "الابن". لكى لا يقول أحد عن الله أنه كان "بدون كلمة: (غير عاقل) فى وقت ما. ولا يقول عن "الابن" أنه لم يكن له وجود فى وقت ما. لأنه ماذا يكون "الابن" بالنسبة لله أن لم يكن منه؟. أو ماذا يكون "الكلمة" و"الحكمة" أن لم يكونا من ذاته على الدوام..؟

20- متى إذن، كان الله موجوداً بدون ما هو خاص به ذاتياً؟ أو كيف يظن أحد أن ما هو خاص به ذاتياً إنما هو غريب ومن جوهر مختلف؟. لأن الأشياء الأخرى كمخلوقات ليس لها مشابهة قط مع الخالق حسب الجوهر. بل هى من خارجة. قد خلقت بنعمته ومشيئته بالكلمة ولأجل الكلمة. ولذلك فإنها يمكن أيضاً أن تتوقف (عن الوجود) يوماً ما. أن أراد الخالق ذلك. لأن هذه هى الطبيعة الخاصة بالمخلوقات.

أما ما هو من ذات جوهر الآب (وهذا هو الذى سبق أن اعترفنا به أنه هو الابن). فكيف لا يكون من الجسارة والكفر أن يقول أحد عنه أنه جاء من عدم. وأنه "لم يكن موجوداً قبل أن يولد" بل أضيف عرضاً. ويمكن ألا يكون موجوداً فى وقت ما فى المستقبل؟.

فالشخص الذى يفكر بإمعان فى هذا الأمر، فإنه سيميز أنه يحدث أنقاص لكمال وملء جوهر الآب، وهو سيرى أيضاً بوضوح أكثر شفاعة وعدم معقولية هذه الهرطقة، إذا فكر بأن الابن هو صورة وبهاء الآب، وهو شكله (المعبر عنه) وهو حقيقته.

لأنه بما أن النور موجود هكذا صورته أيضاً. أى بهاؤه وكيانه الحقيقى وهو رسمه الذى يعبر عن تعبيراً كاملاً.

وأيضاً بما أن الآب كائن هكذا تكون حقيقته (أى الابن)، فأولئك الذين يقيسون صورة اللاهوت وهيئته بمقياس الزمن فليعتبروا مدى هوة الضلال التى ينحدرون إليها.

لأنه أن لم يكن الابن موجوداً قبل أن يولد، فلا يكون الحق موجوداً فى الله دائماً. وليس من الصواب أن نقول مثل هذا القول لأنه بما أن الآب كائن فالحق موجود فيه دائماً. الذى هو الابن الذى قال "أنا هو الحق"[57]. والكيان الموجود يجب أن يكون فى نفس الوقت هو الشكل المعبر والصورة. لأن صورة الله ليست مرسومة من الخارج. بل أن الله نفسه هو والدها. والتى فيها ينظر هو ذاته ويبتهج بسببها. كما يقول الابن نفسه "كنت أنا بهجته"[58].

فمتى إذن، لم يكن الآب يرى نفسه فى صورته؟ أو متى لم يكن يبتهج، حتى يتجاسر أحد ويقول أن "الصورة هى من عدم". و"لم يكن الآب مبتهجاً قبل أن تخلق الصورة"؟ وكيف يستطيع الخالق والصانع أن يرى نفسه فى جوهر مخلوق وصائر؟ فمثلما يكون الآب هكذا يجب أن تكون صورته.

21- هلم بنا إذن لنرى خصائص الآب بتدقيق لكى ندرك أن الصورة هى صورته الذاتية.

فالآب هو أزلى، غير مائت، قدير، نور، ملك، ضابط الكل، إله، رب، خالق، وصانع.

فإن لم تكن هذه الخصائص موجودة (فى الصورة).- كما يظن الآريوسيون – أن الابن مخلوق وليس أزلياً (ففى هذه الحالة لن تكون هذه هى صورة الآب الحقيقية، ولن يكون أمامهم سوى أنهم يرفعون برقع الحياء، ويقولون، أن كلمة الصورة التى تطلق على الابن ليست علامة مميزة لجوهر مماثل، إنما هى فقط مجرد اسم له.

ولكن، مرة أخرى، فان هذا، يا أعداء المسيح، ليس بصورة وليس رسما، لأنه أى شبه بين المخلوقات التى هى من عدم وبين ذلك الذى أحضر الأشياء من العدم الى الوجود.

لأنه كيف يمكن أن يكون ما هو غير كائن، شبيهاً بذاك الذى هو الكائن حقيقة، إذ أنه كان فى وقت ما ناقصاً عنه لكونه لم يكن موجوداً، ولأنه كان له مكان داخل نظام الأشياء المخلوقة؟

لأن الآريوسيين، وهم يرغبون أن يكون الابن هكذا، يستحسنون تعليلات ابتكروها لأنفسهم قائلين: "أن كان الابن هو مولود الآب وصورته، وأنه شبيه بالآب فى كل شئ. يلزم أنه كما ان الابن قد ولد (بضم الواو وكسر اللام) منه. هكذا لابد أن يلد هو أيضاً، ويصير هو أيضاً أباً لابن.

وايضاً فان الذى يولد (من الابن) يلزم أن يلد هو أيضاً وهكذا إلى ما لا نهاية، فهذا هو ما يشعر أن المولود شبيه بالذى ولده.

حقاً أن أعداء الله هؤلاء، إنما يخترعون تشنيعات وافتراءات إذ انهم لكى لا يعترفوا بأن الابن هو صورة الآب، فإنهم يتصورون صفات جسدية وأرضية فيما يخص الآب ذاته، ناسبين إليه التقسيمات والتوالد، والحمل. إذن فإن كان الله مثل الانسان، فإنه يكون والداً كالانسان، لكى يكون الابن أيضاً والداً لابن أخر، وهكذا على التوالى وهكذا يصير الواحد من الآخر – حتى يزداد عدد الآلهة بالتعاقب، كما يظنون.

فلو أن الله ليس مثل الانسان (وهو فى الحقيقة ليس مثله). فإنه لا ينبغى أن تطبق الخصائص الانسانية عليه (على الله).

لأن الحيوانات غير الناطقة، وكذلك البشر، إنما يتوالدون على التوالى الواحد من الآخر، منذ بدء الخليقة، والمولود الذى ولد من أب، هذا الأب هو ولد (من أب) ومن الطبيعى أن يصير هذا المولود أيضاً والداً لغيره، متخذاً خاصية الولادة فى داخله من أبيه، تلك الخاصية التى تكون هو نفسه بها. ولهذا من الممكن أن يطلق على مثل هؤلاء الناس اسم أب أو اسم ابن بالصفة الخصوصية. إذ لا يكمن فيهم اطلاقاً ما هو خاص "بالاب" (أى صفة الأبوة). وما هو خاص "بالابن" (أى صفة البنوة). لأنه (أى الابن) هو نفسه ابن لوالده. وفى نفس الوقت هو أب للمولود منه.

ولكن الأمر ليس كذلك فيما يخص الألوهية لأن الله ليس مثل الإنسان، لأن الآب هو ليس من أب، ولذلك فهو لا يلد آخر يصير أباً فيما بعد. والابن أيضاً لا يخرج من الآب بالتوالد. وهو (أى الأبن) ليس مولوداً من أب سبق له أن ولد (بضم الواو وكسر اللام) لذلك فهو (أى الابن) لم يولد لكى يلد.

لذلك ففيما يخص اللاهوت وحده، فان الآب هو اب بصفة مطلقة، والأبن هو ابن بصفة مطلقة، وفى هذين وحدهما، وحدهما فقط، يظل: الآب أب دائماً، والابن ابن دائماً.

الفصل السابع:

اعتراضات الأريوسيين والرد عليها

22- إذن فالذى يبحث متسائلاً، لماذا لا يكون الابن والداً لابن؟. فليبحث أولاً، لماذا لم يكن للآب والد. ولكن كلا هذين الأمرين بعيد عن الصواب. وملئ بكل أنواع الكفر والجحود. لأنه كما أن الآب هو دائماً أب، وأنه لا يستطيع أن يصير أبناً فى يوم من الأيام. هكذا بنفس الطريقة، فان الابن هو دائماً ابن. ولن يصبح أباً فى يوم من الأيام. لأنه فى هذا بالأحرى يثبت ويتضح أن رسم الآب وصورته. ويظل باقياً كما هو بدون تغيير، لكنه قد حصل على ذاتيته من الآب ومماثلته له.

أما أن كان الآب يتغير، فان الصورة أيضاً ستتغير فى هذه الحالة. فأنه هكذا تظل الصورة والبهاء ثابتة تجاه ذاك الذى ولدها.

فان كان الآب غير متغير ويبقى هكذا دائماً كما هو، فمن الضرورى أيضاً أن تبقى صورته كما هى ولن تتغير.

إذن فالابن هو ابن من الآب، ولذلك فهو لن يصير شيئاً أخر سوى ذاك الذى هو من جوهر الآب الذاتى.

إذن فمن العبث أن يخترع الحمقى هذا (الاعتراض) أيضاً. وهم الذين يرغبون فى فصل وأبعاد الصورة عن الآب، لكى يساووا الابن بالمخلوقات.

وبناء على ذلك، فان مشايعى أريوس – وضعوا الابن بين مصاف المخلوقات – بحسب تعليم أوسابيوس –[59] معتبرين كأنه مثل الاشياء التى خلقت بواسطته. وبذلك فانهم ابتعدوا عن الحقيقة.

وهم فى بداية اختراعهم لهذه الهرطقة، كانوا يجولون معبأين بكليمات خداع ماكرة، جمعوها معاً، بل وهم إلى الآن، عندما يلتقى بعضهم مع الصبية، ويسألونهم، ليس من الكتب

المقدسة طبعاً، بل من "فضلة قلوبهم" يتقيأون قائلين: "من هو ذاك الذى خلقه الكائن من الكائن هل هو ذلك الغير كائن أم هو الكائن؟.

"فهل إذن قد خلقه (الابن) وهو كائن أم وهو غير كائن؟. "وهل يوجد واحد فقط غير مخلوق أم اثنان غير خلوقين؟".

"وهل هو ذو أرادة حرة، ولا يتغير بأختياره الذاتى، رغم أنه من طبيعة متغيرة؟. لأنه ليس كالحجر يظل ثابتاً بلا حركة من ذاته، ثم يتقدمون بعد ذلك الى النسوة الغريرات، ويخاطبوهن أيضاً، بكليمات مخنثة قائلين: "هل كان لك ولد قبل أن تلديه"؟ فكما أنه لم يكن لك ولد هكذا أيضاً ابن الله لم يكن موجوداً قبل أن يولد" وهكذا فان عديمى الشرف يتلاعبون بمثل هذه الأقوال وهم يسخرون مشبهين الله بالناس، زاعمين أنهم مسيحيون ويبدلون مجد الله "بشبه صور الانسان الذى يفنى"[(60)].

23- ومثل هذه الأقوال المفرطة فى الغباء والحماقة كان يجب ألا يرد أحد عليها، إلا أنه، لكى لا تبدو هرطقتهم وكأنها أمر أكيد، فإنه يكون من الواجب أن نفندها، خاصة من أجل النساء الغريرات اللاتى أنخدعن منهم بسهولة.

وما داموا يقولون هذه الأقوال، فينبغى عليهم أن يسألوا المهندس أيضاً هكذا "هل تستطيع أن تبنى بدون استخدام المواد الضرورية؟" فكما أنك أنت لا تستطيع فهكذا الله أيضاً لم يكن ليستطيع أن يخلق كل شئ بدون استخدام المواد الضرورية.

أو كان من الواجب أن يسألوا كل إنسان "هل يمكنك أن تكون موجوداً بغير مكان؟ فكما أنك لا تستطيع هكذا فان الله أيضاً يوجد فى كل مكان". ليتهم يواجهون السامعين، وعندئذ سيخجلون منهم.

أو فلماذا عندما يسمعون أن لله ابناً، ينكرون هذا الأمر، مفسرين هذا الإنكار بما يحدث بينهم؟

فى حين أنهم أن سمعوا أن الله يخلق ويصنع، لا يعودوا يعارضون ذلك بالأمور البشرية؟ وكان يجب عليهم فى حالة الخلق أيضاً أن يفهموه بحسب ما يحدث بين البشر، وأن

يزودوا الله مقدماً بالمادة اللازمة، وبذلك فإنهم ينكرون أن الله هو الخالق، وتبعاً لـــذلك فـــأنهم يصلون إلى التمرغ فى الوحل مع المانويين.

فإن كانت الفكرة عن الله تسمو فوق هذه الأفكار فإن من يسمعها يؤمن ويعـــرف أن الله موجود ليس كما نوجد نحن، ب أنه موجود كإله، وأنهن يخلق لا كما يخلق الناس، بـــل هـــو يخلق كإله. ومن هذا يتضح أنه يلد ليس كما يلد الناس، بل هو يلـــد كإلـــه. لأن الله لا يقتـــدى بالبشر، بل الأحرى البشر (هم الذين يقتدون بالله) لأن الله – على وجه الخصوص – هو وحده حقاً الآب لابنه الذاتى، أما الآباء (البشريون) فقد دعوا كذلك آباء لأولادهم، من الله "الذى منـــه تسمى كل أبوة فى السموات وعلى الأرض"[(61)] وأن كان ما يقولونه يبقـــى بـــدون تحقيـــق أو مراجعة، فإنه سيظنون أن كلامهم معقول، وأما عند مراجعة كلامهم بفهـــم واع، فـــسنجد أن كلامهم هذا يستدعى الضحك والسخرية الشديدة.

24– أول كل شئ. فان أول سؤال من أسئلتهم هذه، يعتبر لا معنى له بل هو غـــامض، لأنهم لا يوضحون، من هو الذى يسألون عنه، حتى يجيب عليه من وجه إليه الـــسؤال. فهـــم يقولون بسذاجة "الكائن، هو ذلك الذى لا يكون موجوداً".

إذن، فمن هو الكائن، وما هى الأشياء غير الكائنة أيها الآريوسيون؟. أو من هو "الكائن" ومن هو "غير الكائن"؟ ومن الذى يقال عنه "كائن" أو "غير كائن"؟ إذ أنه فى وسع ذلك الـــذى هو الكائن أن يصنع الأشياء غير الكائنة، والأشياء الكائنة، والأشياء التى كانت من قبل.

إذن فالنجار والصائغ والفخارى، كل منهم بحسب فنه الخاص، يشكل المادة الموجـــودة قبلاً، صانعاً منها الشكل الذى يريده.

والله ذاته، إله الكل، إذ قد أخذ من تراب الأرض الذى كان موجوداً، جعل منه الانـــسان فى الحال، وهذه الأرض نفسها التى خلق منها الانسان لم تكن موجودة من قبل، ومن ثم أتـــى هو بها الى الوجود بواسطة كلمته الذاتى.

فإن كانوا يتساءلون هكذا عن الأمور، فإنه يتضح أن الخليقة لم تكن موجـــودة قبـــل أن تخلق، فى حين أن البشر (أى النجار والصائغ والفخارى)، يشكلون المـــادة الموجـــودة قـــبلاً، وهكذا يظهر كلامهم مفككاً غير مترابط. ولذا فإن كلاً من الكائنات وغير الكائنـــات يمكـــن أن تخلق كما سبق أن قلنا.

ولكن إن كانوا يتحدثون عن الله وعن كلمته، فليضيفوا على سؤالهم ما ينقصه، ودعهم يسألون هكذا. "هل كان الله، الذى هو كائن، موجوداً فى وقت ما، بدون كلمة؟" وكونه هو نور، فهل كان بلا ضياء (هل كان مظلماً)؟ أم أنه كان هو دائماً أبا الكلمة؟.

أو بمعنى آخر: "هل خلق الآب الذى هو كائن الكلمة غير الكائن، أم أن الكلمة الذى هو مولود فى جوهره الذاتى، كان دائماً موجوداً عنده فى داخله؟.

وهذه الأسئلة تجعلهم يعرفون أنهم إنما يتجاسرون ويقحمون أنفسهم فى اختراعات ومغالطات عن الله وعن ذلك الذى هو منه. فمن يستطيع أن يحتمل سماعهم وهم يقولون أن الله كان فى وقت ما بدون كلمة.؟ لأنهم يسقطون ثانية ويهوون فيما هم عليه من ضلالات سابقة، بالرغم من محاولاتهم للتهرب من هذه واخفائه بمغالطاتهم ودهائهم المضلل، ولكنهم لم ينجحوا فى ذلك.

فلا يرغب أحد إطلاقاً أن يسمعهم وهم يشككون قائلين أن الله لم يكن أباً دائماً، بل صار أباً فيما بعد، لكى يتخيلوا أن كلمته أيضاً، لم يكن موجوداً فى وقت ما.

إذ أنه توجد براهين كثيرة سبق ذكرها، تدحض وتكذب أقوالهم. فها هو يوحنا يقول "كان الكلمة"[(62)] وهذا بولس يكتب أيضاً "الذى هو بهاء مجده"[(63)] وأيضاً "الكائن فوق الكل الهاً مباركاً إلى الأبد. آمين"[(64)].

25- كان من الأفضل لهم أن يهدأوا ويصمتوا، ولكن بما أنهم لا يصمتون، فلا يتبقى إلا أن يقوم أحد بالرد بجرأة على سؤالهم الوقح. فربما عندما يرون أنفسهم وهم مقيدون بنفس هذه السخافات والضلالات، فقد يتوقفون عن الصراع ضد الحق.

وأننا ندعو الله بشدة أن يترآف علينا، ويأتى لمعونتنا لكى نتمكن من الرد عليهم عندما يتساءلون ويقولون: "هل الله الكائن قد صار إلى الوجود فى حين أنه لم يكن موجوداً؟ أم أنه كان موجوداً قبل أن يصير إلى الوجود؟ فإن كان هو كائن، فهل هو صنع نفسه أم أنه جاء من العدم وأظهر نفسه بغتة؟". أن مثل هذا التساؤل لهو سخيف ومناف للعقل، بل أكثر من ذلك فهو ليس منافياً للعقل فقط بل هو ملئ بالتجديف أيضاً، إلا أنه فى الواقع لا يختلف عما هو عندهم. لأن أقوالهم الأخرى (أى جوابهم على السؤال) مليئة بكل أنواع الكفر وعدم التقوى. لأنه إن كان أحد يتساءل عن الله بهذا الأسلوب، فيعتبر هذا تجديفاً وكفراً شنيعاً، فإنه يعتبر

أيضاً تجديفاً أن يسألى أحد نفس هذه الأسئلة عن كلمته. فلأجل دحض مثل تساؤلهم الأحمق وغير المعقول هذا، فمن الضرورى إذن أن نجيب هكذا: أن الله كائن وهو كائن منذ الأزل، وحيث أن الآب كائن دائماً، فإن بهاءه أيضاً الذى هو كلمته، هو أزلى كذلك. وأيضاً فإن الله الكائن، عنده الكلمة من ذاته وهو أيضاً كائن.

فلا الكلمة أتى الى الوجود فيما بعد، أى بعد أن لم يكن موجوداً من قبل، ولا الآب كان فى وقت ما بدون كلمة. لأن التجاسر المتهور على الأبن يؤدى إلى التجديف على الآب، كما لو كان قد ابتدع لنفسه من خارجه حكمة وكلمة وأبناً. لأنك أن استخدمت واحدة من هذه ا(الأوصاف الثلاثة)، فإنما هى تعنى المولود من الآب كما سبق أن قيل.

ولذلك فإن سؤالهم هذا يعتبر متناقضاً، ولأنهم ينكرون الكلمة (مصدر العقل)، فمن الطبيعى أن يكون سؤالهم مناقضاً للعقل والمنطق.

وكما أنه عندما يرى أحدهم الشمس، فيأخذ فى التساؤل عن بهائها ويقول: "هل ما هو كائن (الشمس)، قد صنع ما هو غير موجود أم ما هو موجود" فمثل هذا الشخص الذى يسأل هكذا يعتبر أنه لا يفكر تفكيراً سليماً، بل يعتبر خرقاً فاقد اللب، لأنه يتصور أن ما هو صادر بكليته عن النور، أنه من خارج النور، ويتساءل عنه قائلاً متى؟ وأين؟ وعندما؟. فإن كانت (الشمس) قد صنعت، فأنه يتصور مثل هذه الأشياء عن الابن وعن الآب، ويأخذ فى التساؤل عنهما بنفس الطريقة ولكن تساؤله يكو بجنون أعظم بكثير، متصوراً أن الآب جلب إليه الكلمة من خارج ذاته، ويقول عن الذى هو بطبيعته مولود، أنه مخلوق، وهو يجادل بذهن مبلبل قائلاً "أنه لم يكن موجوداً قبل أن يولد" فليسمعوا الجواب على سؤالهم، فإن الآب الكائن قد صنع الابن الكائن، لأن "الكلمة صار جسداً" (يو14:1). وبينما هو ابن الله فقد جعله ابن الانسان ايضاً عند انقضاء الدهور، إلا إذا قالوا حسب تعليم الساموساطى[(65)]، أنه لم يكن موجوداً قبل أ، يصير انساناً. ويكفيهم هذا رداً منا على سؤالهم الأول.

26- يا معشر الأريوسيين، وأنتم تذكرون نفس أقوالكم، خبرونا: "هل الذى هو كائن، أم الى من هو كائن، لأجل خلقة كل الأشياء؟" لأنكم قلتم أنه صاغ لنفسه الابن كأداة لكى يخلق بواسطته كل الأشياء.

أيهما أفضل، أذن هل الذى يحتاج أم الذى يسد الاحتياج؟.

أم أن لكلاً منهما يستكمل احتياج الواحد للآخر؟ لأنه بقولكم مثل هذا الكلام فانكم تثبتون ضعف الخالق، ان كان لا يقوى وحده على أن يخلق كل الأشياء بل يبتكـــر لنفـــسه أداة مـــن الخارج، كما لو أن نجاراً أو صانع سفينة لا يستطيع أن يعمل أى شئ بدون مطرقة أو منشار.

هل هناك، إذن، ما هو أكثر كفراً من هذا؟ أو ما الذى يدعو عموماً للانشغال بمثل هـــذه الأمور المخيفة، إذا كان ما سبق أن قيل يكفى لاثبات أن اقوالهم مـــا هـــى إلا محـــض وهـــم وخيال.

الفصل الثامن:

الاعتراضات والرد عليها (بقية)

وأما من جهة تساؤلهم الآخر الشديد فى سخافته وحماقته وهو التساؤل الذى وجهوه الى النسوة الغريرات. وحتى بخصوص هذا التساؤل، فلم يكن ينبغى أن يجاب عليه من أحــد بمــا سبق أن قلناه فقط. فإنه لا يجب مقارنة الولادة التى من الله بالولادة فى طبيعة البشر.

ولكن جدير بنا أن نرد عليهم بهذا الأسلوب. لكى يدينوا أنفسهم بخصوص هذا الأمــر: ولذلك نقول: أنه من المؤكد، لو أنهم سألوا الوالدين عن أبنهم، دعهم يفكرون من أيــن جــاء الطفل المولود. لأنه إن لم يكن للوالد ولد قبل أن ينجبه، فإنه حتى بعد الحصول عليه لم يكــن حصوله عليه طبعاً من خارجه ولا غريباً عنه بل هو من ذات جوهره ومطابق لصورته، حتى أن هذا (الأب) يرى (بضم الياء) فى ذاك (الولد) وذاك (الولد) يرى (بضم اليــاء) فــى هــذا (الاب).

فإن كانوا ينتقون عنصر الزمن منالأمثلة البشرية عن الولادة فلما لا يأخذون بالمثل من هذه الأمثلة البشرية، إن الأبناء يولدون بحسب طبيعة آبائهم ومن ذاتهم، بدلاً مــن أن يعملــوا (أى الآريوسيين) كالحيات التى تنتقى من الأرض فقط، ما يلائم أن يصيرسماً.

فكان إذن من الواجب، أنهم حينما يتباحثون مع الوالدين قائلين لهم: "هل كان لك ولد قبل أن تنجبه؟" كان ينبغى أن يضيفوا ويقولوا: "أن كنت قد حصلت على ولد، فهل أنــت اشــتريته من الخارج كما تشترى بيتاً أو أى ممتلكات أخرى؟" وحينئذ فإنهم يجيبونك قائلين "أنه ليس من

خارجى، بل هو من ذاتى، لأن الممتلكات هى من خارج وتنتقل من واحد إلى أخر، أما الابن فهو منى من ذات جوهرى ومطابق له، حيث أنه لم يأت إلى من آخر، بل هو قد ولد منى، ولهذا السبب فانى بكل كيانى موجود فيه. بينما أظل أنا نفسى كما أنا".

لأن هذا هو واقع الحال، حتى أن اختلف الوالد (عن الله الآب) من ناحية الزمن. لأنه كإنسان قد أتى الوجود فىالزمن، ولكنه هو أيضاً كان يمكن أن يكون عنده ابنه موجود معه دائماً. لو لم تمنعه طبيعته من ذلك، أى لو كانت القدرة الإنجابية لا تعرف عن ذلك.

حقاً أن لاوى كان لا يزال فى صلب جده الأكبر (إبراهيم) (أنظر عب5:7 –10) قبل أن يولد هو. وقبل أن يولد جده (اسحق). إذن حينما يبلغ الإنسان هذه السن الملائمة. التى تمكنه فيها الطبيعة من الإنجاب، فإن المرء يصير حالاً. أبا لأبن يولد منه. ما دامت الطبيعة لا تعوقه.

27– ولذلك إن كانوا عندما يسألون الوالدين عن الأولاد. ويعرفون منهم بأن الأولاد الذين بالطبيعة ليسوا من خارج، بل هم من والديهم. دعهم إذن يعترفونأيضاً بخصوص كلمة الله بأنه من الآب كلية.

وعندما يجادلون بخصوص الزمن، دعهم يقولون ما الذى يمنع الله من أن يكون هو أبو الابن على الدوام – دعهم يقولون ما الذى يمنعه من ذلك (لأنه ينبغى البرهنة على أنهم كافرين ما يسألون عنه وهم ساخرون). لأنه قد تم الاقرار والاعتراف بأن كل ما هو مولود إنما يأتى من أب.

إذن فهم مثلما سألوا النساء عن الأزمنة، دعهم أيضاً يسألون عن الشمس بخصوص اشعاعها. وعن الينبوع بخصوص الماء الذى يتدفق منه. وذلك لكى يحكموا كلية على أنفسهم، عندما يفكرون شيئاً من هذا القبيل عن الله. وذلك حتى يتعلموا أنه بالرغم من أن كل هذه الأشياء مولودة. إلا أنها كائنة دائماً مع تلك الأشياء التى خرجت منها.

فإن كان مثل هؤلاء الوالدين لهم مع أبنائهم، قرابة بالطبيعة، وأيضاً "وجود دائم" معهم، فإذا كانوا يظنون أن الله أقل من المخلوقات. فلماذا لا يصرحون بكفرهم علانية؟ ولكن إن كانوا لا يتجاسرون أن يقولوا هذا علانية. بينما أن الابن يعترف به بأنه ليس من خارج (الآب). بل هو مولود بالطبيعى من الآب. وأنه لا يوجد أى شئ يعوق الله (لأن الله ليس مثل

الإنسان، بل هو أعظم من الشمس، بل بالحرى فإنه إله الشمس). فيتضح من ذلك أن الكلمة هو من الآب وأ،ه موجود معه دائماً. والذى بواسطته قد أبرز الآب إلى الوجود كل الأشياء التى لم تكن موجودة من قبل. ولأن الابن إذن لم يأت من العدم بل هو أزلى ومن الآب، فإن هذا يثبت الأمر نفسه.

أما سؤال الهراطقة الموجه للوالدين. فإنه يكشف خبثهم وسوء نيتهم. فأنهم عرفوا ما هو بحسب الطبيعة، والآن قد تم فضحهم بخصوص موضوع الزمن.

28- إن ولادة الله لا يجب أن تقارن بطبيعة البشر، وكذلك لا يجب إعتبار ابن (الله) جزءاً من الله، أو إعتبار أن الولادة تعنى أى ألم شهوة على الاطلاق. وإذ نحن نكتفى بما سبق لنا قوله، فإننا الآن نعيد نفس الكلام وهو أن وجود الله ليس كوجود الإنسان.

فإن البشر يلدون بالشهوة، حيث أن لهم طبيعة متغيرة، وهم ينتظرون إلى الوقت (للولادة)، نظراً لضعف طبيعتهم ذاتها، ولكن لا يمكن أن نقول هذا الكلام بالنسبة لله. لأن الله غير مركب من أجزاء، بل بسبب كونه بلا هوى أو شهوة. كما أنه بسيط غير مركب. لذلك فهو أبو الابن دون حدوث تغيير فيه ودون انفصال. وهذا الأمر يوجد بشأنه دليل وبرهان قاطع من الكتب الإلهية.

لأن كلمة الله هو ابنه. والابن هو كلمة الآب وحكمته، فإن الكلمة والحكمة ليس مخلوقاً. وليس هو جزءاً من ذلك الذى له كلمته (أى الآب). ولا هو مولود بالألم والشهوة. فكلا (اللقبان) وحدهما (بتشديد الدال) الكتاب وأعطاهما لقب "ابن" بصورة مؤكدة، لكى يبشر به أنه المولود الطبيعى والحقيقى للجوهر، وذلك حتى لا يظن أحد أن المولود هو بشرى. بينما هو (الكتاب) يقصد جوهره. ولهذا يقول الكتاب أيضاً أنه الكلمة والحكمة والبهاء. وذلك لكى ندرك من هذا أن الولادة بلا ألم أو شهوة، وأنها أزلية ولائقة بالله. إذن فأى تغيير أو شهوة هناك. أو أى جزء من الآب أيضاً يجب أن يسألوا الرجال عن الكلمة. وذلك لكى يعرفوا أن القول الذى ينطقون به ليس تغييراً لهم. ولا هو جزءاً من عقلهم. فإن كانت أيضاً يجب أن يسألوه الرجال عن الكلمة. وذلك لكى يعرفوا أن القول ينطقون به ليس تغييراً لهم. ولا هو جزءاً من عقلهم. فإن كانت كلمة البشر بمثل هذه الكيفية. رغم أنهم يخضعون للتغيير والشهوة. ورغم كونهم متجزئين، فلماذا يفكرون فى التغيير والإنقسام بالنسبة لله غير الجسدى وغير المنقسم. لكى عن طريق التظاهر بتوقير الله، ينكرون ولادة الابن الحقيقية والطبيعية؟.

إن المولود الذى هو من الله ليس شهوة أو تغييراً. ويكفى ما سبق لإثبات هــذا. خاصــة وقد تم الآن إثبات أن الكلمة ليس مولوداً بحسب الألم والشهوة. فليسمعوا أيضاً نفس الكلام عن الحكمة. فإن الله ليس مثل الإنسان، ولا يتخيلوا عنه شيئاً بــشرياً. لأن البــشر خلقــوا لتقبــل الحكمة، أما الله، فهو لا يشترك فى شئ، بل هو نفــسه أب لحكمتــه الخاصــة، التــى يلقــب المشتركون فيها عادة بلقب حكماء. والحكمة نفسها أيضاً ليست شهوة أو تغييراً. وهى ليــست جزءاً ولكنها المولود الذاتى للآب. لذلك فهو دائماً أب. وخاصية الآب ليست خاصية أضــيفت لله فيما بعد. وذلك لكى لا يعتبر أنه خاضع للتحول، لأنه إن كان من الصلاح أن يكون الله أباً. ولكنه لم يكن دائماً أباً إذن. فواعجبى إلا يكون الصلاح موجوداً فى الله دائماً!.

29- أنهم يقولون "ها هو الله كان على الدوام خالقاً، وأن قدرته علــى الخلــق ليــست إضافية بالنسبة له، فهل إذن لأن الله خالق، تكون مخلوقاته أزلية، وهل يكون من الصواب أن نقول عن هذه المخلوقات أنها كانت موجودة قبل أن توجد؟" يا لجنــون الأريوســيين، فــأى مشابهة هناك بين الابن والخليقة، حتى يقولوا عن من هو خاص بالآب نفس ما يقولونه عمــا يخص المخلوقات. وكيف يصر هؤلاء على جهلهم بعد ما تبين مما سبق الفرق العظــيم بــين المولود والمخلوق. لذلك فمن الضرورى أن نعيد نفس الكلام ونقول أن الخليقة هى من خارج الخالق، كما سبق القول. فى حين أن الابن هو المولود الذاتى من الجوهر. لذلك فليس هنــاك حاجة لوجود الخليقة دائماً، لأن الخالق يصنعها حينما يشاء، أما المولود فلا يخضع فى وجوده للمشيئة، بل هو خاص بذات الجوهر، فالصانع يلقب صانعاً ويكون كذلك، حتى لو لم تكن لــه مصنوعات بعد، أما الآب فلا يلقب أباً ولا يكون كذلك ما لم يكن له ابن موجود.

أما إن كانوا يبحثون الأمر بفضول وحب استطلاع قائلين، لمــاذا لا يخلــق الله علــى الدوام، وهو القادر أن يخلق دائماً، فإن جسارتهم هذه جسارة المجانين، لأن "من عــرف فكــر الرب، أو من صار له مشيراً" (رو34:11) أو "كيف تقول الجبلة للخــزاف، لمــاذا صــنعتنى هكذا؟" (رو20:9) ولكن لكى لا تصمت عن الرد على منطقهم الضعيف هذا، فليــسمعوا: أنــه بالرغم من أن الله له القدرة على الدوام أن يخلق، إلا أنه ليس فى اســتطاعة المخلوقــات أن تكون أزلية. لأن هذه المخلوقات وُجدت من العدم ولم تكن موجودة قبل أن تخلق. فكيف يمكن إذن لهذه المخلوقات التى لم تكن موجود قبل أن تخلق. أن تكون موجــودة مــع الله الموجــود دائماً؟.

ولذلك فإن الله وهو يهتم بما فيه منفعة الخلائق، فإنه قد خلق كل الأشياء، عندما رأى أن هذه الأشياء يمكنها أن تبقى بعد أن تخلق.

وكما أنه قادراً من البدء. أن يرسل كلمته فى أيام آدم أو فى أيام نوح، أو فى أيام موسى. ولكنه لم يرسله إلا فى أخر الدهور، لأنه رأى أن هذا نافع لكل الخليقة، هكذا أيضاً فإنه خلق المخلوقات عندما أراد، وعندما كان هذا نافعاً لهم.

أما الابن – فلكونه غير مخلوق، بل هو من ذات جوهر الآب، فإنه موجود دائماً.

ولأن الآب موجود دائماً، فلابد أن يكون الذى هو من ذات جوهره، موجود دائماً أيضاً. والذى هو حقاً كلمته وحكمته.

أما الخلائق، وإن لم تكن قد وجدت بعد. فإن هذا لا ينقص من شأن الخالق، لأن له القدرة أن يخلق عندما يشاء. أما المولود فإن كان لا يكون موجوداً على الدوام مع الآب، فإن هذا ينقص من كمال جوهره. ولأجل هذا فإن المخلوقات قد خلقت عندما شاء هو من خلال كلمته. أما الإبن فهو – على الدوام – المولود الذاتى لجوهر الآب.

الفصل التاسع:

عبارة "غير المخلوق"

30- أن أقوالنا هذه تبهج المؤمنين، ولكنها تحزن الهراطقة الذين يرون هرطقتهم وقد دحضت وأبطلت، بهذه الأقوال.

وأيضاً فإن سؤالهم ذلك الذى يقولون فيه "هل هناك واحد فقط غير مخلوق ( ) أم أثنان؟" يثبت أن تفكيرهم ليس مستقيماً، بل هو مريب وملئ بـالغش والخـداع. فـإنهم لا يسألون هذا السؤال من أجل أكرام الآب، بل من أجل أهانة الكلمة. فلو أن أحد النـاس وهـو يجهل خبثهم ودهاءهم أجابهم بأن الغير مخلوق هو واحد، ففى الحال ينفثون سمومهم قـائلين: "إذن فالابن ينتمى إلى المخلوقات، وحسناً ما قلناه بأنه لم يكن موجوداً قبل أن يولـد، وهكـذا فإنهم يخلطون كل الأشياء وبهذا يثيرون الإضطرابات، وذلك لكى يفصلوا الكلمة عـن الآب، ويحسبوا الذى هو خالق الكل، أنه من بين مخلوقاته.

أنهم يستحقون الإدان والتنديد بهم، أولاً، لأنهم بينمايلومون الأساقفة الذين اجتمعوا فـى نيقية[(66)] بسبب استخدامهم لعبارات ليست من الكتاب المقدس – رغم أنها ليس عبارات مضادة للإيمان بل قد وضعت بهدف فضح كفرهم، فقد وقعوا هم أنفسهم فى نفـس الأمـر، أى أنهـم نطقوا بعبارات ليست من الكتاب المقدس وابتدعوا اهانات ضد الرب، "وهـم لا يعرفـون مـا يقولونه ولا ما يقررونه" (1تيمو7:1).

لذلك فليسألوا إذن، اليونانيين. الذين سبق أن سمعوا منهم ما قالوه (لأنه ليس من الكتـب المقدسة بل من اختراعهم) وذلك لكى يسمعوا منهم أيضاً. كم للفظ (غيـر المخلـوق – غيـر الصائر) من معان عديدة، وعندئذ سيتعلمون أنهم حتى لا يعرفوا أن يسألوا السؤال الـصائب، وذلك حتى بخصوص الأشياء التى يتحدثون عنها.

لأنى أنا أيضاً – بسببهم – قد سألت وعرفت، (عبارة)، غير المخلوق" (غيـر الـصائر) يقصد بها ذلك الذى لم يصر له وجود، ولكنه من الممكن أن يصير. وذلك مثل الخشبة التى لم تكن قد صارت سفينة بعد ولكنها من الممكن أن تصير كذلك. وأيضاً فإن "غير المخلـوق" (أو غير الصائر). هو ذاك الشئ الذى لم يصر بعد، وليس من الممكن أن يصير أبداً، مثل المثلـث الذى لا يمكن أن يصير مربعاً أو العدد الزوجى أن يصير فردياً. ذلك لأن المثلث لم يصر قط مربعاً ولا يمكن أن يكونه أبداً، كما لم يحدث قط أن صار العدد الزوجى فردياً ولا يمكـن أن يكونه.

وأيضاً يقصد بكلمة "غير الصائر – (غير المخلوق)" ما هو موجود، دون أن يصير من أحد، وليس له والد بالمرة.

وقد أضاف أيضاً أستيريوس[67]السفسطى الخبيث، وهو المدافع عن هذه الهرطقة فى مقالته قائلاً: بأن غير المخلوق – (غير الصائر)، هو الذى لم يخلق (بضم الياء) ولكنه كائن دائماً.

فكان ينبغى إذن حينما يسألون السؤال. أن يضيفوا ما المعنى الذى يفهمون به كلمة "غير المخلوق – (غير الصائر)، حتى أن الذى يسألونه يستطيع أن يجيب الإجابة الصائبة.

31- إن كانوا يحسبون أنهم يسألون السؤال الصائب. بقولهم "هل هناك واحد فقط غير مخلوق (غير صائر) أم اثنان؟" فإنهم أولاً سيسمعون الجواب – بإعتبارهم جهلة –، أن الأشياء غير المخلوقة (غير الصائرة) كثيرة، وليس لها وجود. كما أن الأشياء التى يمكن أن تخلق (أن تصير) هى أكثر جداً. وغير الكائن ليس فى إمكانه أن يصير كما سبق أن قيل.

أما إن كانوا يسألون عن نفس الموضوع، على غرار أستيريوس بأن غير المخلوق (غير الصائر) هو الذى لم يخلق ولكنه كائن دائماً. فليسمعوا لا مرة واحدة بل مرات كثيرة، بأنه من الممكن أيضاً أن يقال عن الابن، أنه غير مخلوق (غير صائر) بحسب هذا المعنى المقبول عندهم، لأنه لا يحسب بين الأشياء المخلوقة، ولا هو مخلوق بل بالعكس فإنه كائن منذ الأزل مع الآب، كما سبق أن أتضح. وذلك رغم تقلباتهم (أى تقلبات الآريوسيين) الكثيرة، والتى ليس لها من هدف سوى أن يتكلموا ضد الرب قائلين "أنه وجد من العدم"، وأنه "لم يكن موجوداً قبل أن يولد".

وهكذا فبعد أن خذلوا من كل ناحية، فإنهم أخذوا يسألون أيضاً بخصوص ذلك المعنى الذى يكون بمقتضاه "غير المخلوق (غير الصائر) هو ذلك الذى يكون موجوداً، بدون أن يكون مولوداً من أحد، وليس له أب خاص به" فأنهم سيسمعون منا أيضاً أن المقصود "بغير المخلوق" (غير الصائر) هو بهذا المعنى واحد فقط وهو الآب ولن يحصلوا على أى شئ أكثر مما سمعوه.

لأن القول بأن الله "غير مخلوق" (غير صائر) بهذا المعنى، لن يبرهن القول بأن الابن مخلوق (صائر). وفقاً للبراهين السابقة. إذ يتضح أن الكلمة هو مثل ذاك الذى ولده. وتبعاً لذلك. فإن كان الله غير مخلوق (غير صائر)، فصورته – أى كلمته وحكمته ليس بمخلوق بل

هو مولود. لأنه أى مشابهة هناك بين المخلوق (الصائر). وغير المخلوق (غير الصائر)؟ (لأنه ينبغى ألا نكل من تكرار نفس الكلام).

فإن كانوا يريدون أن يجعلوا المخلوق مشابهاً لغير المخلوق فيكون أن من يرى هذا كمن يرى ذاك، فليس بعيداً عليهم إذن أن يقولوا. أن غير المخلوق هو صورة خلائقه، وبذلك تكون كل الأشياء قد اختلطت فى أذهانهم. وبذلك يساوون بين المخلوقات وغير المخلوق، وهذا يعتبر إلغاء لغير المخلوق وقياسه بقياس المخلوقات. وكل هذا إنما يفعلونه فقط لكى يحطوا من قدر الإبن ويحسبونه فى عداد المخلوقات.

32- ولكنى أظن أنهم لا يرغبون أن يستمروا مداومين على مثل هذه الأقوال، إن كانوا قاً يشايعون أستيريوس السوفسطائى. فإنه رغم أهتمامه بالدفاع عن الهرطقة الأريوسية بقوله أن غير المخلوق (غير الصائر) هو واحد، فإنه يناقضها مؤكداً أن حكمة الله أيضاً غير مخلوق وليس له بداية وهاك بعض المقاطع مما كتبه: "لم يقل المغبوط بولس أنه كرز بالمسيح على أنه القوة التى لله والحكمة التى لله[68] ولكنه بدون استعمال أداة تعريف قال، قوة الله وحكمة الله، وهكذا كرز بأن قوة الله الذاتية، التى هى من طبيعته، والكائنة معه أزلياً، إنما هى قوة أخرى". وبعد قليل أيضاً يقول "ولكن قوته الأزلية وحكمته التى يوضح منطق الحق إنها حقاً بلا بداية وغير مخلوقة (غير صائرة)، إنما هى واحدة بالتأكيد". لأنه وإن كان لم يفهم كلمات الرسول فهماً سليماً بظنه أن هناك حكمتان. ولكنه مع ذلك بقبوله القول بحكمة مشاركة معه فى الوجود دائماً، فهو يقول أن غير المخلوق (غير الصائر) ليس واحداً بعد. بل أن هناك غير مخلوق (غير صائر) آخر معه لأن المشارك (بكسر الراء) فى الوجود لا يتشارك فى الوجود مع نفسه بل مع آخر. ولذلك فليكف أولئك المشايعون لاستيريوس عن التساؤل: "هل غير المخلوق (غير الصائر) واحداً أم اثنان وإلا فإنهم سيصطدمون به فى هذا الأمر ويرتابون فيه.

ومن الناحية الأخرى، فإن كانوا يقاومونه فى ذلك أيضاً فليكفوا عن الأعتماد على كتابه، لئلا ينهشوا بعضهم بعضاً ويفنوا بعضهم بعضاً.

هذا هو ما قالوه بسبب جهالتهم، وماذا يستطيع أى شخص أن يقول أزاء مكرهم هذا؟ ومن هو الذى لن يكره بحق أولئك المتهوسين إلى هذه الدرجة؟.

فما داموا لا يتجاسرون أن يقولوا صراحة "أنه من العدم". وانه "لم يكن موجوداً قبل أن يولد". لذلك أخترعوا لأنفسهم عبارة "غير مخلوق" (غير صائر). لكى بقولهم عن الابن أنه "مخلوق" (صائر)، وسط السذج البسطاء، فإنهم يقصدون نفس تعبيراتهم السابقة تلك وهى "أنه من العدم" وأنه "لم يكن موجوداً قط قبل أن يولد". لانهم يعنون بهذه العبارات "الأشياء الصائرة والمخلوقة".

33- فلو كانت لديهم الثقة فى ما يقولونه، لكان من الواجب عليهم أن يظلوا ثابتين على موقفهم، ولا يتغيرون بطرق متنوعة، ولكنهم يرفضون ذلك. ظانين أنه يمكنهم أن ينجحوا بسهولة، إذا هم أخفوا هرطقتهم تحت ستار كلمة "غير المخلوق" (غير الصائر) وفى الواقع فإن لفظة "غير المخلوق" هذه لا تستعمل (عن الله) بالنسبة إلى الابن – ولو أنهم يتذمرون – بل بالنسبة إلى المخلوقات وهكذا يمكن أن نرى نفس الشئ فى كلمة "ضابط الكل"، وكلمة "رب القوات" فلو أن الآب يضبط ويسود كل الأشياء من خلال الكلمة. والإبن يملك مملكة الآب وتكون له السيادة على الكل. حيث أنه هو كلمة الآب وصورته. فيكون واضحاً إذن أن الابن لا يحسب من بين الكل، ولا يسمى الله "ضابط الكل"، "والرب" بالنسبة إلى الابن، بل بالنسبة إلى المخلوقات التى (تكونت) عن طريق الابن، وهى تلك التى يضبطها ويسودها بواسطة الكل. وهكذا فإن لفظة "غير مخلوق" لا تستعمل (عن الله) بالنسبة إلى الإبن ولكن بالنسبة إلى المخلوقات التى هى عن طريق الإبن، وأن هذا لصواب، حيث أنه ليس مثل المخلوقات. بل هو خالقها وصانعها بواسطة (من خلال) الإبن. كما أن لفظة "غير مخلوق" تستعمل (عن الله) بالنسبة إلى المخلوقات، هكذا أيضاً فإن كلمة "الآب" تعلن عن الإبن. فإن من يسمى الله صانعاً وخالقاً وغير مخلوق. فإنه يرى ويفهم الأشياء المخلوقة والمصنوعة. أما الذى يسمى الله أباً فإنه فى الحال يدرك الإبن ويعرفه. ولذلك فقد يدهش البعض من حبهم للجدال مع عدم تقواهم، لأنه بالرغم من أن لكلمة "غير المخلوق" معنى حسن – سبق أن أشرنا إليه – بحيث يمكن أن نذكر هذه الكلمة بورع وتقوى، أما هم فيتكلمون بها لأجل إهانة الإبن بحسب هرطقتهم، وهم لم يقرأوا، أن الذى يكرم الإبن، إنما هو يكرم الآبن والذى لا يكرم الإبن، إنما هو لا يكرم الآب (يو23:5) لأنهم لو كان لديهم أى أهتمام – على وجه العموم – بتمجيد وتكريم الآب، لكان من واجبهم بالأحرى، أن يعترفوا بأن الله أب ويلقبونه كذلك، بدلاً من أن يسمونه بهذه الطريقة (أى غير المخلوق)، وكان هذا سيكون أفضل وأعظم.

أما أن يسموا الله "غير المخلوق". متخذين هذه التسمية من أعماله المخلوقة، كما سبق أن قلنا – وهكذا يلقبونه خالقاً وصانعاً فقط، ظانين أنهم بهذا يستطيعون أن يعتبروا "الكلمة" مخلوقاً حسب أهوائهم. أما الذى يدعو الله أباً، فإنه يسميه هكذا نسبة إلى الإبن بدون أن ينكر أنه ما دام يوجد ابن، فبالضرورة فإن كل المخلوقات قد خُلقت عن طريق الإبن. وأولئك عندما يسمون الله "غير المخلوق" فإنما يشيرون إليه فقط من جهة نسبته إلى المخلوقات. وهم بذلك لا يعرفون الابن مثلهم مثل الاميين. أما الذى يدعو الله أباً، فإنه يسميه هكذا نسبة إلى "الكلمة". والذى يعرف "الكلمة". فإنه فى نفس الوقت يعرف أنه الخالق. ويفهم أنه كل شئ به قد كان (قد صار) (يو1:3).

34– لذلك فإنه بالحق سيكون أكثر تقوى، لو أنهم أشاروا إلى الله مبتدئين من الإبن، وهكذا يلقبونه أباً، بدلاً من أن يسمونه نسبة إلى أعماله فقط فيلقبونه "غير المخلوق". لأن هذا اللقب نسبة إلى أعماله فقط فيلقبونه "غير المخلوق". لأن هذا اللقب (الأخير) يشير فقط إلى كل خليقة – كما سبق أن قلت – وعموما فإن هذا اللقب يشير إلى كل الأعمال التى خلقت بإرادة الله من خلال الكلمة. فى حين أن لقب الآب يفهم وله دلالته فقط بالنسب إلى الابن. وبقدر ما يختلف الكلمة عن سائر الموجودات، فبمثل هذا القدر بل وأكثر. يكون الاختلاف بين أن يدعى الله "باً". وبين أن يدعى "غير المخلوق". لأن هذا اللقب (الأخير) غير مستقى من الكتب المقدسة بل ويثير الريبة والشك، لأنه يحوى فى الواقع معانٍ متعددة. لدرجة أنه فى حالة التساؤل عن هذا اللقب، فإن الفكر ينتابه الحيرة والإضطراب، أما لقب "الآب" فهو لقب بسيط مستقى من الكتاب المقدس، وهو لقب أكثر صواباً وحقاً. وهو يشير إلى "الابن" فقط.

أما لقب "غير المخلوق" فهو كلمة موجودة عند اليونانيين (الاميين) الذين لم يكونوا يعرفون "الابن". أما لقب "الآب" فقد صار معروفاً إذ قد أنعم به الرب يسوع) علينا. لأنه قد عرف – فى الواقع – ابن من هو. عندما قال "أنا فى الآب والآب فى" (يو10:14) وأيضاً "من رآنى فقد رأى الآب" (يو9:14) وأيضاً "أنا والآب واحد" (يو30:10). ولا يوجد فى أحد هذه الشواهد أى إشارة بتلقيب الآب بلقب "غير المخلوق" بل حين علمنا أن نصلى، لم يقل حينما تصلون قولوا: أيها الإله غير المخلوق، بل بالحرى قال "حينما تصلون قولوا أبانا الذى فى السموات" (مت9:6) وهو بهذا قد أراد أن يركز على أساس إيماننا عندما أمرنا أن تكون معموديتنا ليس باسم "غير المخلوق" والمخلوق ولا بأسم "الخالق" و "المخلوق" بل بأسم "الآب والإبن والروح القدس" (مت 19:28) لأننا وإذ نحن من بين المخلوقات. نصير هكذا مكتملين

وبهذا نصير أبناء. وإذ ندعو اسم الآب، فإننا من هذا (الأسم) نعرف أيضاً الكلمة الذى هو من ذات الآب. إذن فما يجادلون به بخصوص لفظة "غير المخلوق"، إنما يدل على عبث، ولـــيس هو أكثر مما هو فى خيالهم وحده.

الفصل العاشر:

عدم تغير الابن

35- أما بخصوص قولهم أن الكلمة متغير، فان مناقشة هذا الأمر غير ذات نفع، لأنه يكفى فقط أن أسجل ما يقولونه لتوضيح مدى جسارتهم وعدم تقواهم. فها هى الأقوال التى يهذون ويثرثرون بها متسائلين: "هل هو حر (فى ذاته) أم هو ليس كذلك؟ هل هو صالح من تلقاء نفسه بحسب هذه الحرية الذاتية وهل يستطيع بذلك أن يتغير – أن أراد – لكونه من طبيعة متغيرة أم أنه مثل الحجر والخشب، لا يملك حرية الحركة والاتجاه الى هذه الناحية أو تلك؟ "فليس غريباً على هرطقتهم أن يتكلموا ويفكروا بمثل هذه الأمور. ففى احدى المرات أخترعوا لأنفسهم مثل هذه الأقوال التى تناسب المخلوقات. وحيث أنهم فى مجادلتهم مع رجال الكنيسة يستمعون منهم عن كلمة الآب الوحيد الحقيقى. ومع ذلك يتجاسرون أن يتفوهوا عنه بمثل تلك الأقوال، فمن يستطيع اذن أن يرى أدنس من هذه العقيدة؟.

ومن هو الذى بمجرد استماعه لهؤلاء، لا ينزعج ويصم آذانه – حتى ان لم يكن فى وسعه أن يدحض أقوالهم – ويقف مشدوهاً من تلك الأقوال التى يرددها هؤلاء، وهو يستمع إلى كلماتهم المبتدعة التى يعتبر مجرد النطق بها كفراً وتجديفاً؟ لأنه ان كان الكلمة متغيراً وقابلاً للتحول، ففى أى نقطة إذن سيتوقف (عن التغيير)، وماذا ستكون نهاية عملية تطوره

هذه؟ وكيف يمكن أن يكون المتغير مشابهاً لغير المتغير؟ وكيف يمكن أن يعتبـر الـذى رأى المتغير أنه قد رأى غير المتغير؟ وما هى الحالة التى يجب أن يصير إليها حتى يستطيع الواحد منا أن يرى الآب فيه؟

إذ يكون من الجلى (حسب افكارهم) أننا لن نرى الآب فيه فى كل الأوقات. إذ يكون الابن دائم التغير. ويكون من طبيعة متغيرة دائماً. ولأن الآب غير متغير وغير متحول. وهو دائماً هو نفسه كذلك (أى بدون تغير). أما الابن فان يكن بحسب أفكارهم متغيراً. وهو ليس دائماً هو ذاته. بل تكون له طبيعة دائمة التغير. كيف يمكن أن يكون مثل هذا هو صورة الآب. وهو ليس مثله فى عدم التغير.؟ وكيف يمكن أن يكون (الابن) فى الآب كلية، ان كان هدفه وقصده مشكوكاً فيه؟ بل ربما بسبب كونه متغيراً . ودائم التقدم. فلا يكون كاملاً بعد.

ولكن فليتلاشى مثل هذا الجنون الذى للآريوسيين، أما الحق فليلمع ويبرق ليكشف أنهم مجانين.

لأنه كيف لا يكون كاملاً هذا الذى هو مساو لله؟ أو كيف لا يكون غير متغير هذا الذى هو واحد مع الآب، وهو نفسه ابنه من ذات جوهره؟ ولأن جوهر الآب غير متغير. فبالضرورة يكون نتاجه الذاتى أيضاً غير متغير.

فإن كانوا يفترون هكذا بنسبتهم التغير للكلمة. فليتعلموا مدى الخطورة الكامنة فى فكرهم، لأن "الشجرة تعرف من ثمرها" (متى12:33)، ولهذا أيضاً "فان من قد رأى الابن فقد رأى الآب" (يو14:9)، ولهذا أيضاً فان معرفة الابن هى أيضاً معرفة الآب.

36- ولذلك فان صورة الله غير المتغيرة ينبغى أن تكون ثابتة غير متغيرةن لأن "يسوع المسيح هو هو أمس واليوم والى الابد" (عب13:8). وداود يقول مترنماً به: "أنت يا رب منذ البدء أسست الأرض، والسموات هى عمل يديك. هى ستتلاشى وأنت ستبقى، وكلها كثوب ستبلى وكرداء تطويها فتتغير ولكن أنت أنت وسنوك لن تنتهى" (مز102:26-28، و2عب1:10-12).

والرب نفسه يقول عن نفسه بواسطة النبى "أنظروا إلى فترون أنى أنا هو" (تث32:39) وأيضاً "لا أتغير" (ملاخى3:6) وربما يقول أحد أن المقصود هنا هو الآب، ولكنه يناسب أن

يطلق هذا على الابن أيضاً. وخاصة لأنه حينما يصير أنساناً، فإنه يظهر شخصيته كما هى ويظهر عدم تغيره. وذلك بالنسبة لأولئك الذين يتصورون أنه بما أنه أتخذ جسداً فإنه قد تغير وصار آخراً.

أن القديسين أصدق عهداً وأمانة من سوء نية عديمة التقوى فكم بالاحرى يكون الرب. فإن الكتاب – كما جاء فى قراءة المزمور سالف الذكر – عن طريق اشارته إلى السماء والأرض، يذكر أن طبيعة كل المخلوقات وكل الكائنات، هى متغيرة ومتحولة وبإستبعاده الابن عنها (المخلوقات). فإنه يبين بأنه (أى الابن) ليس مخلوقاً على الاطلاق بل هو بالاحرى يغير الأشياء. بينما هو نفسه لا يتغير. كما يعلم (الكتاب) بقوله "أنت أنت وسنوك لن تنتهى" (عب12:1) أنه (أى الابن) لا يتبدل ولا يتغير. وهذا حقاً أمر طبيعى، لأن الأشياء المخلوقة بما أنها نشأت من العدم، ولكونها لم تكن كائنة قبل أن تخلق، لذلك فإن لها طبيعة متغيرة حيث أنها عموماً قد خلقت من العدم. أما الابن فإنه كائن من الآب وهو من ذات جوهر الآب، لذلك فه غير متغير أو متبدل مثل الآب نفسه. لأنه ليس من العدل أن يقول أحد أن من جوهر غير المتغير يولد كلمة متغير. وحكمة قابلة للتحول. إذ كيف يمكن أن يكون هو الكلمة أن يكن قابلاً للتغير؟. أو كيف يمكن أن تكون حكمة تلك التى تكون قابل للتحول؟ إلا إذا كان عرضاً فى الجوهر – كما ربما يريدون أن يبينوا أنه هكذا: أى أنه فى حالة جوهر ما. تكون هناك نعمة ما أو ممارسة فضيلة بشكل عارض. وهكذا يسمون هذا أنه كلمة وابن وحكمة بحيث يكون قابلاً للانتقاص منها أو الاضافة عليه. لأنه يعتقدون بمثل هذه الأمور. وكثيراً ما تحدثوا عنها. إلا أن عقيدتهم هذه ليست من الإيمان المسيحى لأنهم لا يظهرون أنه الكلمة وابن الله بالحقيقة. ولا (يظهرون) أن الحكمة هى حكمة حقيقية.

لأن ما يتحول ويتبدل وليس ثابتاً على نفس الحال الواحد كيف يمكن أن يكون حقيقيا؟.

بينما يقول الرب "أنا هو الحق" (يو6:14)، فإن كان الرب نفسه يقول هذا القول عن ذاته وهو يشير بهذا الى وجوب عدم قابليته الذاتية للتغير. والقديسون تعلموا نفس هذه الحقيقة وشهدوا بها. فان كانت الأفكار عن الله تعرف هذا الأمر بورع وتقوى فمن أين إذن ابتدع هؤلاء الناس عديمو التقوى. هذه الآراء؟ نعم. أنهم من قلوبهم. يتقيأون هذا الفساد.

الفصل الحادى عشر:

شرح نصوص: أولاً: فيليبى 2:9، 10

"لذلك رفعه الله أيضاً"

37− لكن بما أنهم يتعللون بالأقوال الالهية، ويفرضون عليها تفسيراً منحرفاً محرفين أياها بحسب فكرهم الخاص. لذلك صار من الضرورى أن نرد عليهم من أجل أن تثبت صحة الأقوال الآلهية، ونوضح أنها تحوى الفكر المستقيم، بينما أولئك يفكرون تفكيرا ضالاً.

فهم إذن يقولون أن الرسول كتب يقول "لذلك مجده الله مجداً عالياً. وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة مما فى السماء وعلى الأرض وتحت الأرض" (فى 2:9،10). كما يقول داود "من أجل ذلك مسحك الله ألهك، بزيت الإبتهاج أكثر من شركائك" (مز45:7، عب1:9). ويضيفون كما لو كانوا يقولون شيئاً حكيماً – هكذا "لو أنه "لذلك" مجد (يضم الميم وكسر وتشديد الجيم) وحصل على نعمة. "ومن أجل ذلك" قد مسح وحصل على أجر اختياره الحر. وبما أنه أنجز الأمر بمشيئته الحرة، فأنه يكون بلا شك ذا طبيعة متغيرة. وهذا ما تجاسر أوسيبوس وأريوس ليس فقط على قوله بل على كتابته أيضاً. أما من يشايعونهما فأنهم لا يجفلون عن ترديد ذلك وسط السوق وهم لا يرون قدر الجنون الذى يحويه قولهم.

لأنه أن حصل على ما كان لديه كأجر لاختياره الحر، فأنه لم يكن ليحصل عليه لو لم يكن عمله هذا عن احتياج وعوز، إذن بما أنه قد حصل على ما كان لديه بسبب فضيلته وتقدمه وتحسنه، وبسبب هذا فمن الانصاف أن يلقب بلقب ابن ولقب اله، دون أن يكون ابنا حقيقياً لأن الذى يكون من شخص ما بحسب الطبيعة، فإنه يكون مولوداً حقيقيآن مثلما كان اسحق بالنسبة لابراهيم، ويوسف بالنسبة ليعقوب، والشعاع بالنسبة الى الشمس، أما الذين يدعون (ابناء) بالنسبة للفضيلة والنعمة. فإنهم يحصلون على النعمة التى يكتسبونها بدلاً من الولادة الطبيعية، وهم شى آخر غير ما أعطى لهم. وذلك مثل الناس الذين نالوا الروح بحسب المشاركة والذين قال عنهم "ولدت بنين ونشأتهم. اما هم فتمردوا على" (أش1:2 سبعينية) ولكن بما أنهم ليسوا أبناء بحسب الطبيعة. ذلك، فأنهم بمجرد أن يتغيروا ينزع منهم الروح، ويتبرأ منهم. ولكنهم مرة أخرى – عندما يتوبون فإنه الله الذى كان قد أعطاهم النعمة فى الأول، فأنه بنفس الطريقة، يعطيهم النور مرة أخرى ويدعوهم أبناء ثانية.

38− فإن كانوا يقولون هكذا أيضاً عن المخلص، فيتبع هذا أنه لا يكون (مخلصاً) حقيقياً. وأنه ليس الها. وليس ابناً ولا هو مثل الأب، ولا يكون له علاقة على الاطلاق مع الله الآب بحسب الجوهر بل بمجرد اعطاء نعمة له. أى أن يكون الله هو خالق له بحسب الجوهر مشابهاً فى ذلك كل المخلوقات. فإن كان هو هكذا، كما يقول هؤلاء، فيتضح أنه لم يكن له اسم "ابن" منذ البدء، ان كان قد حصل على هذا الاسم كمكافأة على أعماله وتقدمه، أى أنه حصل على هذه المكافأة ليس بسبب تقدم آخر، بل بسبب ما أظهره عندما صار انساناً، وأتخذ صورة عبد، لأنه عندئذ، حينما صار "مطيعاً حتى الموت" فإنه كما يقول النص "مجده مجداً عالياً. وحصل على الاسم كنعمة. "لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة".

فماذا إذن كان قبل هذا (أى قبل أن يصير انساناً)، ان كان الآن يرتفع، وقد بدأ الآن أن يعبد، والآن دعى أبناً عندما صار انسانا؟ لأنه (بهذا) يبدو أن الجسد لم يترق (بفتح القاف) قط، بل بالاحرى أنه هو الذى ترقى بواسطة الجسد. فإن كان قد مجد مجداً عالياً وسمى ابناً عندما صار انساناً – وذلك بحسب سوء نيتهم – فماذا كان إذن قبل هذا؟ – فهناك حاجة ملحة أن نسألهم مرة أخرى – وذلك لكى تتضح النتيجة التى يصل إليها كفرهم، لأنه أن كان الرب هو الله وهو الابن وهو الكلمة. ولكنه لم يكن هكذا قبل ان يصير إنساناً، عندئذ كما قلنا – أما أنه كان شيئاً آخر غير هذه (الصفات). ثم اشترك فيها بعد ذلك بسبب فضيلته. وإلا فأنهم مضطرون أن يقولوا البديل – (الامر الاخر) الذى سيرتد على رووسهم وهو أنه لم يكن موجوداً قبل هذا، ولكنه كان إنساناً بالتمام حسب الطبيعة وليس أكثر. ولكن هذا الفكر ليس من الكنيسة. ولكنه فكر الساموساطى واليهود المعاصرين.

لماذا إذن، وهم يعتقدون مثل اليهود. لا يختتنون مثلهم. بل يتظاهرون بالمسيحية، بينما هم يحاربونها، لأنه لو كان غير موجود. أو لو كان موجوداً ثم رقى فيما بعد. فكيف خلقت كل الأشياء بواسطته، وكيف يفرح به الآب لو لم يكن كاملاً (أم30:9) ومن الناحية الأخرى. ان كان هو قد ترقى الآن، فكيف كان يبتهج أمام الآب قبل أن يترقى. وان كان قد حصل على العبادة بعد موته. فكيف يظهر أن ابراهيم يسجد له فى الخيمة. وموسى يسجد له فى العليقة وكما رأى دانيال "ربوات ربوات وألوف ألوف، يخدمونه" (دانيال 10:7). وان كان – كما يقولون – قد حصل علي الترقى الآن، فكيف يشير الابن نفسه إلى مجده الذاتى الذى يفوق الطبيعة والذى كان له قبل إنشاء العالم عندما قال "مجدنى أنت أيها الآب بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم" (يو5:17). وأن كان – حسبما يقولون – قد مجد الآن مجداً عالياً، فكيف "طأطأ السموات" ونزل قبل ذلك، وأيضاً "أعطى العلى صوته" (مز13،18:9) لذلك فإن كان للأبن ذلك المجد حتى قبل خلقه العالم، وكان هو رب المجد وهو العلى، ونزل من السماء وهو معبود على الدوام، فينتج من ذلك أنه لم يترق بنزوله، بل بالأحرى هو نفسه الذى رقى الأشياء التى يعوزها الترقى. وإن كان قد نزل من أجل ترقيتها، لذلك فإنه لم يحصل على اسم ابن وأنه واله كمكافأة، بل بالأحرى فإنه هو نفسه جعلنا أبناء للاب واله (بتشديد اللام) الناس بكونه صار انساناً.

39– لذلك، فهو لم يكن إنساناً ثم صار فيما بعد إلهاً، بل كان إلهاً وفيما بعد صار إنساناً بالأحرى كى يؤلهنا. لأنه إن كان عندما صار انساناً قد سمى عندئذ ابناً والهاً. وان كان الله قد دعا الشعوب قديما. أبناء. وذلك قبل أن يصير هو إنساناً. وجعل الله موسى إلهاً لفرعون. والكتاب المقدس يقول فى مواضع كثيرة "الله قائم فى مجمع الآلهة" (مز1:82). فمن الواضح أذن أنه قد دعى ابناً والهاً بعدهم. فكيف إذن خلقت كل الأشياء عن طريقه، وكيف أنه هو موجود قبل كل الأشياء؟ أو كيف يكون هو "بكر كل خليقة" (كو15:1)، ما دام هناك آخرون قبله يطلق عليهم أبناء وآلهة؟.

وهؤلاء المشاركون الأولون كيف لا يشاركون اللوغوس؟ وهذا التعليم ليس حقيقياً، بل هو بدعة المتهودين المعاصرين. فكيف إذن فى هذه الحالة – يمكن لأى أحد على الإطلاق، أن يتعرف على الله كأب؟ لأن من غير المستطاع أن يحدث التبنى بغير الابن الحقيقى، وهو نفسه القائل: "لا يعرف أحد الآب إلا الابن، ومن سيعلن له الابن" (متى27:11).

وكيف يحدث التأليه بدون اللوغوس. وقبله.؟ هذا بالرغم أنه هو نفسه القائل لليهود أخوة هؤلاء المبتدعين. "ان قال. الهة. لاولئك الذين صارت إليهم كلمة الله".

فإن كان كل الذين دعوا أبناء وإلهة سواء على الأرض أم فى السموات قد نالوا التبنى وصاروا متألهين من خلال اللوغوس. وان كان الابن نفسه هو اللوغوس. فمن الجلى أن الجميع قد صاروا أبناء من خلاله. وكان هو قبل الجميع.. وبالحرى فقد كان هو الابن الحقيقى وحده. وهو وحده اله حق من اله حق – ولم يحصل على هذه (الصفات) كمكافأة لفضيلته. وليس هو أخر غير هذه (الصفات) بل هو كل هذه (الصفات) بحسب الطبيعة وبحسب الجوهر. لأنه مولود من جوهر الآب حتى لا يشك أحد أنه ، بحسب صورة الآب غير المتغير. يكون اللوغوس أيضاً غير متغير.

40- ونحن إلى الآن. قد استعملنا أفكاراً حقيقية عن الابن للاجابة على ابتداعاتهم غير المعقولة. ولكن يجمل بنا الآن إذن أن نستشهد بالأقوال الإلهية لكى نبرهن أيضاً بدرجة أكثر كثيراً على عدم تغير الابن وعدم تغير طبيعته الأبوية[(69)] الثابتة. كما يتبرهن أيضاً مدى انحرافهم وضلالهم.

وإذن عندما كتب الرسول إلى أهل فيلبى يقول: "فليكن فيكم هذا الفكر الذى هو أيضاً فى المسيح يسوع، الذى إذ كان موجوداً فى صورة الله، لم يحسب خلسة أن يكون مساوياً لله، لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد. صائراً فى شبه الناس. وهو إذ وجد فى الهيئة كإنسان، أذل (وضع) نفسه. وأطاع حتى الموت، موت الصليب. لذلك فإن الله مجده ورفعه (شدة على الفاء) عالياً أيضاً، وأعطاه أسماً فوق كل اسم. لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء، ومن على الأرض، ومن تحت الأرض. وسيعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب، (فيلبى 2:5-11) أية أقوال أوضح وأكثر بياناً من هذه الأقوال؟. أن الرب لم يكن أصلاً فى حالة وضيعة ثم رقى، بل بالأحرى إذ كان إلهاً فقد اتخذ صورة عبد، وبإتخاذه صورة العبد. لم يرتق (بكسر القاف) بل أذل (وضع) نفسه. إذن فأين هو أجر الفضيلة فى هذه الأمور؟. أو أى تقدم أو ترقى يمكن أن يكون فى الإذلال.؟ لأنه إن كان وهو الإله، قد صار إنساناً، وبتنازله من علوه لا يزال يقال أنه يرفع (شدة على الراء) (أى يمجد مجداً عالياً). فمن أين يرفع وهو الله؟. ويتضح من هذا أيضاً، أنه بما أن الله هو الأعلى والأكثر رفعة من الكل، فبالضرورة أيضاً. أن يكون كلمته هو الأعلى والأكثر رفعة فوق الكل. وهذا الذى هو فى الآب ومثل الآب فى كل شئ. من أين إذن يمكنه أن يرفع عالياً أكثر من ذلك؟ إذن فهو ليس فى حاجة إلى أى ازدياد، وليس الأمر كما يفهمه الآريوسيون. لأنه وإن كان اللوغوس قد نزل من أجل أن يرفع عالياً – وهكذا هو مكتوب – فأية حاجة كانت هناك على الإطلاق تدفعه لأن يذل نفسه. لكى يسعى للحصول على ذلك الشئ الذى كان لديه أصلاً؟. وما هى النعمة التى ينالها واهب النعمة؟ أو كيف نال هو الاسم للعبادة وهو الذى كان دائماً معبوداً بأسمه؟. ومن قبل أن يصير هو انساناً، كان القديسون حينئذ يتوسلون إليه قائلين "خلصنى يا الله باسمك" (مز1:54) وأيضاً "البعض يفتخر بالمركبات، والبعض الآخر بالخيل وأما نحن فبأسم الرب إلهنا سنتمجد" (مز7:20). وهو الذى كان يسجد له البطاركة (رؤساء الآباء). إذ قد كتب عن الملائكة، ولتسجد له كل ملائكة الله" (مز7:97، عب6:1).

41- فإن كان داود ينشد فى المزمور الحادى والسبعين قائلاً: "اسمه دائم قبل الشمس"، وأيضاً: "وقبل القمر الى أبد الآبدين[(70)]. فكيف إذن ينال ما كان له دائماً حتى قبل أن يحصل عليه الآن (أى فى الجسد)؟ أو كيف يرفع (شدة على الراء) مع كونه قبل ترفيعه (أو تمجيده) كان هو العالى (فوق الكل)؟ أو كيف حصل على (حق) العبادة. وهو الذى كان دائماً معبوداً من قبل أن يحصل على هذا الحق الآن؟. إذن فهذا ليس بلغز بل هو سر إلهى. "فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله. وكان الكلمة الله" (يو1:1) وهو لأجلنا فيما بعد "الكلمة صار

جسداً" (يو1:14) وعبارة "رفعه" (مجده مجداً عالياً) التى نتحدث عنها الآن، لا تعن أن جوهر الكلمة قد أرتفع. لأنه كان دائماً وهو لا يزال كائن فى الله. ولكنه يعنى ارتفاع (أو ترفع) بشريته. إذن فهذه الأقوال لم تكن تقال من قبل إلا عندما صار الكلمة جسداً. لكى يصير واضحاً أن "أذل نفسه"."وتمجد مجداً عالياً" إنما تشير إلى إنسانيته، لأنه حيثما تكون هناك حالة الاذلال تكون هناك الرفعة أيضاً. أن كان بسبب اتخاذه للجسد قد كتب الاذلال عنه. فمن الواضح أن التمجيد (أو الرفعة) تقال عنه بسبب الجسد، لأن الانسان كان فى مسيس الحاجة إلى هذا (التمجيد). بسبب وضاعة الجسد. وبسبب الموت.

وبما أن الكلمة وهو صورة الآب، وهو غير مائت، قد أتخذ صورة عبد، وكإنسان عانى الموت بجسده من أجلنا. لكى بذلك يبذل نفسه للآب بالموت من أجلنا لأجل هذا السبب يقال عنه إنه كإنسان مجد (ضمه على الميم) أيضاً نيابة عنا ومن أجلنا، لكى كما بموته قد متنا جميعاً فى المسيح، وعلى نفس المنوال أيضاً. فإننا فى المسيح نفسه أيضاً قد مجدنا مجداً عالياً. مقامين من بين الأموات وصاعدين إلى السموات "حيث دخل يسوع كسابق لاجلنا" (عب6:20)، "لا إلى أقداس أشباه الحقيقة، بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا" (عب9:34). فإن كان المسيح قد دخل الآن إلى السماء عينها لأجلنا، رغم أنه من قبل هذا الحدث، كان هو دائماً الرب وخالق السموات. فتبعاً لذلك تكون هذه الرفعة الحالية قد كتبت أيضاً من أجلنا نحن.

وكما أنه وهو الذى يقدس الجميع، يقول أيضاً أنه يقدس نفسه للآب من أجلنا – ليس بالطبع لكى يكون اللوغوس مقدساً – بل لكى بتقديس ذاته يقدسنا جميعاً فى ذاته. وهكذا بنفس المعنى ينبغى أن نفهم ما يقال الآن أنه "تمجد". ليس لكى يمجد هو نفسه (أى اللوغوس) – إذ أنه هو الأعلى – بل لكى هو ذاته "يصير برا" من أجلنا، أما نحن فلكى نتمجد (نرفع) فيه ولندخل إلى أبواب السماء، التى قد فتحها هو ذاته من أجلنا، حيث يقول السابقون "أرفعوا أيها الرؤساء أبوابكم، وأرتفعى أيتها الأبواب الدهرية ليدخل ملك المجد" (مز34:7). وهنا أيضاً لم تكن الأبواب مغلقة أمامه هو إذ هو رب وخالق كل الأشياء. بل بسببنا كتب هذا الكلام. نحن الذين أغلقت أمامنا أبواب الفردوس.

لذلك يقال عنه من الناحية البشرية، بسبب الجسد الذى كان قد لبسه: "أرفعوا الأبواب". كما يقال أيضاً. "ليدخل" كما لو كان إنساناً سيدخل، ولكن من الناحية الإلهية – حيث أن "اللوغوس هو الله" – يقال عنه أيضاً أنه "الرب" و "ملك المجد" وقد سبق الروح فقال فى المزمور التاسع والثمانين عن مثل هذه الرفعة التى صارت إلينا "وببرك يرتفعون. لأنك أنت هو فخر قوتهم" (مز89:17،18)، فإن كان الابن هو البر، إذن فهو لم يرتفع بذاته كما لو كان فى حاجة إلى الرفعة، بل نحن الذين أرتفعنا (تمجدنا) بسبب البر الذى هو (المسيح) ذاته.

42– وهكذا أيضاً فإن عبارة "أعطاه اسماً" لم تكتب لأجل اللوغوس ذاته – فإنه حتى قبل أن يصير أنساناً فقد كان معبوداً أيضاً من الملائكة ومن كل الخليقة. بحسب ذاتيته الأبوية[(71)] بل كتبت هذه العبارة عنه بسببنا ولأجلنا. لأنه كما مات المسيح ثم رفع (شدة على الفاء) كإنسان، فبالمثل قيل عنه أنه أخذ كإنسان ما كان له دائماً كإله. وذلك لكى تصل إلينا عطية مثل هذه النعمة، فإن اللوغوس لم يحط قدره بإتخاذه جسداً حتى يسعى للحصول على نعمة أيضاً، بل بالأحرى فإن الجسد الذى لبسه قد تأله، بل وأكثر من ذلك، فقد أنعم بهذه النعمة على جنس البشر، بدرجة أكثر.

فكما أنه كان يعيد (ضمه على الياء) دائماً لكونه اللوغوس "الموجود فى صورة الله" – هكذا ظل هو نفسه كما هو وصار إنساناً ودعى يسوع – فليس أقل من أن كل الخليقة – تظل كما كانت دائماً – تحت قدميه، وهى التى تجثو بركبها له بهذ1 الاسم (يسوع). وتعترف أن اللوغوس صار جسداً، وأنه احتمل الموت بجسده. ولم يحدث له كل هذا كإهانة لمجد ألوهيته بل "لمجد الله الآب".

لأن مجد الله الآب هو: أن يوجد الانسان الذى كان قد خلق ثم هلك، وهو: أن يحيا الذى مات، وهو: أن يصير الانسان هيكل الله. ولأن القوات السمائية من ملائكة ورؤساء ملائكة كانت تعبده دائماً، فإنهم الآن أيضاً يسجدون للرب باسم يسوع، فهذه النعمة وهذا التمجيد العالى إنما هو لنا، وأنه بالرغم من أنه صار إنساناً وهو ابن الله فإنه يعبد (ضمه على الياء). لذلك لن تدهش القوات السمائية حينما ترانا نحن جميعاً – المتحدين معه فى نفس الجسد – داخلين إلى مناطقهم (السمائية). وهذا قطعاً – لم يكن ممكناً أن يحدث بأية طريقة أخرى، اللهم إلا إذ كان هذا الذى كان موجوداً فى صورة الله، قد أتخذ لنفسه صورة العبد، وأذل ذاته. راضياً بأن يصل جسده حتى إلى الموت.

43- أنظروا إذن، كيف أن ذلك الذى يعتبر عند الناس، جهالة الله بسبب تحقير الصليب، قد صار أكثر الأشياء كرامة، ذلك أن قيامتنا به معتمدة عليه. وليس اسرائيل وحده الذى يعتمد عليه بل كل الأمم – كما سبق وأنبأ النبى: يتركون أصنامهم ويتعرفون على الإله الحقيقى أبى المسيح. وابتداعات الشياطين قد أبطلت، والاله الحقيقى وحده هو الذى يعبد بأسم ربنا يسوع المسيح. أما عبادة الرب الذى صار فى الجسد البشرى، ودعى يسوع، والإيمان به كابن الله – والتعرف على الآب بواسطته، فهو أمر جلى، كما قلنا، أنه ليس اللوغوس بسبب كونه لوغوس هو الذى حصل على مثل هذه النعمة، بل نحن. لأنه بسبب علاقتنا بجسده فقد صرنا نحن أيضاً هيكل الله – وتبعاً لذلك قد جعلنا أبناء الله. وذلك حتى يعبد الرب فينا أيضاً. والذين يبصروننا يعلنون – كما قال الرسول "أن الله بالحقيقة فيكم" (1كو25:14). وكما قال يوحنا أيضاً فى إنجيله "وكل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله" (يو12:1). وكما كتب فى رسالته "بهذا نعرف أنه يسكن فينا من روحه الذى أعطاه لنا" (1يو24:3).

أن ما يميز الصلاح الصائر منه إلينا، هو أننا نمجد بسبب وجود الرب العالى فينا، وأن النعمة أقد أعطيت له من خلالنا – بسبب أن الرب الذى هو مانح النعمة قد صار إنساناً مثلنا.
والمخلص نفسه أذل نفسه بإتخاذه "جسد تواضعنا" – وأتخذ صورة عبد، لابساً ذلك الجسد الذى كان مستعبداً للخطيئة.

وهو فى الحقيقة دم يحصل على شئ منا يرتقى به لأن كلمة الله هو ليس فى احتياج إلى شئ، لأنه كامل، بل بالأحرى نحن الذين نلنا منه الارتقاء. لأنه هو "النور الذى ينير كل انسان يأتى إلى العالم" (يو9:1). إن الاريوسيين يركزون بلا جدوى على أداة الربط: "لذلك" لأن بولس قال "لذلك مجده الله مجداً عالياً" (فى8:2). فهو بهذا القول لم يكن يعنى مكافأة لفضيلة ولا أرتقاء نتيجة تقدم أخلى، ولكنه يقصد السبب فى العلو والتمجيد والارتفاع الذى صار فينا. وما هو هذا السبب إلا أن يكون الذى كان فى صورة الله وهو ابن لاب نبيل، وأذل نفسه وصار بدلاً منا ومن أجلنا؟ فلو لم يكن الرب قد صار أنساناً، لما كان فى وسعنا أن نفتدى (نتحرر) من الخطيئة وأن نقوم من بين الأموات، بل لبقينا أمواتاً تحت الأرض. ولما كنا لنرفع (لنمجد) إلى السماء، بل لرقدنا فى الجحيم.

إذن، فمن أجلنا، ولمصلحتنا، كتبت هذه الكلمات" مجده مجداً عالياً"، "وأعطاه اسما".

44- أعتقد إذن أن هذا هو قصد النص الكتابى، وهو قصد كنسى تماماً. ولكن ربما كانت هناك طريقة أخرى لشرح النص لأعطاء معنى مطابق تماماً.

أى أن النص لا يعنى تمجيد اللوغوس ذاته بإعتباره لوغوس (لأنه كما سبق أن قيل منذ قليل، أنه عال وأنه مثل الآب)، ولكن النص يشير إلى قيامته من بين الأموات بسبب تأنسه. فقوله "أذل نفسه حتى الموت" ثم أضاف "لذلك مجده مجداً عالياً" راغباً أن يبين أنه كإنسان كان يقال عنه أنه قد مات، ولكن لكونه الحياة رفع بالقيامة "فإن الذى نزل هو نفسه أيضاً الذى قام" (أف10:4). لأنه نزل بالجد، إلا أنه قام لأنه هو نفسه كان إلهاً فى الجسد. وهذا أيضا هو السبب الذى من أجله قد مهد السبيل الى هذا المعنى بإستخدام أداة الربط "لذلك"، والذى لا يعنى أجر فضيلة ولا ترقى، ولكنه يكشف السبب الذى بواسطته قد صارت القيامة. ولهذا السبب نفسه مات سائر البشر منذ آدم وحتى الآن، وظلوا أمواتاً، أما هذا وحده فهو الذى قام من بين الأموات كاملاً متكاملاً. وهذا هو السبب الذى من أجله سبق الرسول نفسه وقال: أنه بالرغم من كونه الهاً فقد صار إنساناً. أما سائر البشر فقد ماتوا لأنهم من نسل آدم. وقد كان للموت سيادة عليهم (رو14:5). أما هذا فهو "الإنسان الثانى من السماء" (1كو47:15)، وذلك لأن "الكلمة قد صار جسداً" (يو14:1) ويقول أن مثل هذا الإنسان "من الماء" و "سماوى" (1كو48،47:15) ذلك لأن الكلمة "قد نزل من السماء" (يو38:6) ولهذا فلم يقهر (يمسك) من الموت.

فرغم أنه أذل نفسه، مسلماً جسده الخاص به حتى الموت، وذلك بسبب قبوله الموت، إلا أنه رفع رفعة عظيمة من الأرض، ذلك لأنه هو ابن الله فى الجسد. لذلك فإن ما يقال هنا "لذلك رفعه الله أيضاً" فهو مساو أيضاً لما قاله بطرس فى سفر الأعمال "الذى أقامه مبطلاً أوجاع الموت، لأنه لم يكن ممكناً أن يسيطر عليه سلطان الموت" (أع24:2). فكما كتب بولس "الذى إذ كان فى صورة الله" قد صار إنساناً، و "وأذل نفسه حتى الموت ولذلك مجده الله مجداً عالياً". وبالمثل يقول بطرس. وحيث أنه إذ كان إلهاً قد صار إنساناً، فإن الآيات والعجائب كشفت أيضاً للناظرين أنه الله. ولذلك "فلم يكن ممكناً أن يمسكه الموت" (أع24:2).

والإنسان لم يكن يستطيع أن ينجح فى تحقيق هذا، لأن الموت هو خاص بالإنسان. ولهذا فإن الكلمة الله صار جسداً، لكى يحيينا بقوته بعد أن مات بالجسد.

45- وبما أنه يقال أنه "مجده ورفعه"، وأن الله "أعطاه" فالهراطقة يظنون أن هذا نقيصة، أو ألماً خاصاً بجوهر اللوغوس. فمن الضرورى أن نقول، بأى معنى تقال هذه الكلمات. إذ يقول أنه رفع وأصعد من أقسام الأرض السفلى (أف9:4). لأن الموت صار خاصاً به أيضاً. وكلا (الامران) يقالان عنه حيث أنهما خاصان به وليس بآخر غيره. إذن فالجسد الذى أقيم من بين الأموات هو الذى رفع الى السموات. وحيث أن الجسد كان يخصه ولا يوجد للجسد كيان الا باللوغوس نفسه، لذى فمن الطبيعى أنه بتمجيد وترفيع الجسد يقال أيضاً أنه كإنسان قد أرتفع بسبب الجسد.

إذن فلو لم يكن قد صار إنساناً، لما كانت لتقال عنه هذه الأقوال. أما عبارة "الكلمة صار جسداً" فإن كانت هناك ضرورة، أن يقال عنه أنه قام وتمجد كما يقال عن إنسان، لكى يكون

هذا الموت الذى يشار به إليه، فداءاً لخطية البشر، وأبطالاً للموت، أما القيامة والتمجيد فإنهما يدومان فينا بالضرورة بسببه.

وفى كلتا الحالتين قال عنه "مجده الله مجداً عالياً"، و "الله أعطاه" كى يبين بهذا أنه ليس الآب هو الذى صار بل كلمته هو الذى صار إنساناً، فإنه بحسب النمط البشرى، يأخذ من الآب ويتمجد منه. كما سبق أن قال.

فيكون واضحاً – ولا يستطيع أحد أن يشكك فى ذلك – أن تلك الأشياء التى يعطيها الآب، إنما يعطيها عن طريق الابن، ويكون عجيباً، وأمراً مثيراً للاستغراب حقاً أن النعمة التى يعطيها الابن من لدن الآب، نفس هذه النعمة، يقال أن الابن ذاته قد قبلها. والرفعة التى حققها الابن من لدن الآب، بهذه الرفعة نفسها يرفع (شدة على الراء) الابن نفسه.

إذن فإذ هو ابن الله نفسه قد صار ابن الإنسان ايضاً، وكلوغوس يعطى الأشياء من لدن الآب، لأن كل من يصنعه ويعطيه الآب، إنما يصنعه ويعطيه من خلاله.

وكإبن الإنسان فيقال أنه بحسب بشريته ينال ما يخصه من ذاته، بسبب أن جسده ليس سوى جسده الخاص به الذى هو بطبيعته أن يتقبل النعمة كما قد قيل.

وبحسب هذه الرفعة إذن، أخذ الإنسان فى داخله. وكانت هذه الرفعة من أجل تأليه الانسان أما اللوغوس فله خاصية (التاليه) هذه بحسب الالوهية والكمال الأبوى الخاصين به.

الفصل الثانى عشر:

شرح نصوص: ثانياً: مزمور 8،7:45

"من أجل ذلك مسحك الله إلهك"

46- أن هذا الشرح كما كتبه الرسول، إنما يدحض هؤلاء العديمى التقوى. وما قاله المرنم له أيضاً نفس المعنى المستقيم الذى أساء هؤلاء فهمه. فى حين أن منشد المزامير يوضح التقوى لأنه هو أيضاً يقول "عرشك يا الله إلى الدهور، صولجان استقامه هو صولجان ملكك أحببت البر وأبغضت الأثم، من أجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الإبتهاج أكثر من شركائك" (مز45:7-8).

أنظروا أيها الآريوسيون وميزوا الحقيقى هنا أيضاً. فالمرنم يقول، أننا جميعاً "شركاء" الرب. فلو كان اللوغوس من العدم. وكان هو واحداً من المخلوقات، لكان هو أيضاً واحداً من الشركاء، وحيث أن المرنم سبح له بإعتباره الإله الأبدى قائلاً "عرشك يا الله إلى دهر الدهور" وقد أعلن أن جميع الأشياء الأخرى تشاركه. فماذا يجب أن يفهمه الواحد منا، غير أنه آخر غير المخلوقات (مختلف عن المخلوقات). وأنه هو وحده كلمة الله الحق. وهو البهاء والحكمة التى تشارك فيه جميع المخلوقات، وهى تتقدس منه بالروح؟ ولذلك فهو هنا "يمسح" (بضم الياء) لا لكى يصير إلهاً، لأنه كان إلهاً حتى قبل أن يمسح، ولا لكى يصير ملكاً، لأنه قد كان هو المالك على الدوام، إذ أنه صورة الله كما يقول الوحى (أنظر 2كور4:4، كولوسى 15:1). بل أن هذا أيضاً (أى أنه مسح) قد كتب من أجلنا. لأنه عندما كان الملوك - أيام أسرائيل - يمسحون، فعندئذ فقط كانوا يصيرون ملوكاً، حيث أنهم لم يكونوا ملوكاً قبل مسحهم، وذلك مثل داود وحزقيا ويوشيا وغيرهم. أما المخلص فهو على العكس، حيث أنه إذ هو الله، يزاول دائماً حكم مملكة الآب ولما كان هو نفسه مانح الروح القدس. إلا أنه يقال الآن أنه يمسح (بضم الياء). لكنه كإنسان يقال عنه أنه يمسح (بضم الياء) بالروح وذلك حتى يبنى فينا نحن البشر سكنى الروح وألفته تماماً مثلما وهبنا الرفعة والقيامة. وهذا ما عناه هو نفسه عندما أكد الرب عن نفسه فى الإنجيل بحسب يوحنا "أنا قد أرسلتهم إلى العالم ولأجلهم أقدس أنا ذاتى ليكونوا هم أيضاً مقدسين فى الحق" (يو18:17،19). وقد أوضح بقوله هذا أنه ليس هو المقدس (بتشديد وفتح الدال) بل المقدس بتشديد وكسر الدال). لأنه لم يقدس من آخر بل هو يقدس ذاته. حتى نتقدس نحن فى الحق. وهذا الذى يقدس ذاته إنما هو رب التقديس. كيف إذن حدث هذا؟ وماذا يريد أن يقول بهذا سوى أنه: "كونى أنا كلمة الآب، فأنا نفسى أعطى ذاتى الروح. أنا الصائر إنساناً. وأنا الحق. (لأن "كلمتك أنت هى الحق" يو17:17).

47-إذن فإن كان يقدس ذاته من أجلنا. وهو يفعل هذا لأنه قد صار إنساناً، فمن الواضح جداً أن نزول الروح عليه فى الأردن، إنما كان نزولاً علينا نحن، بسبب لبسه جسدنا. وهذا لم يصر من أجل ترقية اللوغوس، بل من أجل تقديسنا من جديد، ولكى نشترك فى مسحته، ولكى يقال عنا "ألستم تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم" (1كو16:3) فحينما أغتسل الرب فى الأردن كإنسان، كنا نحن الذين نغتسل فيه وبواسطته.

وحينما أقتبل الروح، كنا نحن الذين صرنا مقتبلين للروح بواسطته. ولهذا السيد، فهو ليس كهارون. أو داود أو الباقين - قد مسح بالزيت هكذا - بل بطريقة مغايرة لجميع الذين هم شركاؤه - أى "بزيت الإبتهاج" - التى فسر أنه يعنى الروح - قائلاً بالنبى "روح الرب على لأنه مسحنى" (أش 1:61). كما قال الرسول أيضاً "كيف مسحه الله بالروح القدس" (أع38:10). متى قيلت عنه هذه الأشياء - إلا عندما صار فى الجسد وأعتمد فى الأردن. "ونزل عليه الروح"؟ (مت16:3). وحقاً يقول الرب لتلاميذه أن "الروح سيأخذ مما لى" (يو16:14). و"أنا أرسله" (يو7:16). و "أقبلوا الروح القدس" (يو22:20). إلا أنه فى الواقع

هذا الذى يعطى للآخرين ككلمة وبهاء الآب، يقال الآن أنه يتقدس وهذا من حيث أنه قد صار إنساناً، والذى يتقدس هو جسده ذاته.

إذن فمن ذلك قد بدأنا نحن الحصول على المسحة والختم، مثلما يقول يوحنا "أنتم لكم مسحة من القدوس" (1يو20:2) والرسول يقول "أنتم ختمتم بروح الموعد القدوس" (أفسس13:1). ومن ثم فإن هذه الأقوال هى بسببنا ومن أجلنا. فأى تقدم فى الأرتقاء، وأى أجر فضيلة أو عموماً أى أجر عمل للرب، يتضح من هذا؟.

فلو أنه لم يكن إلهاً، ثم صار إلهاً، ولو كان قد رقى إلى ملك وهو لم يكن ملكاً، فإنه يكون لقولكم بعض الظل من الإحتمال.

أما إن كان هو الله، ويكون "عرش ملكه أبدى" فإلى أى مدى يمكن أن يرتقى الله؟. أو ماذا ينقص هذا الذى هو جالس على عرش الآب؟ وكما قال الرب نفسه، إن كان الروح هو روحه. والروح أخذ منه، وهو نفسه أرسل الروح (أنظر يو14:16، يو7:16)، إذن، فلا يكون اللوغوس بإعتباره اللوغوس والحكمة هو الذى يمسح من الروح، الذى يعطيه هو ذاته، بل الجسد الذى قد أتخذه، هو الذى يمسح فيه ومنه، وذلك لكى يصير التقديس الصائر إلى الرب كإنسان، يصير (هذا التقديس) إلى جميع البشر به. لأن يقول: "إن الروح لا يتكلم من نفسه" (أنظر يو13:16). بل اللوغوس هو الذى يعطى هذا (الروح) للمستحقين. فإن هذا يشبه ما سبق من قول، لأنه كما كتب الرسول "الذى إذ كان فى صورة الله، ولم يحسب خلسة أن يكون مساوياً لله، ولكنه اخلى نفسه أخذاً صورة عبد" (فيلبى6:2،7). وبالمثل يرنم داود للرب. إنه إله وملك أبدى، مرسل إلينا ومتخذاً جسدنا الذى هو مائت. لأن هذا هو المقصود فى المزمور بالقول "مر وعود وقرفة تفوح من ثيابك" (مز8:45) ويتضح نفس الشئ مما فعله نيقوديموس والنسوة اللائى مع مريم حينما جاء نيقوديموس حاملاً "مزيج مر وعود نحو مئة رطل" (يو39:19). وكانت النسوة قد أعددن الحنوط لجسد الرب (لو1:24).

48- فأى تقدم هو إذن بالنسبة لغير المائت عندما يتخذ ما هو مائت؟ وأى أرتقاء هو للأزلى عندما يلبس ما هو وقتى وأى أجر يمكن أن يكون بالنسبة لله والملك الأبدى الذى هو فى حضن الآب؟ إلا تدركون أن هذا قد صار وكتب بسببنا ومن أجلنا، لأنه إذ قد صار الرب إنساناً، لكى يصوغنا نحن المائتين والوقتيين ويجعلنا غير مائتين. ولكى يدخلنا إلى ملكوت السموات الأبدى؟ ألا تستحون وأنتم تزيفون الأقوال الإلهية؟ لأنه بنزول ربنا يسوع المسيح وأقامته بيننا، فإننا بالحقيقة قد أرتقينا لأننا تحررنا من الخطيئة، أما هو فهو باقٍ هو هو ولا يتغير بصيرورته إنساناً (لأنه يلزم أن نكرر نفس القول)، بل كما هو مكتوب فإن "كلمة الله يبقى إلى الأبد" (أش8:40).

إذن، مثلما كان قبل تأنسه – إذ أنه كان اللوغوس، فإنه منح الروح للقديسين بإعتباره خاصاً به – وهكذا عندما صار إنساناً فإنه قدس الجميع بالروح وقال لتلاميذه، "اقبلوا الروح القدس" (يو22:20)، وقد أعطى (الروح) لموسى وللسبعين الآخرين (أنظر عدد16:11). والذى به صلى داود للآب قائلاً: روحك القدوس لا تنزعه منى" (مز11:51).

أما عندما صار إنساناً فقد قال "سأرسل لكم المعزى روح الحق" (يو26:15)، وبالفعل أرسله، لأن كلمة الله منزه عن الكذب. إذن فإن "يسوع المسيح هو هو بالأمس واليوم وإلى الأبد" (عب8:13) وحيث أنه يظل غير متغير وهو ذاته العاطى والآخذ: فهو يعطى ككلمة الله،

ويأخذ كإنسان. وتبعاً لذلك فليس اللوغوس – بإعتباره بالحقيقة لوغوس – هو الذى أرتقى، إذ كانت له دائماً. وله على الدوام – كل الأشياء. أما البشر – الذين يأخذون البداية منه وبسببه. – فهؤلاء هم الذين يرتقون. لأنه حينما يقال بحسب الوجهة البشرية أنه الآن يمسح (بضم الياء) – نكون نحن، الذين نمسح فى شخصه. حيث أنه حينما أعتمد، نكون نحن الذين نعتمد فى شخصه. ويوضح المخلص بالأحرى كل هذه الأمور حينما يقول للآب: "وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد" (يو22:17). وتبعاً لذلك فإنه كان يطلب المجد أيضاً من أجلنا. وبسببنا أيضاً أستخدم كلمة "أخذ" وكلمة "أعطى" وكلمة "مجد مجداً عالياً". وذلك لكى نأخذ نحن أيضاً. ولكى يعطى لنا، ولكى نمجد نحن فيه مجداً عالياً. وذلك كما يقدس ذاته من أجلنا، لكى نتقدس نحن فى شخصه.

49– وإن كان هؤلاء – بسبب ما جاء فى المزمور "من أجل هذا مسحك الله إلهك" (مز8:45) يستخدمون التعبير "من أجل هذا" من أجل رغباتهم الخاصة، فليعرف هؤلاء الذين يجهلون. الكتب المقدسة، والذين انكشف عدم تقواهم، أن تعبير "من أجل هذا" هنا أيضاً، لا يعنى أجر فضيلة أو سلوكاً خاصاً باللوغوس، بل يعنى السبب الذى من أجله نزل إلينا، ويعنى السبب فى مسحة الروح التى مسح بها من أجلنا. لأنه لم يقل "من أجل مسحك" لكى يصير هو إله أو ملك أو ابن أو لوغوس. لأنه كان هكذا وهو دائماً هكذا من قبل أن يمسح، كما سبق أن أظهرنا، بل بالأحرى، بما أنك أنت إله وملك، من أجل ذلك أيضاً مسحت. حيث أنه لم يكن فى وسع أحد أخر أن يوجد الإنسان بالروح القدس، سواك أنت الذى هو صورة الله. تلك الصورة التى يحسبها خلقنا منذ البدء، لأن الروح هو روحك أنت. وكل هذا حدث لأن طبيعة المخلوقات لا يركن إليها بخصوص هذا الأمر. ففى حين تمرد الملائكة، فإن البشر كانوا عصاة. لذلك كان الأمر يحتاج بالضرورة إلى تدخل الله – "لأن اللوغوس هو الله" (يو1:1)، وذلك لكى يحرر الذين صاروا تحت عبء اللعنة. فلو كان هو من العدم لما كان هو المسيح، لكونه واحداً بين الجميع وشريكاً لهم.

ولكن بما أنه إله لكونه ابن الله، فهو ملك أبدى، نظراً لأنه بهاء الآب وصورته. من أجل ذلك فمن اللائق أن يكون هذا هو المسيح المنتظر، الذى وعد الآب البشر به، كما كشف عنه لأنبيائه القديسين، لكى كما خلقنا به، يصير به هكذا أيضاً خلاص الجميع من خطاياهم، ولكى تكون كل الأشياء تحت حكمه. وهذا هو سبب المسحة التى صارت له، وسبب "الحضور المتجسد للوغوس". وهذا السبب هو الذى تنبأ به مرنم المزامير مسبحاً بألوهيته وملكوته الأبوى، عندما هتف قائلاً "عرشك يا الله إلى دهر الدهور، صولجان استقامه هو صولجان ملكك" (مز6:45)، ثم يعلن نزوله إلينا بقوله: "من أجل ذلك، مسحك الله، الهك، بزيت الابتهاج أكثر من شركائك" (مز7:45).

50– لماذا يكون مثيراً للدهشة، أو بعيداً عن الإعتقاد، ان كان الرب، وهو واهب الروح، يقال عنه الآن أنه مسح بالروح حينما تستلزم الحاجة ذلك، فإنه لا يرفض القول عن نفسه أنه هو أدنى شأناً من الروح – بسبب طبيعته البشرية – لأنه عندما قال اليهود أنه "يخرج الشياطين ببعلزبول" (متى24:12) فإنه لكى يكشف تجديفهم، أجاب وقال لهم "أنى بروح الله أخرج الشياطين" (متى 28:12). فها هوذا واهب الروح يقول الآن أنه يخرج الشياطين بالروح، وهذا القول لم يكن ليقال لأى سبب آخر، سوى من ناحية الجسد. لأنه كما أن طبيعة الإنسان لم تكن كافية من ذاتها أن تطرد الشياطين بدون قوة الروح، من أجل هذا كان كإنسان يقول "أنى بروح الله أخرج الشياطين". وطبيعى أن التجديف الذى صار ضد الروح القدس، أعظم من التجديف الذى ضد ابن الإنسان يغفر له" (متى55:13). أما الذين يجدفون على الروح القدس،

وينسبون أعمال اللوغوس للشيطان فهؤلاء سيكون لهم عقاب لا مناص منه. إذن فإن الرب قال مثل هذه الأقوال لليهود كإنسان، أما التلاميذ فقد بين لهم ألوهيته وجلاله، مشيراً إلى ذاته أنه ليس أقل إطلاقاً من الروح بل مساوٍ له. وأعطاهم الروح وقال: "أقبلوا الروح القدس" (يو22:20) وأيضاً "أنا أرسله" (يو7:16)، و"ذاك 13:169. وبالمثل إذن فإن الرب مانح الروح نفسه، لا يكف عن القول أنه بالروح يخرج الشياطين كإنسان، وبنفس الطريقة، حيث أنه هو ذاته واهب الروح، فإنه لا يتوقف عن القول: "روح الرب على لأنه مسحنى" (أش1:61) وذلك بسبب أنه قد صار جسداً (يو14:1)، كما قال يوحنا، لكى يتضح أنه فى هذين الأمرين، أننا نحن الذين نكون محتاجين لنعمة الروح لكى نتمجد، وأنه ليس فى وسعنا أن نخرج الشياطين بدون قوة الروح.

بواسطة من إذن، وممن كان يجب أن يمنح (بضم الياء) الروح إلا بواسطة الإبن. وهو الذى يعتبر الروح أيضاً روحه.؟ ومتى كان فى استطاعتنا نحن الحصول على الروح إلا عندما صار اللوغوس إنساناً؟ (يو16:1). وهذا ما يتضح تماماً من قول الرسول، أننا لم نحصل على الفداء ولا على التمجيد مجداً عالياً، لو لم "يتخذ صورة عبد، ذاك الذى كان فى صورة الله" (فى6:2،7).

هكذا يرينا داود أيضاً أنه ليست هناك طريقة أخرى، لكى نشارك الروح، ونتقدس لو لم يقل اللوغوس ذاته، واهب الروح. بأنه هو ذاته، مسح بالروح من أجلنا، ولهذا السبب طبعاً أخذنا الروح، إذ أنه هو الذى قيل فيه أنه قد مسح بالجسد. حيث أن جسده الخاص هو الذى تقدس أولاً. وإذ قيل عنه كإنسان. أن جسده قد أتخذ هذا (الروح)، فلأجل هذا، فنحن نمتلك نتيجة لذلك، نعمة الروح، أخذين أياها "من ملئه" (أنظر يو16:1).

51– وأما الآية الواردة فى المزمور: "أحببت البر، وأبغضت الأثم" (م7:45)، فهى ليست مثلما تفهمونها أنتم أنها تبين أن طبيعة اللوغوس متغيرة، بل بالأحرى فإنها تعنى أن اللوغوس غير متغير. لأنه بما أن طبيعة المخلوقات متغيرة والبعض تعدوا الوصية، والبعض الآخر قد تمردوا، كما سبق أن قيل فإن أعمالهم ليست أكيدة، بل يحدث كثيراً أن ذلك الذى هو صالح الآن، يتحول بعد ذلك ويصير شيئاً آخر. فمثلاً هذا الذى يكون الآن عادلاً، فبعد قليل يكون ظالماً لذا أيضاً، كان هناك احتياج إلى واحد غير متغير، لكى يحصل البشر على عدم تغير بر اللوغوس، كصورة ومثال لأجل تحقيق الفضيلة. أما مثل هذا التفكير فله أيضاً سبب معقول للذين يفكرون بإستقامة، لأنه بما أن الإنسان الأول آدم (1كو45:15) تعرض للتغير، وبسبب الخطية دخل الموت إلى العالم (رو12:5) من أجل هذا وجب أن يكون آدم الثانى غير متغير، حتى ولو استمرت الحية تزاول عملها، فإن خداعها يضعف، أما الرب، فلكونه غير متغير وثابت، تصير الحية عاجزة عن مساعيها ضد الجميع. لأنه مثلما سقط أدم فى العصيان. فإن الخطية "قد إجتازت إلى جميع الناس" (رو12:5)، وهكذا حينما صار الرب إنساناً، وحطم الحية. فإن قوته العظيمة هذه قد إنتقلت إلى جميع الناس، حتى يقول كل واحد منا "لأننا لا نجهل أفكاره" (2كو11:2).

ومن الصواب إذن، فإن الرب، الذى هو دائماً بحسب طبيعته غير متغير –. وهو الذى يحب البر، ويبغض الأثم، مسح (بضم الميم) وأرسل هو ذاته، لكونه هو ذاته. وهو باق هو هو، بإتخاذه جسداً متغيراً، لكى يدين الخطية فى الجسد (أنظر رو3:8)، ولكى يجعل ذات هذا الجسد حراً، ولكى يستطيع من الآن فصاعداً أن يتمم به حكم الشريعة، ولكى نستطيع أن نقول "نحن لسنا فى الجسد فى الروح، أن كان حقاً روح الله ساكناً فى داخلنا" (رو9:8).

52- أيها الآريوسيون، قد صار عبثاً مثل هذا الشك الذى صار فيكم، وعبثاً ما تدعونه وما تتعللون به من أقوال الإنجيل، لأن اللوغوس الذى هو كلمة الله إنما هو غير متغير، وهو مستمر دائماً فى حالة واحدة، ليس كيفما أتفق، بل هو مثل الآب. لأنه كيف يكون مثله، أن لم يكن هو نفسه كذلك؟

أو كيف يكون كل ما هو للآب، هو للابن أيضاً (أنظر يو15:16) ان لم يكن للإبن صفة عدم تغير الآب ودوامه؟. وبما أنه غير خاضع للقوانين الطبيعية بأن ينحاز لواحد ضد آخر. فإنه إذن لا يحب الواحد ويكره الآخر.

فلو أنه بسبب الخوف من السقوط ينحاز إلى واحد، فإنه حينئذ سينكشف من الجهة الآخرى، أنه متغير. ولكنه لكونه إله وكلمة الآب، فهو قاض عادل ومحب للفضيلة، وبالأحرى هو مانح الفضيلة. إذن فهو عادل وقدوس بطبيعته. فلهذا يقال أنه يجب البر ويبغض الأثم (أنظر أش8:61). وهذا يعادل القول القائل أنه يحب الصالحين ويمينهم. أما الظالمون فإنه ينفر منهم ويبغضهم لأن الكتب المقدسة تقول نفس القول عن الآب: "الرب عادل ويحب العدل" (مز7:11). و"يبغض كل فعلة الأثم" (مز6:5)، وأحب أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب" (مز2:87)، وأحب يعقوب وأبغض عيسو" (ملاخى2:1،3) وفى أشعياء كان صوت الرب أيضاً قائلاً "أنا هو الرب محب العدل ومبغض الاختلاس الناتج عن الظلم" (أش8:61) فينبغى إذن عليهم. أما أن يفسروا تلك الأقوال بنفس المعانى التى تعنيها هذه الأقوال أيضاً – لأن تلك الأقوال قد كتبت عن صورة الله – وأما فإنهم بإساءتهم تفسير هذه الأقوال كتلك، أيضاً، فإنهم سيضطرون إلى القول أن الآب هو متغير أيضاً.

ولكن بما أن مجر سماع الآخرين يقولون هذا القول، هو أمر له أخطار كثيرة، لهذا فإننا نفكر بالصواب بقولنا أن "الله يحب العدل ويبغض الاختلاس بالظلم". وهذا لا يعنى بأنه له ميل تجاه الواحد أو تجاه الآخر، ويقبل ما هو مضاد، لدرجة أنه يفضل هذا ولا يفضل ذاك، فهذه هى سمة المخلوقات، بل يعنى أنهن كقاض، يحب الأبرار ويعينهم ويعزف عن الأشرار. وتبعاً لهذا إذن، ينبغى أن نفكر بمثل هذه الأفكار عن "صورة الله" أيضاً بأنه هكذا يحب ويكره، لأن هذا ما يجب أن تكون عليه طبيعة "الصورة" مثل طبيعة الآب، حتى ولو كان الآريوسيون – لأنهم عميان – لا يرونها ولا يرون شيئاً آخر من الأقوال الإلهية.

وبسبب تناقص الأفكار فى قلوبهم أو بالأحرى سوء أفكارهم وخبلهم. فإنهم يلوذون مرة أخرى بنصوص الكتب المقدسة، التى عادة لا يشعرون بها، فلا يدركون معناها الصحيح – ولكنهم جعلوا من عدم تقواهم الذاتى قاعدة طابقوا عليها كل هذه الأقوال الإلهية وحرفوها. وعند مجرد ذكر مثل هذا التعليم فإنهم لا يستحقون سماع شئ آخر سوى "تضلون لأنكم لا تعرفون الكتب ولا قوة الله" (متى29:22). وأن تشبثوا بكلامهم فمن الواجب أن نسكتهم بالقول "أعطوا ما للناس للناس. وما لله لله" (أنظر متى21:22).

الفصل الثالث عشر:

شرح نصوص: ثالثاً: عبرانيين 4:1

"صائراً أعظم من الملائكة"

53- ولكنهم يقولون أنه مكتوب فى الأمثال "الرب أقامنى أول طرقه لأجل أعماله" (أم22:8). وأنه فى الرسالة الى العبرانيين يقول الرسول "صائراً أفضل من الملائكة بمقدار ما قد ورث اسماً أكثر تميزاً عنهم" (عب4:1). ويقول بعد قليل "من ثم أيها الاخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية، ركزوا انتباهكم جيداً على رسول ورئيس كهنته اعترافنا يسوع، حال كونه أمينا للذى أقامه (عب1:3،2). وفى سفر الأعمال "فليعلم يقينا جميع بيت أسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذى صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً" (أع36:2).

هذه الأقوال يتفوهون بها فى كل مكان، ولديهم أفكار معوجة عنها ومحرفين معناها، مدعين بها أن كلمة الله مخلوق ومصنوع، وواحد من المخلوقات وهكذا يخدعون الجهلاء، متسترين تحت ستار هذه الأقوال التى يطرحونها.

ولكنهم بدلاً من المعنى الحقيقى، فإنه يلقون بذور سم هرطقتهم الخاصة. لأنهم "لو كانوا يعرفون، لما كانوا يجدفون على هذا الذى هو "رب المجد" (1كو8:2). ولما كانوا يحرفون معانى أقوال الكتاب الحسنة. إذن. فإن كانوا يتبنون أسلوب قيافاً صراحة. فإنهم يكونون تبعاً لذلك قرروا أن يتهودوا، حتى أنهم يجهلون المكتوب بأنه "حقاً سيسكن الله على الأرض" (أنظر زكريا10:2). دعهم لا يفحصون الأقوال الرسولية. لأن هذا ليس من سمة اليهود.

ولكن من الناحية الأخرى، إن كانوا يمزجون أنفسهم بالمانويين[(72)] الملحدين، وينكرون أن "الكلمة صار جسداً" (يو14:1) وينكرون "حضوره المتجسد" إذن فلا يكون من حقهم أن يستعملوا الأمثال، لأن هذا كان غريباً بالنسبة للمانويين. ولكن أن كان بسبب إثارة المشكلة، والربح الناتج من جشعهم، وبسبب طموحهم وحبهم للشهرة، لا يجسرون على إنكار أن "الكلمة قد صار جسداً" لأن هذا مكتوب حقاً، عندئذ، فأما أنهم من واجبهم أن يفسروا تلك الكلمات المكتوبة بخصوص "الحضور التجسدى للمخلص". تفسيراً صائباً، وأما، ان كانوا ينكرون القصد السليم، إذن، فلينكروا أن الرب قد صار إنساناً. لأنه لا يليق بهم أن يعترفوا بأن "الكلمة قد صار جسداً". ومن ناحية أخرى يستحون من المكتوب عنه، ولذلك فإنهم يحرفون معناه.

54- لأنه مكتوب "بهذا المقدار صار أعظم من الملائكة" (عب4:1) لذلك فمن الواجب أن نفحص هذا أولاً. والآن من الملائم كما نعمل فى كل الأسفار الإلهية. هكذا من الضرورى أن نعمل هنا أيضاً. فيجب أن نفهم بأمانة: العصر الذى كتب عنه الرسول. والشخص والموضوع اللذين كتب عنهما. لكى لا يجد القارئ نفسه – وهو يجهل هذه الأقوال أو غيرها. بعيداً عن المعنى الحقيقى. ولذلك فإن ذلك الخصى المحب للمعرفة – حينما عرف هذا توسل إلى فيلبس قائلاً: "أنى أسألك، عمن يقول النبى هذا. عن نفسه أم عن شخص آخر؟" (أع34:8) لأنه كان يخشى أن يحيد عن المعنى المستقيم. ويفهم الكلام عن شخص آخر من خلال قراءته. وايضاً التلاميذ بسبب رغبتهم أن يعرفوا وقت حدوث ما قاله الرب توسلوا إليه قائلين "قل لنا متى ستكون هذه الأمور؟. وما هى علامة مجيئك" (مت3:24). وأيضاً عندما سمعوا من المخلص ما قاله عن النهاية. أرادوا أيضاً أن يعرفوا زمنها (أنظر متى36:24). وذلك لكى لا يضلوا هم. وأيضاً لكى يتمكنوا من تعليم الآخرين. فإنهم بعد أن عرفوا فقد صححوا (أفكار) الذين كانوا على وشك الضلال من أهل تسالونيكى[(73)].

لذا فعندما يكون لدى واحد من مثل هؤلاء معرفة كثيرة، عندئذ سيكون له فكر إيمان صحى ومستقيم. أما إذا أساء أحد فهم شئ من هذه، فإنه سينزلق فى الحال إلى الهرطقة. وهكذا ضل الذين يتبعون هيمنايس والأسكندر (1تيمو20:1). لأنه برغم أن الوقت لم يكن قد صار بعد. كانوا يقولون أن القيامة قد صارت بالفعل. (أنظر2تيمو18:2). فى حين أن الغلاطيين – بعد أن أكتمل الزمان – قد الوا الىن إلى الختان[(74)]. أما من جهة الشخص. فقد كابد اليهود ولا يزالون يقاسون حتى الآن، لأنهم يظنون أن هذه الآية "هوذا العذراء تحمل وستلد أبناً، وتدعون اسمه عمانوئيل، الذى تفسيره الله معنا" (أش14:7، متى23:1) تقال بخصوص واحد منهم (لا يزالون ينتظرونه) وأنه عندما قيل "سيقيم لكم الرب نبياً من وسطكم" (تث15:18، 1ع22:3) فأنهم يظنون أنه يتكلم عن واحد من أنبيائهم. أما القول "كشاه قد سيقت إلى الذبح" (أش7:53)، فأنهم لم يتعلموا من فيلبس إلى من يشير، بل ظنوا أنه يتكلم عن أشعياء أو عن نبى آخر من بين أنبياءهم

55- لذا فإن أعداء المسيح أنزلقوا إلى الهرطقة البغيضة بسبب معاناتهم من مثل هذه الامور. فأنهم لو كانوا قد عرفوا تماماً الشخص والموضوع والوقت المتعلق بالكلمة الرسولية. لما جدف أولئك الحمقى إلى هذا الحد – ناسبين الأمور الناسوتية إلى ألوهيته.

وفى استطاعة أى شخص أن يرى هذا، لو أنه فسر بداية الفصل تفسيراً جيداً فإن الرسول يقول "الله بعد ما كلم الآباء بواسطة الأنبياء قديماً. مرات كثيرة وبطرق متنوعة. كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة بواسطه ابنه" (عب1:1،2). وبعد قليل يقول "بعد ما صنع بنفسه تطهيراً

لخطايانا جلس فى يمين العظمة فى الأعالى. صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما قد ورث اسماً أفضل منهم" (عب3:1،4).

أن القول الرسولى إذن يشير إلى الزمن الذى فيه "كلمنا بواسطة ابنه". عندما قد صار تطهير خطايانا أيضاً. فمتى "تحدث إلينا فى شخص ابنه". ومتى قد صار "تطهير الخطايا". ومتى قد صار إنساناً إلا بعد الأنبياء فى الأيام الأخيرة؟ وبما أنه كان يقص قصة التدبير الخاص بكل منا. وكان يتكلم من الأزمنة الأخيرة. فإنه لا ينقطع عن ذكر أن الله لم يكف عن التحدث إلى الناس خلال الأزمنة الماضية، لأنه تحدث إليهم بواسطة الأنبياء. ولأن الأنبياء قد خدموا، والشريعة أعلنت بواسطة الملائكة (عب2:2). والأبن أيضاً نزل وجاء لكى يخدم (متى28:20) لذا كان من الضرورى أن يضيف. "صائراً أعظم من الملائكة بمثل هذا المقدار" رغبة منه أن يوضح أن الابن بقدر ما يختلف عن العبد بقدر ذلك صارت خدمة الابن أفضل من الخدمة التى يقدمها العبيد.

إذن. بعد أن ميز الرسول بين الخدمة قديما وبينها حديثاً فأنه يقدم لليهود كاتباً وقائلاً "صائراً أعظم من الملائكة بمثل هذا المقدار"، لهذا فإنه لم يعقد مقارنة بينه وبين الكل (أى المخلوقات). بقوله أنه قد صار "أعظم". أو "أكثر كرامة" وذلك لكى لا يظن أحد بخصوصه وخصوصهم – أنهم أبناء جنس واحد. بل قد قال أنه "أفضل" وذلك لكى يكون معروفاً، إختلاف طبيعة الابن عن طبيعة المخلوقات. ولدينا الدليل على هذا من الكتب المقدسة. إذ يترنم داود قائلاً "يوم واحد فى ديارك خير من ألف" (مز10:84). أما سليمان فيهتف قائلاً: "خذوا تأديبى لا الفضة. والمعرفة أكثر من الذهب المختار. لأن الحكمة خير من الأحجار الكريمة، وكل مادة ثمينة لا تساويها" (أم10:8،11).

لأنه كيف لا تكون الحكمة والأحجار المستخرجة من الأرض. مختلفة فى جوهرها، وهى بطبيعتها شئ آخر؟ وأية علاقة توجد بين الديار السماوية، وبين المساكن التى على الأرض؟ أم ما وجه التشابه بين الابديات والروحيات، وبين الأمور الوقتية والفانية؟ لأن هذا هو المعنى الذى يقوله أشعياء "هكذا قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتى ويختارون ما يسرنى ويتمسكون بعهدى. أنى أعطيهم فى بيتى وفى أسوارى موضعاً ذائع الصيت، أفضل من البنين والبنات، وسأعطيهم اسماً أبدياً، ولن ينقطع" (اش4:56،5).

إذن، فلذلك فليست هناك علاقة قرابة بين الابن والملائكة وما دامت ليست هناك علاقة –فلهذا فإن كلمة "أفضل" لا تذكر للمقارنة، بل بحصافة وفطنة بسبب اختلاف طبيعة الابن عن طبيعة الملائكة. ونفس الرسول هو الذى فسر كلمة "أفضل" قائلاً أن هذا لا يكمن فى شئ آخر بل فى الفرق بين الابن والمخلوقات، كمن يقول أن هذا هو الابن، بينما المخلوقات هم العبيد. وكما أن الابن هو مع الآب "جالس عن يمينه". هكذا فإن العبيد يظهرون أمامه، "ويرسلون (ضمه على الياء) ويخدمون".

56– وبما أن هذه الأقوال مكتوبة هكذا، أيها الآريوسيون فأنه يستدل منها أن الابن ليس مخلوقاً، بل بالأحرى هو كائن آخر غير كل المخلوقات. فهو ابن ذاتى للآب كائن فى أحضانه. لأن ما هو مكتوب أيضاً: "صائراً" لا يعنى أن الابن مخلوق مثلما تظنون أنتم. لأنه لو كان قد قيل ببساطة "صائراً". وسكت، لكان لدى الآريوسيين عذر، حيث أنه قد تكلم من قبل عن الابن موضحاً من خلال كل الفقرة أنه كائن آخر غير المخلوقات. لهذا لم يدون "صائراً" بمعنى مطلق، بل ربط "أعظم" بـــ "صائراً" لأنه أعتبر أن هذا القول ليس مختلفاً. عالماً أن من

يقول "صائراً" عن من يعترف (بضم الياء) به أنه ابن ذاتى، كمن يقول عنه أنه قد صنع، وأنه "أعظم" ذلك لأ المولود لا يتغير، حتى وأن قيل عنه أنه قد صار، أو أنه قد صنع.

أما المخلوقات فلأنها مخلوقة، فمن المستحيل أن يقال عنها أنها مولوده، إلا فيما بعد. أى بعد خلقتها. حينما تشترك فى الابن المولود. وفى هذه الحالة يقولون عنها أيضاً أنها قد ولدت، ليس بسبب طبيعتها الذاتية، بل بسبب مشاركتها للابن، فى الروح. وهذا أيضاً تعترف به الكتب الإلهية، التى تقول عن المخلوقات "كل شئ به كان. وبغيره لم يكن شئ" (يو 3:1).
"وكل أعمال بحكمة صنعت" (مز 24:104). أما عن الابناء المولودين فيقول: "ولد لأيوب سبعة بنين وثلاث بنات" (أيوب 2:1) "وكان لأبراهيم مئة سنة عندما ولد له أسحق ابنه" (تك 5:21)
أما موسى فقال: "أن ولد بنون لأى شخص" (أنظر حز 4:21) لذلك فإن كان مختلفاً عن المخلوقات، وهو المولود الوحيد الذاتى لجوهر الآب، فقد أحبط إدعاء الأريوسيين بخصوص لفظة "صائراً".

لأنه، وإن كان على الرغم من خجلهم بسبب أحباطهم فإنه يضطرون أن يقولوا، أن الكلمات قد قيلت على سبيل المقارنة. ولهذا فإن الأقوال المقارنة هى من نفس النوع، حتى أن الابن يكون من نفس طبيعة الملائكة، فهم سيقعون فى العار مقدماً لأنه يحاكون ويؤكدون تعاليم فالنتينوس وكاربوكراتوس[(75)] وغيرهما من الهراطقة.

فالأول منهما قال أن الملائكة من نفس طبيعة المسيح، أما كاربوكراتوس فيقول أن الملائكة هم الذين خلقوا العالم، فربما تعلموا منهم أيضاً أن يقارنوا "كلمة الله" بالملائكة.

57- ولكنهم بتخيلهم مثل هذه الأمور، فإن المرنم يخجلهم بقوله "من يكون شبيهاً بالرب من بين أبناء الله" (مز 1:89). "من يشبهك بين الآلهة يا رب؟" (8:86). إلا أنهم - إن كانوا يريدون أن يعرفوا - سيسمعون الجواب، بأن الأمور المتعلقة بالمقارنة إنما تكون بين المتماثلين فى الجنس، وليس بين غير المتجانسين.

إذن، فليس فى وسع أحد، أن يقارن الله بالإنسان. كما أنه لا يمكنه مقارنة الإنسان بالخيل، ولا الأخشاب بالأحجار نظراً لعدم تشابه طبيعتهما. لكن الله هو جوهر لا نظير له ولا يقاس بغيره. أما الإنسان فإنه يقارن بإنسان، كما يقارن الخشب بالخشب، والحجارة بالحجارة. وليس فى وسع أحد أن يستخدم قط عن هذه الأشياء كلمة "أعظم" بل يستعمل كلمات مثل "نوعاً ما" و "أكثر". فمثلاً كان يوسف جميلاً نوعاً ما بين أخوته. وراحيل أكثر جمالاً من ليئه. وليس نجم "أفضل" من نجم. ولكنه يختلف نوعاً ما فى المجد (أنظر 1 كو 41:15). أما فى حالة الأشياء غير المتشابهة. فعند مقارنة هذه الأشياء بعضها ببعض، فعندئذ يقال "أفضل" عن الأشياء التى لها نوعية مغايرة. مثلما سبق أن قيل عن الحكمة والأحجار الكريمة.

إذن فإن كان الرسول قد قال "أن الابن أرقى بكثير من الملائكة" أو هو "أعظم بدرجة أكبر" لكان لكم العذر أن تقارنوا الابن بالملائكة. أما الآن فبقوله أنه "أفضل" وأنه يختلف بدرجة كبيرة بقدر ما يختلف الابن عن العبيد، فإنه يبين أنه مختلف عن طبيعة الملائكة.

ومرة أخرى، عندما يقول أنه هو "الذى أسس جميع الأشياء" (أنظر عب 10:1). يبين أنه مختلف عن جميع المخلوقات. وبما أنه مختلف تماماً فى جوهره عن طبيعة المخلوقات. فأى مقارنة أو مضاهاة لجوهرة يمكن أن توجد بالمقارنة مع المخلوقات؟ لأنهم إن استعادوا - إلى

ذاكرتهم من جديد شيئاً من هذا. فلا شك أن بولس سينفذها لهم عندما يقول: "لأنه لم من الملائكة قال قط. أنت أبنى وأنا اليوم ولدتك" (عب1:5). ويقول عن الملائكة "الصانع ملائكته أرواحاً وخدامه لهيب نار" (عب1:7).

58– فها هو ذا إذن يستخدم فعل "يصنع" عن المخلوقات وهو يقول عنها أنها مصنوعة. أما بخصوص الابن فلم يستخدم كلمة "صنع" ولا "صيرورة" بل يقول عنه أنه "الأبدى" و "الملك" "وكونه الخالق". عندما تكلم قائلاً: "عرشك يا الله إلى دهر الدهور" (عب1:8). "وأنت يا رب فى البدء أسست الأرض. والسموات هى عمل يديك. وهى ستبيد ولكنك أنت ستبقى" (عب1:10،11). ومن هذه الكلمات يمكنهم أن يفهموا – إن كانوا يريدون – أن الخالق هو آخر غير المخلوقات. أما المخلوقات فهى شئ آخر غيره، وأنه هو الله. أما تلك المخلوقات فقد صنعت من العدم. لأن ما يقوله هنا "هذه ستبيد"، لم يقله لأن الخليقة ستصير الى زوال. بل لكى يبين طبيعة المخلوقات. من النهاية التى ستؤول إليها". لأن تلك التى لها قابلية الهلاك، حتى وإن لم تكن هلكت بعد – بسبب فضل ذاك الذى خلقها – إلا أنها قد خلقت من العدم – مما يشهد بأن هذه الأشياء لم تكن موجودة يوماً ما. من أجل هذا إذن، حيث أن مثل هذه الأشياء لها مثل هذه الطبيعة فإنه يقال عن الابن القول "أنت ستبقى". لكى تتضح أبديته. لأنه حيث أنه ليس فيه إمكانية الفناء، كما يحدث للمخلوقات – بل له الدوام إلى الأبد، فليس ملائماً أن يقال عنه: "لم يكن موجوداً قبل أن يولد". فإنه هو نفسه الموجود دائماً، والدائم مع أبيه. وحتى لو لم يكن الرسول قد كتب هذا فى الرسالة إلى العبرانيين إلا أنه فى رسائله الأخرى. بل كل الكتاب المقدس يحول دون تخيل مثل هذه التصورات عن "اللوغوس". وحيث أن الرسول كتب هذا. وكما قد أتضح من قبل. أن الابن هو مولود جوهر الآب، وأنه هو الخالق، وأن المخلوقات خلقت بواسطته. وأنه هو أيضاً "البهاء". و"واللوغوس" "والصورة". "وحكمة الآب". فى حيث أن المخلوقات أحط من الثالوث. وهم يساعدون ويخدمون. ولذلك فإن الابن مختلف فى النوع. ومختلف فى الجوهر بالنسبة إلى المخلوقات. وبالأحرى فإنه هو من ذات جوهر الآب ومن نفس طبيعته

لذلك فإن الابن نفسه لم يقل "أبى أفضل منى" حتى لا يظن أحد أنه غريب عن طبيعة الآب. بل قال "أعظم منى" (يو14:28)، ليس من جهة الحجم ولا من جهة الزمن، بل بسبب ميلاده من أبيه ذاته، فأنه حتى عندما يقال "أعظم منى" أظهر مرة أخرى أنه من ذاتية جوهره (الذاتى)[(*)].

59– والرسول نفسه عندما قال "صائراً أفضل من الملائكة بمثل هذا المقدار". لم يقل هذا ليس لأنه أراد أولاً أن يقارن جوهر اللوغوس بالمخلوقات – لأنه لا يوجد وجه للمقارنة. أو بالأحرى فإن الواحد منهما غير الآخر تماماً. ولأنه وهو يرى "حضور اللوغوس التجسدى" إلينا، والتدبير الصائر منه عندئذ. فإنه يوضح أن اللوغوس ليس مشابها للذين سبقوا أن جاءوا قبله. وهذا لكى يوضح أنه بقدر ما يختلف هو (اللوغوس) بحسب الطبيعة عن الذين أرسلهم قبله، بقدر ما كانت النعمة الصائة منه وبه أفضل أعظم من خدمة الملائكة. لأن العبيد كانوا مختصين فقط بالمطالبة بالثمار وليس أكثر (متى21:34). أما الابن والسيد فكان يحق له أن يصفح عن ديونهم وأن يسلم الكرم إلى آخرين.

هذا إذن الذى يذكره الرسول بعد ذلك، يوضح اختلاف الابن عن المخلوقات قائلاً: "لذلك يجب أن نتتبه أكثر إلى ما سمعناه حتى لا نبتعد عنه. لأنه إن كانت الكلمة التى نطق بها ملائكة قد صارت ثابتة وكل تعد ومعصية نال جزاء عادلاً. فكيف ننجو أن أهملنا خلاصاً هذا مقداره؟

هذا الخلاص الذى بدأ الرب التحدث به، ثم تثبت من الذين سمعوه" (عب2:1-2). فإن كان الابن معدوداً واحداً من المخلوقات، لما كان أفضل منهم، ولما أختص من يعصاه بأعظم قدر من العقاب بسببه. لأنه فى خدمة الملائكة لم يكن مسموحاً لأى واحد منهم أن يتمكن من معاقبة المخالفين سواء بأكثر أو بأقل، بل كانت الشريعة واحدة، وكان الحكم واحداً بالنسبة إلى المخالفين.

ولكن حيث أن اللوغوس ليس معدوداً بين المخلوقات بل هو ابن الآب، لذلك فبقدر ما كان هو أفضل، كلما كانت الأعمال الخارجة منه، أفضل ومغايرة، وكلما وجب أن تكون العقوبة أشد. إذن دعهم ينتظرون النعمة الممنوحة عن طريق الابن. وليدركوا هذا المشهود له بواسطة الأعمال أنه مختلف عن المخلوقات وأنه وحده الإبن الحقيقى الذى فى الآب، والآب فيه.

والشريعة نطق بها بواسطة ملائكة، وهى لم تكمل أحداً، بسبب إحتياجنا إلى مجئ اللوغوس إلينا مثلما قال بولس (أنظر عب7:19). أما مجئ اللوغوس فقد أكمل عمل الآب. (يو17:4) وفى ذلك الوقت كان "الموت قد ملك من آدم إلى موسى" (رو5:14) أما حضور اللوغوس فقد "أبطل الموت" (2تى 1:10) ولم نعد بعد "نموت جميعاً فى آدم، بل فى المسيح سيحيا (بضم الياء الأولى) الجميع" (1كو15:22) وعندئذ كان ينادى بالشريعة من دان إلى بئر سبع. "وكان الله معروفاً فى اليهودية" (مز76:1) وحدها. أما الآن فقد "خرج صوتهم إلى كل الأرض" (مز19:4). "وقد أمتلأت الأرض من معرفة الله" (أش11:9). "والتلاميذ تلمذوا كل الأمم" (متى28:19). واليوم تم المكتوب "ويكون الجميع متعلمين من الله" (يو6:45، أش54:13).

وفى ذلك الوقت كانت تلك الشواهد مجرد مثال، أما الآن فقد ظهرت الحقيقة نفسها. وهذا يفسره الرسول مرة أخرى بعد ذلك بشكل أوضح عندما يقول: "على قدر ذلك قد صار يسوع ضامناً كعهد أفضل" (عب7:22) ومرة أخرى يقول "ولكن يسوع الآن قد حصل على خدمة أفضل بمقدار ما هو وسيط لعهد أفضل قد تثبت على تعهدات أفضل" (عب8:6)، و "لأن الناموس لم يكمل شيئاً. ولكن يصير إدخال رجاء أفضل" (عب7:19) ويقول مرة أخرى "فكان يلزم أن أمثلة الأشياء التى فى السموات تطهر بهذه الأساليب، أما السماويات عينها فإنها تطهر بذبائح أفضل من هذه" (عب9:23). والآن إذن، فإن كلمة "أفضل" تشير كلية إلى الرب، الذى هو أفضل من سائر المخلوقات. ومميزاً عنها. ذلك لأن ذبيحته أفضل، والرجاء فيه أفضل. والوعود المعطاة بواسطته 0 ليست لمجرد مقارنتها كعظيمة أمام أخرى صغيرة، بل لكونها مختلفة عن الأخرى بحسب طبيعتها. لأن مدبر هذه الأمور هو "أفضل" من المخلوقات.

60- وأيضاً قوله "قد صار ضامناً"، أى الضمانة المعطاة منه لأجلنا. لأن اللوغوس قد "صار جسداً"، فإننا نعتبر "الصيرورة" أنها تشير إلى الجسد، لأن "الجسد مخلوق وهو مصنوع". وهكذا أيضاً كلمة "قد صار" فإننا نفسرها بحسب مدلولها الثانى. وذلك بسبب صيرورته إنساناً. وعلى المعارضين أن يعرفوا أنهم ينزلقون بسبب سوء نيتهم هذه.

وليعرفوا إذن أن بولس الذى عرفه "كإبن" و"حكمة" و"بهاء" و"صورة" الآب، لم يقصد أن جوهر "اللوغوس" قد "صار" بل تعتبر "الصيرورة" هنا لخدمة ذلك العهد الذى كان فيه الموت سائداً يوماً، وهو قد أبطل هذا الموت.

وبحسب هذا فإن الخدمة من خلاله قد صارت أفضل، إذ أيضاً "لأن ما كان الناموس عاجزاً عنه حينما كان ضعيفاً من ناحية الجسد، فالله إذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطيئة ولأجل

الخطيئة دان الخطيئة فى الجسد" (رو3:8) نازعاً الخطيئة من الجسد. الذى كان أسيراً لها على الدوام لدرجة أنه لم يستوعب الفكر الإلهى. وإذ جعل الجسد قادراً على تقبل "اللوغوس" فإنه خلقنا حتى "لا نسلك بعد بحسب الجسد بل بحسب الروح". ونقول ونكرر نحن "لسنا فى الجسد بل فى الروح" (رو9:8)، وأن ابن الله جاء "إلى العالم لا لكى يدين العالم" بل لكى يفدى الجميع "ويخلص به العالم" (يو17:3). لأنه سابقاً إذ كان العالم – كمسئول – وكان يدان بواسطة الناموس. أما الآن فإن اللوغوس أخذ الدينونة على نفسه، وبتألمه لأجل الجميع بالجسد. وهب الخلاص للجميع. هذا ما رآه يوحنا فصاح قائلاً "الناموس بموسى أعطى. أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا" (يو17:1). فالنعمة أفضل من الناموس، والحقيقة أفضل من الظل.

61– إذن. فإن "الأفضل" – كما سبق أن قيل، لم يكن ممكنا أن يصير بواسطة أى شخص آخر بل بواسطة الإبن "الجالس عن يمين أبيه". وما الذى يعنيه هذا سوى أصالة الابن وأن ألوهية الآب هذه إنما هى ألوهية الابن؟

فإن الإبن وهو مالك ملكوت الآب، فإنه يجلس فى ذات العرش مع الآب، ونراه مرتبطاً بألوهية الآب. إذن فاللوغوس هو الله، و "الذى يى الابن يرى الآب" (يو9:14). وهكذا فهو إله واحد.

إذن فبجلوس الإبن عن اليمين، لا يعنى بذلك أن الآب على يساره بل يعنى أن ما يكون يميناً وكريماً فى الآب، فهذا أيضاً يكون للابن. وهو يقول "كل ما هو للآب فهو لى" (يو15:16). ولذا فإن الابن وهو جالس على اليمين يرى الآب نفسه على اليمين، بالرغم من أنه بصيرورته إنساناً يقول "أنى أرى الرب أمامى فى كل حين، أنه عن يمينى لكى لا أتزعزع" (مز8:16). وهذا يوضح أيضاً أن الإبن فى الآب، والآب فى الإبن (أنظر يو10:14) ولكون الآب على اليمين يكون الإبن على اليمين. ومثلما يجلس الابن على اليمين يكون الآب فى الإبن. والملائكة يخدمون صاعدين ونازلين.

أما عن الابن فيقول "ولتسجد له كل ملائكة الله" (عب6:1). عندما تقوم الملائكة بالخدمة يقولون "أرسلت (بضم الألف) اليك" (لو19:1). "الرب قد أوصى" (أنظر مز11:91).

أما الابن فإنه يقول وهو فى الصورة البشرية: "الآب قد أرسلنى" (يو36:5) وإنه "أتى لكى يعمل" (يو36:5) ولكى "يخدم" (يو36:5) إلا أنه لكونه "اللوغوس" و"الصورة" يقول "أنا فى الآب والآب فى" (يو10:14)، "ومن رآنى فقد رأى الآب" (يو9:14) "والآب الحال فى هو الذى يعمل الأعمال" (يو10:14). لأن الأشياء التى نراها فى تلك الصورة، فهذه هى أعمال الآب. إن ما سبق أن قيل كان ينبغى أن يخجل الذى يصارعون ضد الحق. ولكن إن كانوا بسبب ما كتب "صائراً أفضل" يرفضون أن يفهموا أن "صائراً" إنما تقال عن الإبن فى حالة صيرورته إنساناً. أو تقال عنه بسبب الخدمة الأفضل التى صارت بالتجسد، كما قلنا. بل يفهمون بهذه العبارة أن اللوغوس مخلوق، فليسمعوا مرة أخرى بإيجاز هذه الأقوال لأنهم قد نسوا ما كان قد قيل.

62– لأنه لو كان الابن يحسب من بين الملائكة، واستعملت كلمة "صائراً" عنه كما عن الملائكة. وإن كان لا يختلف عنهم فى شئ بحسب الطبيعة: ففى هذه الحالة، أما أن يكون الملائكة جميعاً أبناء، أو يكون هو ملاكاً. وهكذا فإما أن الجميع يجلسون عن يمين الآب، أو

أن يقف الابن مع الملائكة "كأحد الأرواح الخادمة المرسلة للخدمة" (عب1:14) مثله مثل الملائكة.

ولكن من الجهة الأخرى. إن كان بولس قد ميز بين الابن والمخلوقات قائلاً "لأنه لمن من الملائكة قال قط أنت أبنى" (عب1:5). لأن الابن قد خلق السماء والارض، أما الملائكة فإنهم قد خلقوا بواسطته، هو يجلس مع الآب، أم هم فيقفون ويخدمون، فلمن لا يكون واضحاً أنه لم يستعمل "صائراً" عن جوهر اللوغوس، بل عن الخدمة الصائرة منه؟.

فكما أنه لأنه "اللوغوس" قد "صار جسداً"، فإنه حينما صار إنساناً، فإنه فى خدمته "قد صار أفضل بمثل هذا القدر" من الخدمة الصائرة من الملائكة. وبقدر ما يختلف الابن عن العبيد، والخالق عن المخلوقات هكذا فليكفوا عن إعتبار كلمة "صائراً" أنها عن جوهر الابن، لأن الابن ليس من بين المخلوقات، وليعلموا أن "صائراً" إنما تشير إلى خدمته، والتدبير الذى صار فعلاً.

أما كيف قد صار أفضل فى الخدمة، إذ هو أفضل بالطبيعة عن المخلوقات فهذا يثبت مما سبق أن قلناه، وأعتقد أنه يكفى لتخجيلهم. ولكنهم أن استمروا فى إنكارهم، ففى هذه الحالة يكون من المناسب أن نقاوم جسارتهم المتهورة، ونعارض أولئك بنفس الأقوال التى قيلت عن الآب ذاته. وهذا يؤدى أما إلى تخجيلهم لكى يكفوا ألسنتهم عن الشر، وأما أن يعرفوا إلى أى مدى سحيق وصل جنونهم.

أنه مكتوب "لتكن لى إله معين. وبيت أحتمى به لكى تخلصنى" (مز31:2) وأيضاً "صار الرب ملجأ للمعدم" (مز9:9) وغيرها كثير مثلها فى الكتب المقدسة. فإن كانوا يقولون أن هذه الأقوال قد كتبت عن الابن وهو المحتمل أن يكون هكذا حقاً، فيجب عليهم أن يعرفوا بأن القديسين يطلبون اليه بإلحاح أن يكون معيناً لهم وبيت إحتماء. لأنه ليس بمخلوق. ولذلك فإن "صائراً" و"صنع" ولفظ "قنى" من الواجب فهمها أنها تشير إلى حضوره المتجسد، لأنه بتجسده قد "صار معيناً"، "وبيت حماية" عندما "حمل خطايانا فى جسده على الخشبة" (1بط2:24)، وهو الذى قال "تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال، وأنا أريحكم" (متى11:28).

63- إلا أنهم أن قالوا أن هذه الأقوال إنما هى عن الآب، فهل سيحاولون أن يقولوا أن الله مخلوق بسبب ما جاء فى هذه الأقوال من عبارات "لتكن لى" أو "صار الرب" نعم أنهم سيتجاسرون على ذلك مثلما يفكرون بنفس الأفكار عن اللوغوس. لكن حاشا أن يأتى قط مثل هذا التفكير إلى فكر أى واحد من المؤمنين فالابن ليس من بين المخلوقات، كما أن المكتوب هنا "لتكن" "وصار" لا يعنى بداية الوجود، بل يعنى المعونة التى تعطى للمحتاجين إليها. لأن الله هو هو دائماً، أما الناس فقد صاروا بعد ذلك بواسطة اللوغوس، حينما أراد الآب ذاته. فإن الله لا يرى. ولا يمكن الدنو منه بالنسبة إلى المخلوقات. وخاصة بالنسبة للناس. إذن فعندما يتوسل الناس فى ضعفهم. ويطلبون العون وهم مطاردون، وعندما يصلون وهم مظلومون، فإن غير المنظور – لكونه محباً للبشر – يظهر لهم بوجوده وأحسانه الذى يقدمه بواسطة وفى شخص "كلمته" الذاتى. وحينئذ تكون علامات الظهور بحسب حاجة كل واحد فيظهر قوياً للضعفاء، ويظهر "ملجأ" للمطرودين. "وبيت حماية" للمظلومين" ويقول "بينما أنت تستغيث، أقول هأنذا أنى حاضر بجوارك" (أش58:9).

فأن معونة تأتى لأى واحد بواسطة الإبن، فإن ذلك الواحد يقول أن الله قد "صار" له، حيث أن المساعدة من الله قد صارت بواسطة اللوغوس وأن عادة استعمال الناس تعرف هذا الأمر، والجميع يعترفون بهذا ويتكلمون بالحق.

وكثيراً ما أعطى البشر معونة لبشر مثلهم، فهناك من يتعاطف مع المصاب مثلما فعل إبراهيم مع لوط (أنظر تك14:13-16). وهناك من فتح داره للمطرود، كما فعل عوبديا لبنى الأنبياء (1ملوك18:4). وهناك من أراح الغريب، ملما أراح لوط الملائك (أنظر تك19:3)، وهناك من أعطى للمحتاجين، مثلما أعطى أيوب للذين سألوه (أنظر أيوب29:15-16) فلو قال واحد من هؤلاء الذين نالوا المعونة: "مثل هذا المعين قد صار لى" ولو قال آخر "صار لى ملجأ". ويقول آخر "قد صار واهب". فأنهم عندما يقولون لا يقصدون بداية وجود المحسنين إليهم. ولا جوهرهم، بل يقصدون الإحسان الصائر إليهم من أولئك المحسنين. هكذا عندما يقول القديسون، عن الله أنه "قد صار" "ولتكن لى" فإنهم لا يعنون أى بدء للوجود، لأن الله ليس له بداية، وليس مخلوقاً، بل يقصدون الخلاص الذى صنعه هو للبشر.

64- فإن كانت الأمور تفهم هكذا، فإنهم سيفهمون هكذا عن الابن أيضاً، حينما يقال "قد صار" و "لتكن" حتى أنه حينما نسمع القول "صائراً" أفضل من الملائكة" (عب1:4)، "وقد صار"، فحاشا أن نفكر فى أية بداية لوجود اللوغوس، ولا أن نتخيل أبداً من مثل هذه الأفكار أنه مخلوق. بل يجب أن نفهم ما يقوله بولس أنه يشير إلى الخدمة والتدبير الخاص بصيرورته إنساناً. لأنه عندما "صار الكلمة جسداً وسكن فلينا" (يو1:14). جاء لكى يخدم" (متى20:28). ولكى يهب للجميع خلاصاً، وعندئذ صار لنا خلاصاً. وصار لنا حياة. وصار فداء. عندئذ فإن تدبيره من أجلنا "قد صار أفضل من الملائكة". وصار طريقاً. وصار قيامته.

وكما أن القول "لتكن لى إله معين" (مز31:2) لا يشير إلى صيرورة جوهر الله ذاته، بل تشير إلى محبته للبشر، كما قيل، هكذا الآن: "صائراً أفضل من الملائكة" و"صار". و"بقدر هذا قد صار يسوع ضامناً أفضل" (عب7:22)، لا تعنى أن جوهر اللوغوس مخلوق (حاشا). بل يقصد الإحسان الصائر لنا بتأنسه، رغم جحود الهراطقة. ومشاغبتهم بسبب عدم تقواهم.

(تمت المقالة الأولى وتليها الثانية)

ملحـــــق:

الآريوسيــــة

للبروفسور ب. ك خريستو

أستاذ الآباء بجامعة تسالونيكى باليونان

ولد أريوس فى ليبيا بعد منتصف القرن الثالث بقليل، ودرس بمدرسة لوكيانوس بأنطاكية حيث كان زميل دراسة لبعض الأشخاص الذين أرتقوا فيما بعد إلى درجات الرئاسة الكهنوتية. وهم الذين عضدوه ودفعوا به للمضى فى طريق الكفاح لأجل نشر أفكاره.

وكل هؤلاء الزملاء الذين درسوا فى مدرسة لوكيانوس صاروا يلقبون بأسم "اللوكيانيين" أو "الاتحاد اللوكيانى". وهذا لا يمنع أن آريوس درس أيضاً فى مدرسة الاسكندرية اللاهوتية قبل دراسته بأنطاكية.

ويمكن أن يقال أن آريوس جمع فى تعليمه بين إتجاهين مختلفين لمدرستى أنطاكية والاسكندرية. وفيما بعد أخذ المنتمون لمدرسة أنطاكية يهاجمونه ويتهمونه بأنه سكندرى، فى حين أن المنتمين إلى مدرسة الأسكندرية كانوا يحاربونه متهمينه بأنه أنطاكى.

أستوطن أريوس فى الاسكندرية حيث رسمه الأسقف بطرس كاهنا.. وأظهر فى أول حياته ميولاً متعصبة متمردة لأنه قبل رسامته وبعدها كان منضماً للأسقف المنشق ميليتوس أسقف ليكوبوليس (أسيوط).

ولهذا السبب جرد من رتبته الكهنوتية، إلا أنه فيما بعد أعيد مرة أخرى إلى رتبته على يد الأسقف أخيلاس خليفة الأسقف بطرس. وما لبث أن عمل على تأييد إنتخاب الكسندروس أسقفاً للاسكندرية خلفاً لأخيلاس. وإن كان أريوس نفسه قد أستطاع بتأثير ثقافته وصفاته الشخصية أن يصير ذو شأن كبير فى المدينة.

إلا أنه بعد بضعة سنوات (حوالى عام 318م) اصطدم مع الكسندروس بسبب الإختلاف حول تفسير نص فى الكتاب المقدس خاص بشخص ابن الله. وكان الكسندروس قد أعطاه – كما أعتاد الأسقف أن يفعل مع الكهنة – موضوعاً ليبحثه. وفى الشرح الذى قدمه أريوس حاول أن يعبر عن ابن الله بمفاهيم مخالفة للإيمان المستقيم.

رأى الكسندروس فى تقرير آريوس محاولة للتقليل من شأن ابن الله وتحقيره... وأثبتت الاتصالات بين الرجلين على أن آريوس أصر على رأيه وأعتبر أفكار الكسندروس أنها سابيلية[(1)]. وبالرغم من هذا فإن الأسقف لم يتعجل فى اتخاذ أى اجراء ضد كاهنه. إلا أنه فيما بعد أضطر الأسقف أن يتخذ قراراً من مجمع قسوس الكنيسة، أدان فيه أريوس بسبب بدعته وقطعه من شركة الكنيسة.

رحل أريوس الى فلسطين ثم اتجه إلى سوريا قاسياً الصغرى. وتمكن من أن يجمع حوله عدد من الأساقفة وأفقوه على آرائه، وكان من بين هؤلاء "أوسابيوس أسقف فيقوميديا" اللوكيانى، "وأوسانيوس أسقف قيصرية" الأوريجانى. وان الأساقفة الذين تجمعوا حوله قد أيدوه وبرأوه فى مجمع عقدوه. وطالبوا بأن يعود مرة أخرى الى الكنيسة.. وسرعان من كتب أريوس أقراراً وافقوا عليه فى مجمع عقدوه فى نيقوميديا، وأرسله كرسالة إلى أسقف الاسكندرية الذى رفضه. ودعا بالطبع إلى مجمع بالاسكندرية سنة 318م اعتمد ادانة أريوس.

وبعد ذلك بقليل، بسبب الاضطرابات التى نشأت نتيجة للمصادمات التى وقعت بين قسطنطين الكبير وليكينيوس، تمكن آريوس من العودة مرة أخرى إلى الاسكندرية. حيث أخذ بعمل بحماس شديد وبأساليب مبتكرة لأجل ترويج أرائه ونشرها بين الجماهير عن طريق الأحاديث والأشعار... وقد ساعد على نشر أريوسيته ما كان يظهر به أريوس من مظاهر الورع والتقوى إلى جانب ما يتصف به من الكبرياء والتباهى وحبه للنضال.. وكان يجرى مباحثاته اللاهوتية مع الشعب. فأنتهز الوثنيون تلك الفرصة وأخذوا يسخرون من المسيحية فى مسارحهم بسبب تلك المناقشات[(2)].

وهكذا أثار هذا الموقف قلق قادة الكنيسة. كما أزعج الامبراطور أيضاً، الذى رأى أن هذه المشاكل ستكون خطراً على السلام الذى حققه بجهود مضنية وكفاح مرير ولكنه لم يتوقع أن تكون خطراً على السلام على المدى البعيد. لذلك فهو إذ رأى أن هذه المعركة تبدو أمراً تافهاً لا يستحق أن يصدر له نطقاً سامياً، فأكتفى بأن أرسل "هوسيوس" أسقف قرطبة بأسبانيا إلى الاسكندرية بخطاب إلى رؤساء الأطراف المتنازعة[(3)]. ولكن هذه المحاولة لم تأت بأية نتيجة. عندئذ دعا الأمبراطور إلى مجمع عام يعقد فى نيقية عام 325 والذى أشتهر بأسم، "المجمع المسكونى الأول"...

وقد أدان هذا المجمع تعاليم أريوس وحرم أسقف نيقوميدية مع ثلاثة أساقفة أخرين لتأييدهم لتعاليم أريوس. أما أريوس فأنه فى البدء أرسل إلى نيقوميديا مكبلاً بالقيود، ثم نفى بعد ذلك إلى الليريا... ألا أنه على الرغم من هذه التدابير فإن هذه المحاولة للتهدئة لم تنجح، لأن أصدقاء أريوس أستمروا فى نشر مبادئه وتعاليمه... ولذا أقتنع قسطنطين – بواسطة العناصر المهادنة للأريوسية والمحبة لها، وتأثر بهم. مما جعله يستدعى أريوس من منفاه عام 327. وبعد تحريض من أسقف نيقوميديا عرضوا صيغة إعتراف إيمان على الأمبراطور أخفوا عنه فيها. حقيقة عقيدة أريوس، وكانت كنيسة نيقوميديا قد وافقت على هذه الصيغة فى المجمع الذى عقد بها. إلا أن الأرثوذكسيين لم يجبروا على منح أريوس العفو. حتى أن الكسندروس أسقف الأسكندرية وأثناسيوس الذى خلفه لم يقبلاه فى الاسكندرية.

ولم يرغب قسطنطين حينئذ أن يؤزم المسائل أكثر بأن يفرض على أسقف الاسكندرية – بأن يقل أريوس. بل أنه فى الواقع عندما طلب أنصار أريوس من الأمبراطور – برسالة محررة

بلهجة شديدة – أن يتدخل لأجل تأمين عودة أريوس إلى الاسكندرية، غضب قسطنطين وأعاد أدانتهم بمرسوم آخر أسماهم فيه "بالبورفوريين" أى أنهم مشايعون لتعليم "بورفيريوس"[(4)].

وبعد وساطات متعددة غيروا مرة أخرى من مشاعر قسطنطين ورحل أريوس إلى القسطنطينية حيث أعترف بالإيمان الأرثوذكسى أمام الأمبراطور وتمسك بأن يصير مقبولاً بطريقة رسمية على نطاق أوسع بالكنيسة. إلا أن الأمر بتحديد موعد بقبوله فى كنيسة القسطنطينية قد تلاشى نهائياً، إذ أن أريوس سقط ومات فى مرحاض عام فجأة ليلة الموعد المحدد لقبوله[(5)].

مؤلفاته:

أستحوذ أريوس على مركز هام فى التاريخ الكنسى، لكنه لم يترك أثاراً كثيرة. فقد كتب أعمالاً قليلة نسبياً وصلنا منها النذر اليسير. وهذه الكتابات التى وصلتنا عبارة عن رسائل خارجية. إلا أنها فى واقع الأمر تحوى إعترافاته وهى:-

(أ) رسالة إلى أسقف نيقوميدية:

وقد حفظها لنا إبيفانيوس فى كتابه "باناريون"[(6)]. وكذلك ثيئودوريتس فى كتابه "التاريخ الكنسى"[(7)]. وفى هذه الرسالى يحتج على تحامل الكسندروس ضده وضد أتباعه ويعرض أراءه وتعاليمه فى صراحة تامة. ويقول أن الابن إله لكنه "ليس غير مولود Agenntos" "ولا جزء من غير المولود" وفى النهاية يستنجد باوسابيوس أسقف نيقوميديا مسميا إياه أنه من "الاتحاد اللوكيانى".

(ب) رسالة إلى الكسندروس أسقف الاسكندرية:

حفظت هذه الرسالة فى أعمال "أثناسيوس عن المجامع"[(8)]. وفى كتاب "باناريون" لابيفانيوس[(9)]. كما حفظت باللغة اللاتينية فى كتاب "الثالوث لايلارى"[(10)]. وهى الاعتراف الإجمالى الى كان قد قدمه لمجمع نيقوميديا الأول والذى عقده الأريوسيون المنفيون. وفى هذه الرسالة تحاشى التعبيرات المثيرة وأعتبر أن "الأبن قد ولد قبل كل الدهور". إلا أنه لم يكن موجوداً من قبل أن يولد.

(ج) إعتراف الإيمان:

حفظت هذه الرسالة فى التاريخ الكنسى لسقراط[(11)] والتاريخ الكنسى لسوزومينوس[(12)]. وفى هذه الرسالة حجب عقيدته الحقيقية وقال بأن الإبن قد ولد قبل كل الدهور (لأنه لو كتبت كلمة gegennimenos المولود" بحذف حرف n منها أى gegenimenos لتغير معناها وأصبحت تعنى المخلوق وليس المولود.

(د) "ثاليـــــا":

حفظ أثناسيوس فى كتاباته بعض نصوص هذا الكتاب[13]. وكلمة "ثالثا" معناها مأدبة أدبية. وقد دبجها كلها تقريباً بأبيات منظومة وبلحن نسائى. وفى إفتتاحيتها نجده يظهر نفسه أنه مملوء بالعقيدة والعواطف الشجية عندما يتعرض للحديث عن الله..

"بحسب إيمان مختارى الله... عارفى الله...

أبناء قديسين. ذوى التعاليم الشرعية الثابتة.. حاصلين على روح الله القدس...

أنا نفسى تعلمت هذا .. من حكمة المشاركين.. السابقين.. عارفى الله..

حسب كل أقوال الحكماء.. أتيت أنا مقتفياً أثر كل هؤلاء..

وأنا ذو السمعة الحميدة.. متمش بنفس العقيدة..

ومتحمل كثيراً من أجل مجد الله.. بنفس حكمة الله..

وفيما عدا هذا، يبدو أنه كان لأريوس مجموعة أخرى من الأشعار لكل مناسبة من مناسبات الحياة[14]. (كما أشار بذلك أثناسيوس) فى المجموعة التى تسمى "البحرية"، "الرحى" "الرحلة".. الخ.

ووفقاً لما يقوله أثناسيوس فإن كل هذه القصائد قد دبجت بلهجة ونغمة داعرة مثل التى كان يكتب بها سوتيادوس أشعاره القومية.. كانوا يتغنون بها فى مأدبهم بضجيج ضخب وعبث..

تعاليم أريوس:

لا يتضح من تعاليم أريوس تناسقاً فى كل ما وصلنا من نصوصه حيث أن بعضها كانت تخفى وراءها واقع الأمر وحقيقته. إذ كانت تعاليمه مضللة.. ويبدو هذا جلياً فى رسالته إلى أسقف نيقوميدية، وفى باقته الشعرية "ثالثا". ولم تقتصر تعاليمه هذه على مدرسة واحدة، كما قال كثيرون – أى أنها لم تنطلق لا عن وحدانية الله الكتابية التى أعتنقها الأنطاكيون المتطرفون الذين أعتقدوا بأن الابن تهذب وتشكل بهبوط قوة إلهية مجردة على يسوع..، كما أنها لم تنطلق عن فكرة الوحدانية التى أعتنقها السكندريون المتطرفون الذين أعتقدوا بأن هذه الوحدانية الإلهية اتسعت لتحوى كل الموجودات الإلهية، بل هى نشأت عن فلسفة الوحدانية. وحيث أن أريوس كان موحداً متطرفاً فإنه أراد أن يؤكد أن الله كان واحداً وأنه فى نفس الوقت متحول. أن حل وحدانية الله إنما سيعنى تمييزالله إلى أب وابن. أما حل التحول إنما سيكون بواسطة خليقة هذا العالم. وهو أمر سئ فى كل الأحوال.

وبحسب هذه الأفكار، فإن الله واحد، غير مولود وحده، سرمدى وحده، ليس له بداية وحده. الحقيقى وحده، الذى له الخلود وحده[15]. وبجانب الله، لا يوجد كائن آخر.. ولكن عن طريقه توجد قوة عامة (لا شخصية) هى "الحكمة والكلمة".. وهذه التعاليم مأخوذة عن "الوحدانية

المقتدرة" التى لبولس الساموساطى. ولكن فكره اللاهوتى يوضح إعتماداً أكثر على "المدافعين". وتأثيرات "الغنوسيين". فيما أن الله كان واحداً فهو لم يكن أباً "الله لم يكن دائماً أباً. أما فيما بعد فقد صار أباً".

ولقد صار الله أباً عندما أراد أن يخلق العالم. عندئذ خلق كائناً واحداً. هذا الكائن أسماه الابن، ويسمى استعاريا الكلمة أو الحكمة.

إذن فحسب تعاليم أريوس توجد حكمتان:

1- قوة الله الواحدة العامة.

2- وكائن إلهى ذاتى واحد. وهذا الكائن هو الحكمة الثانية الذى جاء إلى الوجود من العدم. ومن ثم فهو مخلوق. إذ يقول "كلمة الله ذاته خلق من العدم.. وكان هناك وقت ما حينما لم يكن موجوداً. وقبل أن يصير لم يكن موجوداً.. بل أنه هو نفسه أول الخليقة لأنه صار" ويقول أيضاً "الله وحده كان وحده دون أن يكون هناك الكلمة والحكمة.. ومن بعد ذلك عندما أراد أن يخلقنا عندئذ بالضبط خلق شخصاً وهو الذى دعاه الكلمة والابن، وذلك كى يخلقنا بواسطته"[(17)] . ولكى يؤيد تعاليمه استخدم نصاً خاصاً اقتبسه من سفر الأمثال: "الرب أقامنى أول طرقه.." (أم8:22)، وكان أوريجانوس من قبل قد تحدث عن "خضوع الابن"، كما تحدث عن "ميلاد الكلمة الأزلى" وهنا أخذ أريوس الجزء الأول فقط من تعايم أوريجانوس، وذلك عندما أضطر فيما بعد أن يقر "بالميلاد قبل الدهور" مفسراً ذلك بأنه يعنى فقط الزمن الذى سبق خلقه العالم.

فعند أريوس. يبدأ هذا العالم بخلق الابن، عندما بدأ الزمن أيضاً أن يوجد.. والابن هو المولود الأول ومهندس الخليقة.. ومن المستحيل عنده أن يعتبر الابن إله كامل. ويعتبر أن معرفته محدودة لأ،ه لا يرى الآب ولا يعرفه.. والأمر الأكثر أهمية أنه يمكن أن يتحول ويتغير كما يتحول ويتغير البشر.. "وبحسب الطبيعة فإنه مثل جميع الكائنات، هكذا أيضاً الكلمة ذاته قابل للتغيير والتحويل ولكن بنفس أرادته المطلقة، طالما أنه يرغب فى أن يبقى صالحاً.. حينئذ عندما يريد فإنه فى استطاعته هو أيضاً أن يتحول مثلنا، حيث أن طبيعته قابلة للتغير"[(18)].

أن بولس الساموساطى استعمل اصطلاح "القدرة على الاكتمال الذى أتخذ منه أريوس كل تعبيراته.. وفقاً لتعليمه وهو أن المسيح هو ظهور بسيط للكلمة فى إنسان. ومن ناحية أخرى فهو يعتبر إنسان كامل فقط وليس إله كامل.. وبالتالى فإن الأبن يمكن أن يدعى الله إستعارياً فقط. وهو نفس الأسم الذى يمكن أن يدعى به البسطاء من الناس أيضاً حينما يصلون إلى درجة كاملة من الروحانية والأخلاق.. وهنا يتضح كل تعليم هرطقة "التبنى Adoptionism" عن المسيح.

النتيجة الأولى لهذا التعليم:

هو أن الإيمان بالثالوث يتلاشى ويذوب.. بالطبع تحدث أريوس أيضاً عن الثالوث إلا أنه اعتبره أنه قد صدر متأخراً ولم يكن أصلياً وأزلياً. لأنه وفقاص لتعليمه فإن الآب وحده كان إلهاً أزلياً.

أما النتيجة الثانية:

فهى أن الحياة الجديدة للإنسان التى صيغت كنتيجة لتأنس الكلمة، لا تتكون نتيجة تأليه بل بواسطة سمو روحى وأخلاقى.. وبهذا يتمكن أى شخص أن يقول أن هذا الموقف قد اقتبسه أريوس من المدافعين[19] الذين وفقاً للتقاليد نشأوا من مدارس فلسفية. وكانوا قد أتخذوا موقفاً مماثلاً عن الحياة الجديدة.. إلا أن موقف "المدافعين" يجد له مبرراً بسبب العصر الذى عاشوا فيه والعالم الذى كانوا يتوجهون إليه بالحديث. أما فيما يتعلق بأريوس فإن الموقف يظهر ركود أفكاره التى ولو أنها كانت حادة. إلا أنها خالية من الحركة والعمق.

ونتيجة لتعاليم أريوس بقوله أن كلمة الله مخلوق وقوله عن المسيح أنه انسان مؤله (بضم الميم وفتح الواو). بسسبب كمال روحى وخلقى. هذه التعاليم نجم عنها نزاع شديد زعزع أركان الكنيسة والدولة الرومانية.. أن البدعة الأريوسية لم يتم تنظيمها بطريقة سرية مثل غيرها من البدع والهرطقات. بل دخل فى صفوفها رجال رسميين فى الكنيسة وفى الدولة. وهددت بالاستيلاء على التنظيم الكنسى بأكمله.. وقد أستمرت المصالحة السياسية التى تبعت ذلك حتى موت أريوس وقسطنطين بدون أن تكون على حساب قرارات مجمع نيقية – وذلك عن طريق تفسيرهم المتباين والمؤول بطريقة يشوبها الالتباس.. إلا أن تعاليمهم لم تأت بنتائج. وذلك لأن زعماء الأرثوذكسية لم يقبلوا أريوس فى الكنيسة وذلك بسبب إعترافاته المشتبه فيها.. حقاً إنه أثناء هذه الفترة لوحظ تقدم ملحوظ فى الحركة التى قادت أيضاً إلى تفوق طفيف للأريوسية. وفى الواقع أن الأريوسيين – بواسطة سلسلة المجامع التى أشرفوا عليها بأنفسهم – نجحوا فى تنحية وأبعاد الرؤساء من خصومهم بإتهامات باطلة واهية. وهؤلاء الرؤساء هم أوستاتيوس الأنطاكى عام 330م. وأثناسيوس الاسكندرى عام 335م، وماركيلوس الانقيرى عام 336م.

ساءت الأحوال بعد وفاة قسطنطين الكبير، لأن حاكم الشرق قسطنديوس، فرض الأريوسية على المناطق التى كان يحكمها.. أما بعد وفاة أخيه قسطنس عام 350م، فقد فرضها على جميع أنحاء الامبراطورية.. وسحق هذا الحاكم نشاط معارضيه ومقاوميه الأرثوذكسيين وانشغل بإحلال أساقفة أريوسيين بدلاً من الأساقفة الشرعيين فى أهم مراكز الشرق وبعض جهات الغرب.

وبعد وفاة قسطنديوس أنهار فجأة بناء الأريوسيين الشامخ. لأن يوليانوس الذى كان يدين بالعقيدة الوثنية عامل جميع المذاهب المسيحية معاملة متساوية. وعندئذ عاد المنفيون إلى أماكنهم. وبدأت الأرثوذكسية فى أعادة تنظيم شملها. مما جعلها تسود وتنتصر. وقد وصلت إلى أكبر درجة من السيادة أثناء حكم الامبراطور الأرثوذكسى يوفيانوس...

الفرق الأريوسية:

كان البناء الأريوسى فى عهد قسطنديوس على الأقل، يبدو عظيماً فى الظاهر.. إلا أنه كان من البدء عملاً مزعزعاً. وذلك ليس فقط لأنه حصل على قوته من عناصر كنسية منشقة، ولكن أيضاً لأن إتجاهه اللاهوتى لم يكن متحداً.. فإن جميع الأريوسيين رفضوا اصطلاحات مجمع نيقية.. ولكن ليس لأجل الاسباب دائماً.. لذا فإن الخلافات فيما بينهم انكشفت وتحددت عند كثيرين منهم عن طريق موقفهم من اصطلاحات هذا المجمع.

ولقد استخدم أباء مجمع نيقية فى قانون الإيمان إصطلاح؟ هومو أوسيوس" أى "الواحد فى الجوهر مع .. أو المساوى فى الجوهر لــ..". وأرادوا أن يثبتوا بهذا الاصطلاح أن الابن مع الآب هما واحد. وأن هذا الجوهر هو كيان أساسى واحد.. وأضاف

نفس الآباء بعد قانون الإيمان – بسبب المحرومين – نصاً قالوا فيه بأن الابن "ليس من هيبوستاسيس آخر" أى " ليس من جوهر أخر".. وهكذا فقد أغضب الاصطلاح الاول الأريوسيين المتشددين، أما الإصطلاح الثانى فقد أغضب الأريوسيين المعتدلين.. (أو أنصاف الأريوسيين Semi – arians) ويبدو أن القانون دبجه لاهوتى غربى من المحتمل أن يكون "هوسيوس" أسقف قرطبة. وكلمة "Hypostasis"[(20)] "هيبوستاسيس" فيه هى ترجمة للكلمة اللاتينية "Substantia" إلا أنه فى الغرب – نظراً لعجز اللغة اللاتينية حيث كانت كلمة Substantia تعنى كلاً من "أوسيا" Oucia أى الجوهر أو الكيان. وكلمة "هيبوستاسيس" Hypostasis أى القوام أو الأقنوم. لذا أوضح أباء نيقية وحدة تشابه هذين الاصطلاحين لأنهم كانوا يخشون لوأنهم اعترفوا باثنين هيبوستاسيس (أى قوامين) – أن يتهموا بأنهم يقبلون الاعتراف بجوهرين أى يكونوا مثل الأريوسيين.

1- الأريوسيون المعتدلون:

كان الأريوسيون المعتدلون (Semi – Arians) أوريجانيين قدامى وكان يتزعمهم أسقف قيصرية أوسابيوس، وهم الذين قبلوا بتعاطف عن رضى تعليماً واحداً يرتكز على النظرية الأوريجانية الخاصة بخضوع الابن، هؤلاء أصروا على التمييز المشدد بين الآب والابن.. ورفضوا أيضاً اصطلاحى مجمع نيقيا واعتبروهما سابيليان. ولأنهما لم يردا بين نصوص الانجيل.. إلا أنهم كانوا على استعداد لقبول معنى "التساوى فى الجوهر Omooucios" لكن بتعبير مخالف.. لهذا تمسكوا بالتعبير "مماثل للآب فى كل شئ"[(21)].

وبعد موت أوسابيوس قام باسيليوس أسقف أنقيرا وجورجيوس اللاوديكى بتنظيمهم. وتميزوا بوضوح أكثر من الأريوسيين الآخرين. وذلك فى مجمع ميديولانوس عام 355م. حيث أنهم قبلوا "تماثل الجوهر" أو التشابه فى الجوهر "هوميوأوسيوس" الأمر الذى من أجله أطلق عليهم اسم "هوميوأوسيين" وكانوا يختلفون عن القائلين "بالتساوى فى الجوهر" أى "الهومو أوسيين" قليلاً، ولذلك أطلق على النزاع بينهم أنه نزاع على لا شئ.

2- الأريوسيون المتشددون:

هؤلاء كانوا على عكس المعتدلين. وهؤلاء المتشددون كانوا قد نشأوا عن اللوكيانيين الذين قبلوا تعليم "بدعة التبنى".. وكان يرأسهم فى البدء أوسابيوس النيقوميدى. وفيما بعد أوسابيوس القسطنطينى. وهذا الفريق تشدد فى الفصل بين الآب والابن بدرجة أكبر.. وان كانوا أحياناً يخفون أراءهم لاسباب تنظيمية. إلا أنهم كانوا متشددين.. وبعد موت أوسابيوس هذا فى عام 341. برز بين صفوفهم "ايتيوس" الانطاكى الذى اندفع إلى تعليم أريوس الأشد تطرفاً من أجل تكوين فريق أريوسى جديد. وهذا الفريق الجديد تشكل بطريقة أكثر تنسيقاً على يد تلميذه "يونوميوس". أن المنتمين إلى هذا الفريق وضعوا مناهج وأساليب متكاملة.. وتدخلوا بفكرهم ليفحصوا جوهر كل الكائنات. بما فيها الله أيضاً.. وزعموا أن جوهر الله هو فى عدم الولادة. أما جوهر الابن فهو فى كونه مولود.. ومن ثم فإن جوهرى الآب والابن ليسا فقط لم يكونا شبيهين بل نقيضين تماماً.. ولكى يؤكدوا تمييزهم لله الآب بفرادة خاصة وحده. أعتادوا أن يمارسوا المعمودية بغطسة واحدة فقط بدلاً من ثلاثة غطسات.

4- بسبب التباين بينهم، تشكل فريق ثالث بإيحاء من الامبراطور قسطنديوس. هو فريق "الاوميويين" أى (الشبيهيين) وهؤلاء استخدموا الإصطلاح "أوميوس OMIOS" (أى شبيه أو مثيل)، ألا أنهم لم يكن لاهوتهم الخاص.. بل – بحسب الظروف – كانوا ينحازون لفريق أو لأخر. وقد أدى ذلك إلى إضفاء تفسيرين على كلمة "أوميوس OMIOS" فصار من الممكن أن تعنى أما "تشابه الجوهر" أو تشابه المشيئة.. وأتخذ مشايعو هذا الفريق لزعامتهم أساقفة الحدود الشمالية أمثال أورساكيوس السنجدونى، وأولنتاس المورصى... وكذلك أكاكيوس القيصرى، وهؤلاء فرضوا وجهات نظرهم فى المجمع الذى أنعقد فى سرميوس عام 359م.

مواجهة الأريوسية:

هز الأريوسيون أرجاء الكنيسة بسبب الطريقة التى ظهروا بها، حيث أنهم – على وجه الخصوص – نشروا وفرضوا أفكارهم بكل ضرب من ضروب البدع الغريبة على ذلك العصر. فهم لم يستعينوا فقط بالأحاديث الدينية، وتحرير الرسائل اللاهوتية ونشر عقائدهم على هيئة أفكار منتظمة قانونية، كما تأمر بذلك "أحكام الرسل" بل كما سبق أن قيل أيضاً، فإنهم استخدموا كذلك اشعارهم الغنائية التى كانوا يتغنون بها فى كل مناسبة.. أما سلاحهم الأكثر مضاء وصلابة، فكان استغلالهم للقوى السياسية التى أقحموها للتدخل – لأول مرة – فى شئون الكنيسة الداخلية, وهكذا أبعدوا خصومهم بوسائل عنيفة.. وأرغموا أثناسيوس على أن يبارح كرسيه خمس مرات.. وفى مرتين منها أقاموا أساقفتهم على هذا الكرسى.. وكان تفوقهم الساحق أكثر ثباتاً واستقروا فى أنطاكيا، بعد عزل الأسقف أوستاتيوس عام 330م.. وفى عام 360 أقاموا هناك صديقهم ميليتيوس الذى ما لبث أن أعرب فى الحال عن اتجاهه إلى قانون إيمان نيقيا..

أما فى أسيا فكان نفوذهم أقل، ولو أن موقفهم هناك كان أكثر هدوءا، الأمر الذى لأجله كان موقف الأرثوذكسيين مرناً..

وفى القسطنطينية – على مدى أربعين سنة – خلف أربعة أساقفة أريوسيين الواحد الآخر.. وهكذا عندما صار غريغوريوس الثيئولوغوس أسقفاً للقسطنطينية أستقر فى بيت صغير للصلاة (Chapel)، لأن الأريوسيين كانوا قد أستولوا على جميع الكنائس، ولكن غريغوريوس خلص القسطنطينية منهم.. وفى الغرب حصلوا على نجاح محدود حيث أستولوا فقط على بعض مراكز هامة قليلة مثل المديولانيين وذلك لعدة سنوات قليلة فقط.. إلا أنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى كرسى أسقفية روما.

وكانت حالة المسيحية فى ذلك العصر تثير الحزن والأسى. فبينما أعطيت لها الفرصة لأول مرة لكى تمد كرازتها فى كل مكان، اضطر قادتها أن يهملوا ذلك قهرا. واضطروا للإنشغال بأمور عقائدية دقيقة.

كانت شوارع الاسكندرية تعج بإستمرار للاشتراك بالاساقفة الذين، أما كانوا يفدون نحو منفاهم وأما كانوا يتوجهون للاشتراك فى المجامع غير المكتملة. وفى وسط هذه المحازفات والمخاطر أظهرت قيادة الأرثوذكسية شجاعة مقترنة بدبلوماسية تجاه مضطهديهم، كما أظهرت تمسكاً شديداً بالتقليد والإيمان المسلم.. فكانوا أما ينادون بعقائدهم وينفون بسببها واما كانوا يحافظون على هذه العقائد ويمكثون فى أماكنهم كى يصونوا الإيمان الأرثوذكسى الذى

لا يطفأ، ومن حول هؤلاء كانت خلايا المؤيدين المخلصين تصارع وتتصادم من أجل عقيدة مجمع نيقية.

ان مسئولية الدفاع عن هذه العقيدة كان لها أولاً: مجموعة القادة الأول: الكسندروس السكندرى. وأوستاتيوس الأنطاكى، وهوسيوس القرطبى.

ثم بعد ذلك بقليل وقع عبء الدفاع عن عقيدة نيقية على اكتاف القديس أثناسيوس الكبير الذى أدار النضال طيلة خمسين عاماً تقريباً.. معضداً أيضاً من الأباء الآخرين أمثال كيرلس الأورشليمى وسرابيون أسقف تيميس، وديديموس الضرير، وهيلاريوس البكتافى وأخيراً الآباء الكبادوكيين العظام: باسيليوس أسقف قيصرية وغريغوريوس الثيئولوغوس وغريغوريس النيصصى، أن هؤلاء اللاهوتيين – باستنادهم على حجج وبراهين من الكتاب المقدس والتقاليد الشرعية الصحيحة – قاموا بتجريد لاهوت أريوس من غطائه المتستر بالكتاب المقدس. وكشفوا أن الآريوسية إنما هى دراسة فلسفية جافة وعميقة تظهر الله بدون حياة أو حركة..

كشف أثناسيوس الكبير أن تعاليم أريوس أدت إلى أمرين غير لائقين:

أولهما: أنه أذاب التعليم بالثالوث القدوس ولاشاه، وفتح الطريق أمام الاعتقاد بتعدد الآلهة، إذ أنه سمح بعبادة المخلوق.

وثانيهما: أنه قلب "بناء الخلاص" كلية. فإن المخلص الذى أخذ على عاتقه خلاص البشرية يلزم أن يكون هو نفسه حاصلاً على ملء اللاهوت، ما دام قد أخذ على عاتقه أن يؤله الإنسان. فكيف يكون من الممكن أن الكلمة الذى يقوم بعمل التأليه لا يكون واحداً فى الجوهر مع الله؟ إن قمة براهين أثناسيوس هى أن المسيح لم يصر أبناً لله كجزاء لكماله الأدبى بل على العكس فإنه هو الذى إلهنا (بتشديد اللام) (أى جعلنا الها). فيقول أثناسيوس "لذلك إذن فالمسيح لم يكن انساناً وفيما بعد صار إلهاً، بل أنه كان إلها ثم صار إنساناً لكى يؤلهنا" (المقالة الأولى ضد الأريوسيين فقرة 39).

وعلى الرغم من صرامته وحزمه لم يكن أثناسيوس متصلباً بل كان يعرف كيف يتدبر الأمر بتفهم وتسامح.. وعندما تخلص من الضغط السياسى الخطير عرض المشكلة بحذر ويقظة أكثر. ووضع موقف الأرثوذكسيين تحت الفحص. وعندئذ تحقق من قصور وعجز حججهم وسعى لكى يجد لها علاجاً.. فإن المطابقة المشار إليها سابقاً بين الاصطلاحين "اوسيا" (أى الجوهر). و"هيبوستاسيس" (أى القوام) صارت مقبولة فى الغرب بدون اعتراض. ولكن فى الشرق رأى كثير من اللاهوتيين أن فيها خطر البدعة "السابيلية". وأدرك أثناسيوس هذه الحيرة وقام بحركة توفيق فعالة أثناء مجمع الاسكندرية عام 362م حيث أقر بأن كل من لا يرغب فى الإعتراف بصيغة "الاوموأوسيوس" (أى المساواة أو الوحدة فى الجوهر)، ولكنه يقبل فى نفس الوقت بوحدة "الآب والابن فإنه يوجد على الطريق المستقيم. وقام بخطوة عوطة التسليم بالمبدأ الشرقى للثالوث مع التفريق بين معنى الاصطلاحين "أوسيا"، و"هيبوستاسيس" مع إضافة معنى "طريقة الوجود الخاص بالكيان" إلى "الهيبوستاسيس".. وهكذا فإن الله يكون من جوهر واحد ولكنه يوجد فى ثلاث أقانيم (هيبوستاسيس) أو أشخاص (بروسوبا)، وهذه الصيغة توسع فيها أكثر الأباء الكبادوكيوسن بعد ذلك.. ومن ذلك الوقت فتح الباب أمام جماعة "الهوميواوسيين". وأن غالبية الذين رجعوا وانضموا إلى أتباع مجمع نيقيا الأرثوذكسيين، وصلوا أيضاً بعد ذلك إلى قبول مبدأ "الهوموأوسيوس" (التساوى أو الوحدة فى الجوهر) ولكن البعض من هؤلاء لم يكونوا على استعداد لقبول الاعتقاد بمساواة الروح فى الجوهر أيضاً (أى

مع الآب والابن) .. ولهذا السبب ضمن مجمع نيقيا ضمن قانون الإيمان. مجرد عبارة "وبالروح القدس" بدون أية خاصية أو صفة أخرى، وكان هؤلاء يعتقدون بثنائى فقط فى الله بدلاً من الثالوث. ولهذا أطلق عليهم أسم "أعداء الروح" ولآنه كان يتزعمهم "مقدونيوس" . الذى جرده "الأوميوون" من رتبته. لهذا أطلق عليهم أيضاً أسم "المقدونيون". وهؤلاء حكم عليهم بواسطة مجمع أنطاكية سنة 379م. والمجمع المسكونى الثانى بالقسطنطينية سنة 381م. ولكى يتجنب الاباء أى مخاطرات جديدة أو أى إساءة فهم للأمور. فانهم لم يستخدموا فى هذا المجمع الآخير أى اصطلاحات مثيرة، مثل "الهوموواوسيوس" بل استخدموا عبارات متباينة وهى عبارات توضح "المساواة فى الكرامة". وهم فى هذا قد أتبعوا السياسة الحكيمة التى كان يسير عليها باسيليوس الكبير. ثم أصدر الامبراطور ثيئودوسيوس قراراً بوضع حد لهذا الصراع داخل امبراطوريته، فكانت النهاية الحاسمة، مما أدى إلى الاعتراف بشكل دينى واحد وهو المسيحية الأرثوذكسية التى أقرها "داماسوس" أسقف روما. "وبطرس" أسقف الاسكندرية. وبالتالى أنضم غالبية الآريوسيين إلى الكنيسة، أما البقية الذين تخلفوا فقد أنضموا على التوالى إلى بدع وهرطقات أخرى، وخاصة أنضموا إلى النسطورية وهى البدعة التى حاولت أن تنقص من ألوهية المسيح بطريقة أخرى.

[(1)] قارن 1 تيمو1:20 و 2 تيمو 2:17 هيمينايس والاسكندر هما اثنان من المعلمين المبتدعين فى المسيحية الأولى، اللذين حرمهما بولس الرسول من الخدمة فى الكنيسة لأنهما آمنا وعلما بأن القيامة قد صارت.

[(2)] سوتيادس شاعر يونانى قديم من مارونيا، ذاع صيته أيام حكم بطليموس فيلاديفوس. وكان موضوع أشعاره من الميثولوجيا اليونانية ذات الأسلوب الفاضح الوقح، ولذلك سمى بالشاعر الداعر.

[(3)] ابنة هيروديا، كانت قد ابهجت صدر هيرودس برقصاتها المغرية لدرجة أنها أخبرته أن يقدم لها رأس يوحنا السابق على طبق أنظر متى 14:1 – 12، مر6:17 – 29.

[(4)] الثاليا هى أشعار وقصائد ألفها أريوس بهدف نشر هرطقته بما فيها من تعاليم خاصة.

[(5)] يبدو أن القديس أثناسيوس يشير إلى أن البعض كان يطلق على المؤمنين المستقيمى الرأى اسم أثناسيوس، لكى يجدوا بهذا مبرراً لأنفسهم وهم يسمون أتباعهم، وأن يعتبروا أنفسهم مسيحيين.

[(6)] أنظر (يوئيل 2:25) حيث يشير الى الجراد والطيار بلقب "جيش الله العظيم".

[(7)] يقصد مجمع نيقية المسكونى الأول الذى أنعقد سنة 325م.

[(8)] كان الامبراطور قسطنديوس يحمى الأريوسيين ولذلك فإنه نفى أثناسيوس مرتين فى عامى 340، 356.

[(9)] مز 1:2.

[(10)] يو 1:1.

[(11)] رؤ 1:4.

[(12)] يو 1:20.

[(13)] 1كو1:24.

[(14)] أى أن القوة منسوبة للآب وخاصة به. ولكنه لم يقل أن الاب نفسه هو القوة ذاتها. بل أن الابن هو قوة الاب (المعرب).

[(15)] 2 كو3:17.

(16) كو 17:1.

(17) مت 27:11.

(18) أش 28:40.

(19) دانيال (سوسنة 42).

(20) باروخ 20:4.

(21) باروخ 22:4.

(22) عب 3:1.

(23) مز 17:89.

(24) مز 10:35 (فى ترجمة جمعية الكتاب المقدس مز 9:36).

(25) مز 13:144 (أى مز 13:145).

(26) يوحنا 12:8.

(27) يو 14:10.

(28) يو 12:8.

(29) يو 13:13.

(30) تكوين 5:2 (الترجمة السبعينية).

(31) تث 8:22.

(32) يو 29،28:14.

(33) أم 23:8 – 25 (السبعينية).

(34) يو 58:8.

(35) أرميا 5:1.

(36) مز 89 (90): 1 – 2.

(37) دانيال (سوسنة42).

(38) يو 3:1.

(39) أمثال 1:18.

(40) يوحنا 14:16.

(41) متى 5:17.

(42) يوحنا 18:5.

(43) 2بط 4:1.

(44) 1 كو 16:3.

(46) أنظر 2 كو7:5.

(47) ارميا 13:2.

(48) ارميا 13،12:17.

(49) باروخ 12:3.

(50) يو 6:14.

(51) ام 12:8.

(52) اش 11:58.

(53) مز24:103 (السبعينية) مز24:104 فى الطبعة الشائعة.

(54) أم 10:3.

(55) يو 3:1.

(56) 1 كو6:8.

(57) يو 6:14.

(58) أم 30:8 (السبعينية).

(59) كان أوسابيوس أسقفاً لنيقوميدية وكان زميلاً لأريوس فى مدرسة لوسيان بأنطاكية وظل صديقاً له على الدوام. وأخـذ علـى عتقه أن يقول بتأييد آريوس تأييداً مطلقاً بعد أدانته بواسطة المجمع المسكونى الأول (نيقية 325) وعمل بجد عملاً متواصـلاً لأجل قبول آريوس من جديد فى الكنيسة وعلى الرغم من عدم نجاحه فى ذلك، فان الأريوسية تدين لـه بأنهـا لم تتلاشـى وتختف فوراً بل ظلت كخطر داهم جسيم لفترة طويلة على الكنيسة.

(60) أنظر رو23:1.

(61) أفسس 15:3.

(62) يو 1:1.

(63) عب 3:1.

(64) رو 5.

(65) كان بولس الساموساطى أسقفاً لانطاكية (260 – 268) وأدين فى عام 268 بعد سلسلة من المجامع التى من خلالها ظهـر ضلال عقائده.

وحسب تعليم هرطقته اعتبر أ، المسيح كان مجرد انساناً عادياً ثم صار الها بسبب جدارة عظمة شخصيته التى اسـتحقها بـسبب التبنى (ولذلك) سمى مشايعوه باسم أصحاب التبنى وهكذا أنكر الساموساطى تعليم الثالوث القدوس وتعليم التجسد ولكنه اعترف فقط أن المسيح أفضل من موسى والأنبياء.

(66) الآباء الأساقفة الـ 318 الذين اجتمعوا فى المجمع المسكونى الأول فى نيقية، والذى أدان الهرطقة الأريوسية.

(67) كان أستيريوس مثل أريوس وأوسابيوس النيقوميدى، تلاميذ لوكيانوس الأنطاكى. وقد تبع اسـتيريوس التعـاليم الأريوسـية وكتب لهم دستور عقيدهم، وقد لعب دوراً هاماً فى نشر الأريوسية بواسطة رحلاته المستمرة التى كان يقوم فيهـا بالدعايـة للآريوسية.

(68) اللغة اليونانية تستعمل أداة التعريف قبل المضاف وقبل المضاف إليه والمقصود "قوة الله وحكمة الله" (المعرب).

(69) أى التى من الآب (المعرب)

(70) مز71 فى الترجمة السبعينية ويقابل مز17:72 ، مز5:72).

(71) أى بحسب كونه الابن الذى من ذات الآب (المعرب).

(72) كانت المانوية مماثلة لمذهب الغنوسية (أى مذهب العارفين. وهم المسيحيون الذين يعتقدون أن الخلاص بالمعرفة دون الإيمـان). وكانت المانوية تؤمن بالمبدأ الثنائى: فالعالم تحكمه قوتان مضادتان: النور والظلام، والخير والشر. الله والمادة وبحسب أعتقادهم أن المسيح قد صلب لأن لديه فى داخله عنصر خاضع للألم والمعاناة.

[73] أساء أهل تسالونيكى فهم محتويات رسالة الرسول بولس الأولى الموجهة إليهم بخصوص مجئ المسيح الفجائى، وتركوا أعمالهم فى انتظار المجئ الثانى، لذلك أضطر الرسول أن يكتب إليهم الرسالة الثانية كى يهدئ خواطرهم، معلنا لهم العلامات التى ستسبق هذا المجئ.

[74] كان المسيحيون المتهودون يعملون على غواية الغلاطيين، وكان هؤلاء المتهودون يعتبرون الاحتفاظ بشريعة موسى والختان ضرورة ملحة للمسيحية وكتب بولس رسالته إليهم – خاصة لأجل دحض وجهة النظر هذه.

[75] فالنتينوس هو المثل الرئيسى للغنوسية فى القرن الثانى وبحسب مذهبه أن العالم نشأ من الإله الأعلى بواسطة سلسلة لا نهائية من الآلهة الوسطاء – أى الدهور. وقد وصلت إلينا أخبار هذه الهرطقة أساساً من أيريناوس وهيبوليتوس.

أما كاربوكراتوس: فقد كان فيلسوفاً من الأسكندرية تأثر كثيراً بأفلاطون أكثر من غيره من الغنوسيين، وكان يعلم بأن الله غير المولود هو أبو الملائكة والأرواح، وبعض من هؤلاء الملائكة هم خالقوا العالم – وبحسب مذهبه ولد يسوع أبناً طبيعياً من مريم ويوسف رغم أنه أكث براً من كل البشر.

[*] فى مواضع أخرى من المقالات الأربعة فسر القديس أثناسيوس هذه الآية وآيات أخرى مشابهة بمعنى أن الآب أعظم من جسد الأبن. (المقالة 7:3) (المغرب).

[1] نسبة إلى سابيليوس صاحبة البدعة السابيلية المعروفة بأسمه، والذى ظهر فى روما أوائل القرن الثالث. والسابيلية تعلم بأن الآب والابن والروح القدس هم شخص واحد وليس ثلاثة أقانيم. فنقول "أن الآب أعطى الناموس فى العهد القديم، ثم ظهر هو نفسه بأسم الابن فى التجسد، وبعد أن أختفى المسيح بالصعود ظهر هو نفسه باسم الروح القدس. أى أن الثالوث هو ثلاث ظهورات متوالية فى التاريخ لشخص واحد، وليس ثلاثة أقانيم لهم جوهر واحد (المعرب).

[2] أنظر "حياة قسطنطين لأوسابيوس المؤرخ" (61:2) والتاريخ الكنسى لسقراط (7:1).

[3] أوسابيوس فى حياة قسطنطين (64:2).

[4] التاريخ الكنسى لسقراط (9:1) بوفيريوس هو أحد فلاسفة "الافلاطونية الجديدة" الوثنيين قرب نهاية القرن الثالث. هاجم المسيحية بعنف وخاصة هاجم ألوهية المسيح (المعرب).

[5] الرسالة الدورية إلى الأساقفة بقلم أناسيوس 5:18.

[6] باناريون معناها سلة الخير.

[7] التاريخ الكنسى لثيئودوريتس (4:1) أنظر "باناريون" لابيفانيوس (6:69).

[8] "أثناسيوس عن المجامع" 16.

[9] "باناريون" لابيفانيوس (7:29).

[10] "ايلاريوس عن الثالوث" (12:4، 5:6هـ).

[11] "التاريخ الكنيسى لسقراط" (26:1).

[12] التاريخ الكنسى لسوزومينوس" (27:2).

[13] أثناسيوس ضد الأريوسيين (1:5–6).

[14] أثناسيوس عن مجمع نيقية 16 – فيلوستورغيوس التاريخ الكنسى (2:2).

[15] أريوس فى رسالته إلى الكسندروس وجدت فى كتاب أثناسيوس عن المجامع 16.

مؤسسة القديس أنطونيوس

مـــركز

دراســات الآبــاء

الشهادة لالوهية المسيح

(ضد الآريوسيين)

المقالة الأولى

للقديس أثناسيوس الرسولى

عربها عن اليونـانية

الأستاذ

صموئيل كامل عبد السيد

الدكتور

نصحى عبد الشهيد

ديسمبر 1984م

كيهك 1701 ش

اسم الكتاب: الشهادة لالوهية المسيح

(ضد الآريوسيين)

اسم المؤلف: القديس أثناسيوس الرسولى

اسم المعرب: الأستاذ صموئيل كامل

والدكتور نصحى عبد الشهيد

اسم الناشر : مركز دراسات الآباء – بيت التكريس

12 شارع الخندق حدائق القبة – القاهرة

ت : 836389

اسم المطبعة: دار يوسف كمال للطباعة

2 شارع المدارس بالمليحة – حدائق القبة

ت : 823578 – 827074

رقم الإيداع: 7350 / 1984

الترقيم الدولى

مقدمـة تاريخية ولاهوتية

كان الشغل الشاغل للقديس أثناسيوس وبل عمل حياته كله الذى من أجله كرس كل وقته وكل قواه وكل جهوده هو "الشهادة لالوهية المسيح" التى أعتبرها بحق حجر الزاوية فى بنـاء الإيمان المسيحى كله، والتى بدونها لم يكن يتصور حدوث أى فداء أو خلاص للانسان. ومـن أجل هذا الحق "ألوهية المسيح"، صرف أثناسيوس كل وقته وبذلك طاقاته، ولأجل هـذا الحـق أحتمل العزل من كرسيه البطريركى وأحتمل النفى خمس مرات بلغت مـدتها معـاً عـشرون عاماً، بل ولاجل هذا الحق كان مستعداً فى أى لحظة أن يسفك دمه بكل سرور.

وتعتبر "المقالات الأربعة ضد الآريوسيين". هى الكتاب الرئيسى من بين "كتابات القديس أثناسيوس اللاهوتية"، التى يدافع فيها عن ألوهية المسيح ضد البدعة الآريوسية.

تاريخ المقالات الأربعة:

طلب القديس سرابيون (أسقف تيميس بشمال الدلتا صديق القديس أثناسيوس والمعاصـر له) فى رسالة بعث بها إلى القديس أثناسيوس، طلب منه ثلاثة أشياء هى:

1- تاريخ للأحداث الجارية (أى تاريخ البدعة الأريوسية المعاصرة وقتئذ).

2- شرح ومناقشة للبدعة الآريوسية ورد على أفكارها.

3- وتاريخ دقيق حول موت أريوس.

وفى رده على سرابيون يكتب أثناسيوس تاريخ موت أريوس، ثم يرسل لـه بخـصوص الطلبين الأول والثانى ما كان قد كتبه "إلى الرهبان ضد البدعة الآريوسـية" (رسـالة 2:54)،

حينما كان منفياً ومختبئاً فى وسطهم (فى الفترة ما بين 358 – 362م). وعلى هذا الأساس يعتبر علماء الباترولوجى أن القديس أثناسيوس يقصد بهذا كتابيه إلى الرهبان وهما "تاريخ الآريوسيين"، "المقالات الأربعة ضد الآريوسيين". وبذلك يعتبرون أن التاريخ الذى كتب فيه القديس أثناسيوس المقالات هو فترة نفيه الثالث، أى ما بين 358–362م. ويتضح من كلام القديس أثناسيوس نفسه أنه لم يكتبها ويقدمها معاً مرة واحدة. إنما قدمها على فترات فى تلك السنوات (مقاله2 فصل1).

محتويات المقالات الأربعة:

يقدم القديس أثناسيوس فى المقالة الأولى (وهى التى بين يدى القارئ الآن)، ملخصاً لتعليم البدعة الآريوسية كما جاءت فى كتاب "ثاليا" تأليف أريوس، ثم يقدم دفاعاً عن تعليم مجمع نيقية المسكونى ضد الآريوسية بأن المسيح ابن الله هو أزلى وغير مخلوق وغير متغير، وعن وحدة الجوهر أو المساواة فى الجوهر الواحد بين الآب والابن، ويفند اعتراضات الآريوسيين على هذا الإيمان النيقاوى الأرثوذكسى. وبعد ذلك يتناول بالشرح والبحث بعض نصوص الكتاب المقدس التى كان الآريوسيون يحولون معناها للطعن فى ألوهية المسيح، فيقدم شرحاً مفصلاً ودقيقاً للنصوص الكتابية مبرهناً بواسطتها على صحة ايمان الكنيسة بألوهية المسيح: فيشرح:

أولاً – فيلبى 9:2،10 "لذلك رفعه الله أيضاً وأعطاه اسماً.

ثانياً – مزمور7:45،8 "من أجل ذلك مسحك الله الهك"

ثالثاً – عبرانيين 4:1 "صائراً أعظم من الملائكة..".

وفى المقالتين الثانية والثالثة يكمل شرح النصوص: (عبرانيين 2:3)، (وأعمال 36:2)، (وأمثال 22:8) ونصوص من إنجيل يوحنا حول بنوة المسيح لله وعلاقة الابن بالآب والنصوص (متى 18:28)، (يوحنا53:3)، (مرقس32:13)، (لوقا52:2)، (متى39:26، يوحنا27:12) حول تجسد المسيح.

وفى المقالة الرابعة يكمل القديس أثناسيوس دفاعه عن أزلية "الابن الكلمة" وعدم مخلوقيته. ضد بدعة أريوس وضد كل بدعة أخرى مثل بدعة سابليوس وغيرها من البدع.

لقد صارت هذه "المقالات الأربعة ضد الآريوسيين" هى المصدر الذى ظل المدافعون عن لاهوت المسيح ينهلون منه على مدى القرون الماضية وحتى الآن. وقد استطاع أثناسيوس بقدرته المتزنة الثابتة على الإمساك بالحقائق الأولية خاصة فيما يتعلق بوحدة جوهر الله، وببنوة المسيح الحقيقية الطبيعية للآب، وقدرته على النفاذ إلى اعتراضات الآريوسيين وتحليلها ودحضها. وبتتبعه للمنطق الآريوسى إلى نهاية نتائجه استطاع أثناسيوس أن يبين أن الأريوسية فلسفة متناقضة مضادة للعقل ومضادة للتقوى معاً وأهم ما يلفت النظر فى هذه المقالات الأربعة "هو امساك القديس أثناسيوس الثابت والشديد "بالجانب الخلاصى" فى دفاعه عن ألوهية المسيح. فهو يؤكدد على الأهمية القصوى لالوهيته لأجل حقيقية الفداء ولأجل نوال النعمة. ولأجل معرفة الله التى توهب لإنسان الخاطئ، بواسطة المسيح (انظر مقالة 35:1، 50:49، ومقالة 67:2، 69،70).

أن تعليم القديس أثناسيوس اللاهوتى إنما يرتكز على أساس فكرة الفداء: أى أن شركتنا مع الله، ونوالنا التبنى كأبناء لله ما كان ممكنا أن يتحقق لو لم يعطنا المسيح مما هو خاص به (مقالة16:1).

مصار المقالات الأربعة والترجمة:

أصل النص اليونانى ظهر فى المجلد 26 من مجموعة الآباء باليونانية لمينى MG 26) . : 12 – 526)

ونفس النص اليونانى الذى تمت عنه هذه الترجمة إلى العربية هو النص المنشور فى "سلسلة آباء الكنيسة" .E.II.E

"كتابات أثناسيوس الاسكندرى الكبير مجلد 2".

"دار نشر الآباء" تسالونيكى 1974.

وهو يحوى النص اليونانى القديم فى الصفحة اليسرى ويقابله فى الصفحة اليمنى ترجمة إلى اليونانية الحديثة.

كما تمت مقارنة الترجمة، بالترجمة التى أنجزها سنة 1844 العالم الكاردينال نيومان Newman بالانجليزية والمنشورة بالمجلد الرابع من المجموعة الثانية من سلسلة آباء نيقية وما بعد نيقية.

وفى مقدمة "المقالات الأربعة" الذى نشرته "دار نشر الآباء بتسالونيكى، توجد مقدمة هامة عن "اريوس والآريوسية" لعالم الآباء المعروف الاستاذ ب. خريستو P.christou استاذ الآباء بجامعة تسالونيكى كانت قد نشرت أصلاً فى مجلة "ثيولوجيا .O. H.E" اللاهوتية التى تصدرها الكنيسة اليونانية. وقام "الاستاذ صموئيل كامل" بتعريبها عن اليونانية، ووضعناها كملحق فى نهاية هذا الكتاب.

ويسر "مركز دراسات الآباء" أن يقوم بنشر "المقالة الأولى ضد الآريوسيين" للقديس أثناسيوس الرسولى، وبمشيئة الله سيقوم المركز بنشر المقالات الثلاث الباقية بالتتابع.

وللمسيح إلهنا الحى المتجسد لأجل خلاصنا كل مجد وسجود وتسبيح مع الآب والروح القدس الإله الواحد الآن وإلى كل الدهور.. أمين.

بيت التكريس لخدمة الكرازة — دكتور

فى 13 ديسمبر – (4كيهك) 1984 — نصحى عبد الشهيد

عيد استشهاد القديس اندراوس الرسول

الفهـــــرس

صفحة

الفصل الأول :

مقدمه

سبب الكتابة :

1- بقدر ما نأت وابتعدت الهرطقات عن الحقيقة، بقدر ذلك ابتدعت واستنبطت لنفسها جنونا وخبلاً بات جلياً واضحاً. وصار كفر وتجديف هؤلاء الناس ظاهراً بيناً للجميع منذ القدم. لأن خروج الذين ابتدعوا أمور الخداع هذه، عنا – من الممكن أن نثبته وتوضحه كما كتب المغبوط يوحنا (1يو2:19)، فان فكر مثل هؤلاء القوم لم يكن له وجود قط قبل ذلك، كما أنه لا يتفق مع ما نعتقده نحن الآن ونؤمن به. ولذلك أيضاً فكما يقول المخلص، فإن الذين لا يجمعون معنا هم يفرقون مع الشيطان (لو11:23)، متعقبين النائمين، حتى إذا نفثوا فيهم سمهم المهلك يضمنون أنه يشركونهم معهم فى الموت.

وحيث أن واحد من الهرطقات، وهى الهرطقة الأخيرة – التى ظهرت الآن كتمهيد لضد المسيح (المسيح الدجال) – وهى التى – تسمى الآريوسية، وإذ هى باطلة وخبيثة وماكرة، فقد لاحظت أن أخواتها من الهراطقات الأخرى الأقدم منها، قد فضحت جهاراً، ولذلك فأنها – مثل أبيها – الشيطان – تظاهرت بلبس كلمات الكتاب المقدس، لتحاول الدخول مرة أخرى إلى فردوس الكنيسة لكى تظهر كأنها مسيحية بغير وجه حق، وأن تخدع البعض لكى يفكروا ضد المسيح، معتمدة على أباطيلها الزائفة. إذ ليس فيها شئ من الصواب. وها هى قد أغرت بعض الحمقى من هؤلاء الذين لم يهلكوا فقط بالسماع بل أيضاً – مثل حواء – أخذوا وتذوقوا، حتى أنهم – بسبب جهلهم وعدم درايتهم صاروا يعتبرون المرحلوا (أش5:2) وأخذوا يطلقون على هرطقتهم الشنيعة أنها حسنة. ولهذا أعتقدت – بعد أن طلبتم منى – أنه صار ضرورياً أن أفتت قوة درع هذه الهرطقة الدنسة، وأن اكشف عن نتانة حماقتها، وعفن وقاحتها، لكى

يتجنبها الذين ما زالوا بعيدين عن هذه البدعة، وأيضاً لكى يندم الذين خدعوا بهـا، فيتوبـوا. ولكى يدركوا بعيون قلوبهم المفتوحة أنه كما أن الظلام ليس نورا، والكذب ليس حقيقة، هكـذا فليست الآريوسية بدعة حسنة، لكن بعض هؤلاء أيضاً الذين يسمون مـسيحيين، كثيـراً مـا يخدعون لأنهم لا يقرأون الكتب المقدسة، ولا يعرفون المسيحية قط، ولا يدركون الإيمان بها.

الآريوسية مختلفة تماماً عن الإيمان الحقيقى:

2- أى شبه رآه هؤلاء إذن، بين هذه البدعة وبين الإيمان الحقيقى. حتى أنهـم يقولـون بأنه لا يوجد شئ ردئ فيما يعلمه أولئك (المبتدعون)؟ ومعنى هذا فى الحقيقة، أنهم يعتبـرون قيافا مسيحياً. وأيضاً لا يزالون يحسبون يهوذا الخائن بين الرسل، ويقولون عن أولئـك الـذين طالبوا بإطلاق سراح باراباس بدلاً من المخلص، أنهم ما اقترفـوا أى أثـم، وهـم يمـدحون هيمينايس والاسكندر[(1)] على أعتقادهما القويم، ويعتبرون أن الرسول يكذب بخصوصهما.

إلا أن هذه الأشياء لا يستطيع أن يحتمل المسيحى سماعها، كما أن ذلك الذى يجـرؤ أن يتحدث بمثل هذه الأقوال، لا يمكن إعتباره سليم العقل والإدراك.

فبالنسبة للآريوسيين يعتبر أريوس لديهم بدلاً من المسيح، مثل مانى عند المانويين، وفى مقابل موسى والقديسين الأخرين عندهم سوتيادس[(2)] الذى كان يهـزأ بـالامميين (الـوثنيين). وكذلك ابنة هيروديا[(3)]. لأن آريوس وهو يكتب الثاليا[(4)]. كان يقلد الأسلوب النسائى المنـسوب إلى سوتيادس. وكما أبهرت أبنة هيروديا هيرودس برقصها، كذلك أريـوس سـخر الـرقص واللهو فى التشهير والافتراء على المخلص.. وهو قد فعل هذا. من ناحية لكى يموء ويـضلل عقول هؤلاء الذين انغمسوا فى الهرطقة لدرجة الجنون. ومن ناحية أخرى لكى يبدل اسم رب المجد إلى شبه صورة إنسان زائل (رو23:1). وهكذا يتخذ مشايعوه اسم الآريوسيين بدلاً مـن المسيحيين ويكون هذا دليلاً قاطعاً على كفرهم.

الأريوسيون ليسو مسيحيين:

فلا تدعهم أذن يجدون لأنفسهم عذراً. ولا تدعهم يتهكمون مفترين على هؤلاء الذين هم ليسوا فى الحقيقى مثلهم. فيسمون المسيحيين بأسماء معلميهم، لكى يظهروا هـم أيـضاً بهـذه الطريقة أنهم مسيحيون[(5)]. ومرة أخرى لا تدعهم يمزحون، وهم يستحون من اسـمهم الـذى

جلب عليهم مثل هذا العار والخزى، فلو كانوا حقاً يخجلون فليغطوا عريهم. أو فليتنحوا عن ضلالهم. لأنه لم يحدث قط فى أى وقت. أن أتخذ الشعب المسيح أسماء أساقفتهم ليكونوا تابعين لهم. بل أتخذوا اسم الرب وحده الذى به نؤمن ولذلك فنحن أيضاً الذين أتخذنا تعاليمنا من الرسل المغبوطين الذين خدموا انجيل المخلص. فإننا لم ننتسب إلى أسمهم ولم ندع به. بل نسمى فقد باسم المسيح ولذلك فنحن مسيحيون وهذا هو لقبنا.

أما أولئك الذين ينتمون إلى أخرين يأخذون منهم العقيدة التى يعترفون بها. فأنهم من الطبيعى بالنسبة لهم أن يحملوا اسماءهم أيضاً. لأنهم قد صاروا ملكاً لهؤلاء المعلمين.

3- وحيث أننا جميعاً من المسيح يقينا. لذلك فأننا ندعى مسيحيين. وقديماً عندما طرد ماركيون وألقى بعيداً لأنه ابتدع الهرطقة، فإن هؤلاء الذين كانوا معه ورفضوه عندما حرم من الكنيسة ظلوا مسيحيين، فى حين أن الذين تبعوا مركيون وشايعوه لم يسموا بعد مسيحيين بل لقبوا ماركيونيين. وهكذا أيضاً فالنتينوس وباسيليدس ومانى وسيمون الساحر، فأنهم نقلوا وأعطوا لأتباعهم أسماءهم الخاصة، ولذلك صار البعض يلقبون فالنتينيين والبعض الآخر باسيليديين وآخرين سيمونيين. والبعض الآخر الذين هم من فريجيا لقبوا فريجيين، والذين من نوفاتيس نوفاتيين.

وهكذا أيضاً ميليتيوس عندما طره وحرمه بطرس الأسقف والشهيد، لم يعد يطلق على أتباعه اسم مسيحيين بل ميليتيين. وهكذا فقد حدث نفس الشئ أيضاً حينما حرم ألكسندروس المطوب الذكر آريوس، فإن الذين ظلوا مع الكسندروس بقوا مسيحيين أما الذين خرجوا منشقين مع أريوس، فأنهم تخلوا عن اسم المخلص لنا نحن الذين بقينا مع الكسندروس، ومن م أطلق على أولئك اسم الآريوسيين. وها هو الآن بعد موت الكسندروس، فإن الذين لهم شركة مع خليفته أثناسيوس، وأولئك الذين ارتبط أثناسيوس نفسه معهم فى الشركة الكنسية لهم نفس الميزة. فإن أحداً من أولئك لم يطلق عليه اسم أثناسيوس. كما أن أثناسيوس لم يطلق عليه اسم أى واحد من أولئك المرتبطين، ولكنهم – وفقاً للوضع المألوف – يسمون جميعاً مسيحيين. لأنه وان كان لدينا سلسلة متتابعة من خلفاء المعلمين... وقد صرنا نحن تلاميذ هؤلاء، ولكن حيث أننا نتعلم منهم أمور المسيح وكل ما يختص به. لذلك فمما لا شك فيه، فأننا مسيحيون وهكذا ندعى. أما أولئك الذين يتبعون الهراطقة، فحتى لو كان لديهم آلاف الخلفاء، فأنهم حتماً يتخذون لهم اسم من ابتدع الهرطقة، وهكذا فأنه حتى بعد أن مات أريوس. رغم أن عدداً

كبيراً خلفه فى هرطقته، إلا أن هؤلاء الذين اعتقدوا بتعاليم ذلك الرجل والمعروفين بمشايعتهم لآريوس، فأنهم يسمون أريوسيون.

والبرهان العجيب على هذا، أن أولئك الوثنيين الذين دخلوا الى الكنيسة – ولا يزالــون يدخلون فيها حتى الآن، فإذ يهجرون ضلالة الأوثان، فأنهم لا يدعون بأسماء الــذين علمــوهم أصول الإيمان. بل يدعون باسم المخلص، وصاروا يدعون باسم المخلص، وصاروا مسيحيين بدلاً من وثنيين، بينما أولئك الذين ينضمون إلى الهراطقة. والذين يتحولون من الكنيــسة الـــى الهرطقة، فأنهم يهجرون اسم المسيح، وتبعاً لذلك يتخذون أسم الآريوسيين، إذ لم يعد لهم إيمان بالمسيح قد، بل صاروا خلفاء لجنون أريوس وخبله.

4- كيف يمكن إذن أن يكونوا مسيحيين أولئك الذين هم ليسوا بمسيحيين بل هم مجانين الآريوسية؟. أو كيف ينتمى هؤلاء الى الكنيسة الجامعة، وهم قد انفضوا عن الإيمان الرســولى ونبذوه وصاروا مبتدعين شروراً جديدة، وبعد أن نبذوا أقوال الكتابات الالهية، فأنهم يــسمون ثاليا أريوس حمة جديدة؟ وما يقولونه يثبت حقاً أنهم يبشرون بهرطقة جديدة. ولهــذا الــسبب أيضاً فقان الانسان ليدهش، أنه فى حين أن كثيرين كتبوا مؤلفات كثيرة وعظات أكثــر عــدداً حول العهدين القديم والجديد، فليس فى أى منها شئ مما ابتدعته ثاليا، بل حتى لا يوجد شــئ منها عند كبار الأمميين وعظمائهم... ولكنها موجودة فقط بين أولئك الذين ينشدون ويتغنــون وهم ثمالى وسكارى بين قرقعة الكؤوس والصخب والسخرية أثناء عبــثهم ولهــوهم ليثيــروا ضحك الآخرين.

أن أريوس الغريب، فى الواقع لم يقلد أحداً وقوراً، وإذ كــان يجهــل كتابــات الرجــال الوقورين من عظماء القوم، فإنه كان يختلس كثيراً من الهرطقات الأخــرى. ولا يوجــد لـــه منافس فى مجال الهزل والسخرية غير سوتيادس وحده. لأنه ماذا كان فى وســعه أن يعمــل سوى أن يرغب فى التحول ضد المخلص. بأناشيده الراقــصة، معبــراً بثرثرتـــه المموقتـــة وطنطنته البغيضة عن كفره وإلحاده، مستخدماً فى ذلك رخامة ألحانه المنحرفة الفاسقة؟ وهــذا كى يتأكد ويتضح فساد ما كتبه. من تلك الأقوال التى تتضح بعد نضح الروح وفساد الــذهن، وذلك كما تقول الحكمة تماماً "يعرف المرء من الكلمة الصادرة عنـــه" (أنظــر ابــن ســيراخ 29:19) ولأن الضلال لم يكن سهوا، بل هو متعدد الوجوه، ومتعمد أيضاً، فهو مثــل الثعبــان الذى يلتف حول نفسه صاعداً هابطاً، ولكنه – (أى أريوس) قد سقط فـــى ضـــلال الفريـــسيين

عندما أرادوا مخالفة الشريعة، فأنهم تظاهروا بأنهم غيورون على أقوال النـــاموس. وعنـــدما أرادوا أنكار الرب المنتظر، بينما كان هو نفسه حاضراً بينهم... فأنهم أدعوا بأنهم يستشهدون بالله. ولكنه أثبتوا بذلك أنهم يجدفون بقولهم: "لماذا وأنت إنسان تجعل نفسك ألهاً" (يـــو33:10)، وتقول "أنا والآب معا واحد". هكذا أيضاً أريوس المزيف والذى حذا حـــذو ســـوتيادس، فأنـــه يزعم أنه يتحدث عن الله، مستخدماً كلمات الكتاب المقدس، ولكنه أثبت من كل النـــواحى أنـــه كافر وذلك بإنكاره الابن، معتبراً أياه من بين المخلوقات.

الفصل الثانى:

مقتطفات من ثاليا أريوس

5- أن بدء ثاليا أريوس عبارة عن أقوال ركيكة جوفاء. وقد أتخذت لها أسلوباً أنثويا وهى هكذا: "حسب إيمان مختارى الله" الذين لهم أدراك ووعى بالله من الرجال القديسين الذين يتصفون بالعقائد المستقيمة، هؤلاء الذين حصلوا على روح الله القدوس. وأنا على الأقل تعلمت هذه الأمور من أناس لهم نصيب كبير من الحكمة. أناس مدهشون من المعلمين لأمور الله. وعموماً فأنهم يعتبرون من الحكماء. وقد أقتفيت أنا آثار هؤلاء وسرت على دربهم. وها أنا أسير فى نفس الطريق، معلماً لنفس هذه المبادئ، أنا الذائع الصيت، ولقد عانيت الكثير لأجل مجد الله، وعرفت الحكمة والمعرفة، وهى التعاليم المستقاه من الله، أن مثل هذه الثرثرة الجوفاء التى يتشدق بها ثاليا، والتى ينبغى تجنبها والابتعاد عنها، إذ هى مليئة بالكفر والضلال، إذ قد جاء فيها "لم يكن الله أباً فى كل حين" بل كان هناك وقت حين كان الله وحده،

ولم يكن أباً بعد، بل قد صار أباً فيما بعد... والابن لم يكن موجوداً دائماً. لأن كل الأشياء قد خلقت من العدم، وكان هناك وقت لم يكن فيه الابن موجوداً، ولم يكن له وجود قبل أن يصير، بل هو نفسه كان له بداية تكوين وخلقة ويقول: "لأن الله كان وحده. ولم يكن هناك الكلمة والحكمة بعد.. من ثم فعندما أراد الله أن يخلقنا، فإنه عندئذ قام بصنع كائن ما وسماه اللوغوس والحكمة والابن، كى يخلقنا بواسطته" ولذلك فهو يقول أن هناك حكمتان: الأولى مستقلة وموجودة مع الله. أما الابن فقد جاء من خلال هذه الحكمة الأولى، وقد سمى الحكمة والكلمة بسبب اشتراكه فقد فى هذه الحكمة الأولى. وقد سمى الحكمة والكلمة بسبب اشتراكه فقد فى هذه الحكمة الأولى، لأنه يقول "أن الحكمة جاء إلى الوجود بواسطة الحكمة بمشيئة الله الحكيم".

وهكذا يقول أيضاً: أنه توجد كلمة أخرى فى الله غير الابن. وأيضاً أن الابن قد سمى كلمة وأبناً بسبب مشاركته للكلمة حسب النعمة.

وهذا التعليم أيضاً إنما هو أحد الأفكار الخاصة بهرطقتهم كما يتضح من مؤلفاتهم الأخرى. "أنه توجد قوات كثيرة، أحداها هى قوة الله ذاته بحسب طبيعته الذاتية الأبدية. أما المسيح فليس هو قوة الله الحقيقية، بل أنه هو أيضاً قوة من تلك التى تدعى قوات. والتى تعتبر احداها هى قوة الله ذاته بحسب طبيعته الذاتية الأبدية، أما المسيح فليس هو قوة الله الحقيقية، بل أنه هو أيضاً قوة من تلك التى تدعى قوات، والتى تعتبر أحداها أيضاً "الجرادة" و "الدودة". وهى ليست قوة وحسب بل أعلن عنها أيضاً أنها قوة عظيمة[(6)]. أما القوات الأخرى المتعددة فهى مثل الابن. وأن داود أنشد عنها بقوله: "رب القوات" (مز10:24). والكلمة نفسه أيضاً. مثل كل القوات متغير بحسب طبيعته. ويبقى صالحاً بإرادته الحرة – الى أى وقت يريده. ولكنه حينما يريد، فإنه يستطيع أن يتحول مثلنا، إذ انه قوة طبيعة متغيرة. ويقول أيضاً "بما أن الله عرف بسبق علمه. بأن الكلمة سيكون صالحاً فقد منحه هذا المجد. مقدما الذ1ى حصل عليه بعد ذلك. كإنسان، بسبب الفضيلة، ولهذا فإن الله – بسبب أعماله التى كان يعرفها بسبق علمه أنها ستعمل – خلقه بمثل هذه الصورة التى صار عليها الآن".

6- بل أنه تجاسر مرة أخرى أن يقول "الكلمة ليس إلهاً حقيقياً، وحتى ان كان يدعى الهاً لكنه ليس الهاً حقيقياً. وإنما هو إله بمشاركة النعمة مثل جميع الآخرين، وهكذا فإنه يسمى إلهاً بالاسم فقط. وكما أن جميع الكائنات غريبة عن طبيعة الله ومختلفة عنه فى الجوهر. هكذا

الكلمة أيضاً يعتبر غريباً عن جوهر الآب وذاتيته ومختلفاً عنه، بل هو ينتمى إلى الأشياء المخلوقة والمصنوعة. وهو نفسه أحد هذه المخلوقات".

وفضلاً عن ذلك، فإنه كما لو كان قد صار خليقة للشيطان ووارثاً لتهوره ووقاحته، فقد ذكر فى "ثاليا" ما يلى: "وحتى الابن فإنه لا يرى الآب" وأن "الكلمة لا يستطيع أن يرى أو أن يعرف أباه تماماً بصورة كاملة. ولكن ما يعرفه وما يراه، فإنه يعرفه ويراه بقدر طاقته الذاتية، مثلما نعرف نحن أيضاً بقدر طاقتنا الذاتية". كما يقول "أن الابن ليس فقط لا يعرف تمام المعرفة، إذ هو يعجز عن هذا الإدراك، بل أن الابن نفسه لا يعرف حتى جوهره الخاص به. وأن كل من الآب والابن والروح القدس، جوهره منفصل عن الآخر حسب الطبيعة. وأنهم مقسمون ومتباعدون وغرباء عن بعضهم البعض، وليس لهم شركة أحدهم مع الآخر، إذ يدعى هو نفسه "أنهم غير متشابهين تماماً فى الجوهر والمجد بلا نهاية". ويقول "أنه فيما يتعلق بتشابه المجد والجوهر. فإن الكلمة يعتبر مختلفاً تماماً عن كل من الآب والروح القدس" وهكذا بمثل هذه الكلمات يزعم ذلك العديم التقوى أن "الابن منفصل بذاته وليس له شركة مع الآب اطلاقاً". هذه مقتطفات من النصوص الأسطورية كما جاءت فى كتابات أريوس الهزلية.

7- فمن هو الذى يسمع مثل هذه الأقوال، ومثل هذا النغم فى ثاليا، ولا يبغض أريوس وهو يقول بتمثيليته هذه؟ وبينما هو يدعو باسم الله ويتحدث عنه، فمن لا يعتبر هذا الرجل مثل الحية التى قدمت المشورة للمرأة؟. ومن لا يرى – وهو يقرأ ما كتبه – تجديفه وتضليله، مثلما فعلت الحية وهى تحاول أغواء المرأة؟ فمن لا يفزع من هول هذه التجاديف؟. فكما يقول النبى "السماء تتذهل، والأرض تقشعر" (أر12:2) من جراء التعدى على الشريعة. أما الشمس فإذ لم تحتمل تلك الاهانات المثيرة التى وقعت على جسد الرب المشترك لنا جميعاً. والتى احتملها هو نفسه من أجلنا بإرادته. فإنها أستدارت وحجبت أشعتها. وجعلت ذلك اليوم بلا شمس وأزاء تجديفات أريوس، كيف لا تتمرد حياة البشرية فتصاب بعدم النطق، فيصمون آذانهم، ويغلقون عيونهم. هرباً من سماع هذه التجديفات. ومن رؤية وجه كاتبها؟.

وبالأحرى كيف لا يصخ الرب ذاته ضد هؤلاء العديمى التقوى، بل والجاحدين أيضاً. بتلك الكلمات التى سبق ونطق بها على لسان هوشع النبى "ويل لهؤلاء لأنهم هربوا عنى. بالشقاوتهم لأنهم إذنبوا الى. أنا أفتديتهم لكنهم تكلموا على بالكذب" (هو 13:7). وبعد ذلك بقليل "وهم يفكرون على بالشر". "وعادوا الى العدم" (هو16:7 السبعينية)؟.

لأنهم بعد أن أبتعدوا عن كلمة الله الذى هو كائن، ابتكروا لأنفسهم ما هو غير كائن. فسقطوا فى العدم. ومن أجل ذلك السبب أيضاً، فإن المجمع المسكونى[(7)]. طرد، أريوس الذى علم بهذه الأمور، من الكنيسة وحرمه، إذ لم يحتمل المجمع كفره وجحوده. ومنذ ذلك الحين، فقد أعتبر ضلال أريوس. هرطقة تفوق سائر الهرطقات، حيث لقب بعدو المسيح. وممهداً للمسيح الدجال.

ولكن رغم أن هذا الحكم ضد الأريوسية، يعتبر فى ذاته كاف جداً لأن يجعل الناس يهربون بعيداً عن هذه الهرطقة الكافرة، إلا أنه، كما سبق أن قلت. يوجد البعض من الذين يدعون مسيحيين، يعتبرون – عن جهل أو عن تظهر بالجهل – أن هذه الهرطقة لا تختلف إلا قليلاً عن الحق، ولذلك يسمون الذين يعترفون بها. مسيحيين.

لذلك هيا بنا إذن بكل ما عندنا من جهد. لنكشف القناع عن حيل الأريوسية وخداعها. بأن نضع أمامهم بعض أسئلة، فبعد أن تدحض آراؤها. فأنهم سينفضون من حولها ويهربون كما لو كانوا يهربون من وجه أفعى.

الفصل الثالث:

خطورة الموضوع

8- فلو أن استعمالهم لبعض كلمات من الكتاب الإلهى، فى ثاليا، يحول – بحسب ظنهم – التجديف والكفر الذى فى ثاليا الى كلمات مديح وثناء، فإنهم حينما يرون يهود هذه الأيام وهم يقرأون الشريعة والأنبياء. فبلا شك – يلزمهم على هذا الأساس أن ينكروا المسيح مثل أولئك اليهود. وربما لو استمعوا إلى المانويين وهم يترنمون ببعض مقتطفات من الإنجيل. فأنه سينكرون مثلهم الشريعة والأنبياء.

فإن كانوا يتململون ويثرثرون هكذا، بسبب جهلهم.. إذن فليعلموا من الكتب المقدسة، أن الشيطان – وهو مبتكر الهرطقات ومؤلفها – يستعير أقوال الكتب المقدسة كغطاء يتستر من ورائه لكى ينفث سمومه الخاصة به ليخدع البسطاء. وذلك ليخفى الراحة العفنة الكريهة الكامنة فى شره الخاص. وهكذا خدع حواء. وهكذا حاك الهرطقات الأخرى. وهكذا الآن أيضاً فإنه حث أريوس لكى يدعى أنه يحتج ضد الهراطقة ويقاومهم. وبهذه الطريقة فإنه يدخل هرطقته هو فى غفلة من الجميع.

ومع ذلك فان هذا الداهية الخبيث لم يتمكن من الافلات. فلأنه كفر بالله الكلمة. فإنه أفرغ كل من لديه فى الحال، وانكشف أمام الجميع جهله بالهرطقات الأخرى أيضاً. وأنه لم يكن فى عقيدته أى شئ مستقيم، ولذلك كان ينافق ويراءى.

لأنه كيف يمكن أن يتكلم بإستقامة عن الآب، وهو ينكر الابن الذى يكشف الآب ويعلنه؟. أو كيف يمكن أن يعتقد أعتقاداً قويما فيما يخص الروح القدس. بينما هو يفترى على الكلمة الذى يهب الروح ويعطيه؟ ومن سيثق به عندما يتحدث عن القيامة. ما دام هو شخصياً ينكر المسيح. الذى صار البكر من الأموات، من أجلنا (كو19:1)؟. وكيف لن ينخدع فيما يخص حضوره بالجسد، وهو يجهل كلية الميلاد الحقيقى للابن من الآب؟. فإنه هكذا أيضاً حدث مع اليهود حينما أنكروا الكلمة وقالوا "ليس لنا ملك إلا قيصر" (يو15:19)، فأنهم فقدوا كل شئ دفعة واحدة وبقوا بدون نور مصباح. وبدون رائحة الطيب. وبدون معرفة النبوة. وبدون الحق ذاته. وهم حتى الآن، لا يفهمون شيئاً. كمن يسيرون فى الظلام. لانه من سمع بمثل هذه التعاليم فى أى عصر من العصور حتى الآن. أو من أين أو ممن سمع هؤلاء هذه الأمور، أولئك المنافقون والمأجورون لنشر الهرطقة؟. ومن علم هؤلاء مثل هذه العقيدة حينما كانوا يلقنونهم دروس الدين؟ ومن قال لهم بعد أن أنصرفوا عن عبادة الخليقة، أن تعالوا من جديد لتعبدوا المخلوق والمصنوع؟. وأن كان هؤلاء أنفسهم يعترفون بأنهم قد سمعوا بمثل هذه التعاليم لأول مرة الآن. فليكفوا إذن عن عن إنكارهم بأن هذه الهرطقة إنما هى غريبة، ولم يتسلموها عن الآباء. والذى لم يأت من الآباء بل أبتدع الآن. فأى شئ آخر يمكن أن يكون. سوى ما تنبأ به المغبوط بولس "فى الأزمنة الأخيرة ينحرف البعض عن الايمان القويم تابعين أرواحاً مضلة وتعاليم شياطين فى نفاق الكذابين الموسومة ضمائرهم الذاتية". (1تى1:4، 2،14) وأيضاً "مرتدين عن الحق".

الإيمان الصحيح عن الابن:

9- ها نحن إذن نتحدث بحرية عن الإيمان الصحيح النابع من الكتب الإلهيـــة، ونـــضع هذا الإيمان كسراج على المنارة فنقول: ابن حقيقى حسب الطبيعة للآب ومن نفـــس جـــوهره. وهو الحكمة وحيد الجنس وهو الكلمة الحقيقى الوحيد لله. وهو ليس مخلوقـــاً ولا مـــصنوعاً. ولكنه مولود حقيقى مـــن ذات جـــوهر الآب. ولهـــذا فهـــو إلـــه حـــق إذ أنـــه واحـــد فـــى الجوهر مع الآب الحقيقى.

أما بالنسبة للكائنات الآخرى. التى قال لها: "أنا قلت: أنتم الهة" (مز6:8)، فإنها حـــصلت على هذه النعمة من الآب وذلك فقط بمشاركتها للكلمة عن طريق الروح القدس. لأنه هو رسم جوهر الآب هو نور من نور، وهو قوة وصورة حقيقية لجوهر الآب. لأن هذا ما قاله الـــرب أيضاً: "من قد رآنى فقد رآى الآب" (يو9:14). فهو كان موجوداً دائما. وهو كائن كل حـــين، ولم يكن قط غير موجود. وكما أن الآب أزلى، هكذا أيضاً فأن كلمته وحكمته يجب أن يكـــون أزلياً.

ثم فلنر إذن ما يتشدق به هؤلاء مما يقدمونه لنا من مزاعم مما جاء فى ثاليا الذميمة؟.

دعهم أولاً يقرأونها مقلدين أسلوب كاتبها، كى يتعلموا – حتى وأن كانوا يسخرون مـــن الآخرين – إلى أى ضلال قد أنحدروا. وبعد ذلك فليقولوا، ولكن ماذا فى وسعهم أن يقولوا منه سوى: "أن الله لم يكن دائماً أباً. ولكنه صار أباً فيما بعد. والابن لم يكن موجوداً دائماً، لأنه لم يكن موجوداً قبل أن يولد. وأنه ليس من الآب، ولكنه هو أيضاً خلق من العدم. وهو ليس مـــن نفس جوهر الآب لأنه مخلوق ومصنوع"؟ وأن "المسيح لم يكن الها حقيقياً، بل هو نفسه صـــار الهاً بالمشاركة. والابن لم يعرف الآب معرفة تامة، والكلمة لم ير أباه بصورة كاملة. والكلمـــة الحقيقى الوحيد للآب، ولكن بالأسم فقط يدعى كلمة وحكمة، وهو بالنعمة فقد يدعى ابناً وقـــوة. وهو ليس غير قابل للتغير مثل الآب، ولكنه متغير بالطبيعة كالمخلوقات. وهـــو قاصـــر عـــن إدراك معرفة الآب إدراكاً كاملاً" غريب أمر هذه الهرطقة حقاً، إذ ليس هناك أى احتمال فـــى استقامة تعاليمها، بل هى تتخيل أنه لا وجود لذلك الذى له وجود فى الواقع، بل تنـــشر علـــى الملأ مهاترات كفرية تماماً بدلاً من الأقوال الورعة النقية. إذن، أن قام أحد النـــاس بالتـــصدى لبحث تعاليم الفريقين وتساءل إلى إيمان أى منهما ينحاز وأى منهما يتكلم الكلام اللائـــق عـــن الله.

أو بالأحرى دع هؤلاء الذين يحرضون على الكفر بنفاق يقولون، بماذا يجب أن يجاب عندما يسأل انسان عن الله. (لأن "الكلمة كان الله")، فإنه من الاجابة على هذه السؤال سيعرف كل ما يتعلق بكلتا المسألتين، أى ماذا يجب أن يقوله الشخص: هل "كان" أم "لم يكن"؟ هل هو "دائم" أم "صار من قبل" هل هو "أزلى" أم "منذ متى، وحتى متى". هو هو "الله حق" أم "بالوضع والمشاركة والاختلاق" هل هناك من يقبل القول بأنه (أى الكلمة) "واحد من بين المخلوقات" أم أنه "مشابه الآب". وأنه "غير مشابه للآب حسب الجوهر". أم أنه "مشابه للآب وخاص به" وأنه "مخلوق" أم أن "به قد خلقت المخلوقات".

أنه "هو ذاته كلمة الآب"، أم أن هناك "كلمة آخر" بالاضافة إليه، وأنه تكون عن طريق هذه الكلمة الآخر. وعن طريق حكمة أخرى.. وأنه إنما لقب حكمة وكلمة بالاسم فقط. وأنه صار شريكاً لتلك الحكمة وتاليا لها.

10- فأقوال من أذن، هى التى تعتبر لاهوتية وتوضح أن ربنا يسوع المسيح هو إله وابن الآب؟. هل هى تلك الأقوال التى تقيأتموها أنتم، أم تلك التى قلناها نحن ولا نزال نقولها من الكتب المقدسة.

إذن فإن كان المخلص ليس إله وليس كلمة وليس ابناً. فأنه يكون من الجائز لكم (فى هذه الحالة) أن تقولوا ما تريدون كما هو جائز للوثنيين واليهود فى أيامنا.

أما إن كان هو كلمة الآب والابن الحقيقى. وإله من إله، و "فوق الكل مبارك إلى الأبد" (رو5:9)، فكيف لا يكون لائقاً أن نزيل ونمحو الاقوال المغايرة وثاليا الأريوسية. كصورة للشرور. ومليئة بكل أنواع الألحاد والكفر؟ والتى عندما يسقط فيها أحد، "فأنه لا يعرف أن الاشباح سيهلكون بواسطتها، وأنه سيلتقون بها فى عمق الهاوية" (أم18:9 سبعينية). أنهم يعرفون هذا الأمر. وهم أنفسهم فى الواقع كمخادعين يخفون هذه الامور لأنهم لا يملكون الشجاعة أن ينطقوا بها علناً. ولكنهم يقولون أشياء أخرى قريبة منها. لأنهم أن تكلموا علنا فسوف يلامون. وأن تعرضوا للشبهة (بسبب الانحراف) فان الجميع سيتصدون لهم ببراهين من الكتب المقدسة. ولذلك، فيما أنهم أبناء هذا الجيل. فأنهم بدهاء. قد أوقدوا المصباح الذى أعتبروه خاصاً بهم، بزيت خام. ولكنهم خوفاً من أن ينطفئ بسرعة لأنه قد قيل "نور الأشرار ينطفئ" (أيوب 5:18)، فأنهم أخفوه تحت مكيال النفاق والرياء. ويدلون بأقوال مغايرة. مستعينين بحماية الأصدقاء مهددين بقسطنديوس[(8)] وذلك حتى لا يرى، أولئك الذين ينضمون

إليهم، نجاسة الأريوسية ونتانتها. وذلك بواسطة دهائهم وأقوالهم التى ينطقون بها. كيف إذن لا تكون هذه الهرطقة مستحقة للكراهية مرة أخرى، بحسب هذا أيضاً. وهى فى الواقع تخفى (بضم التاء) بواسطة مشايعيها أنفسهم. – إذ أنها لا تتجاسر أن تظهر علناً وتتكلم بحرية –، بل هى تتربى وبعتنى بها كالحية؟.

لأنهم من أين جمعوا لأنفسهم تلك الترهات؟ أو ممن حصلوا إذن على مثل هذه الأقوال التى يتجاسرون على التشدق بها؟. أنهم ليس فى وسعهم أن يحددوا الشخص الذى سبق أن تسلموا منه هذه الأقوال. لأنه من من الناس. سواء كان يونانياً أو بربرياً يجسر أن يقول عن ذلك الذى يقر ويعترف به أنه إله. بأنه واحد من المخلوقات، وأنه لم يكون موجوداً قبل أن يخلق؟. ومن هو ذلك الذى يؤمن بالله. ولا يصدق الله القائل "هذا هو ابنى الحبيب" (متى5:17) ويزعم بأن الابن ليس ابناً بل مخلوقا؟ بل أن مثل التعاليم سوف تثير سخط الجميع أكثر ضدهم. فإنهم حتى لم يتخذوا براهينهم من الكتب المقدسة، لأنه سبق أن كشفنا مراراً، كما سنكشف الآن أيضاً بأن هذه التعاليم مخالفة وغريبة عن الأقوال الالهية، إذن، إذ لم يتبق إلا أن نقول بأنهم قد أصابهم الجنون بعد أن تلقوا هذه التعاليم من الشيطان (لأنه هو وحده الذى يزرع مثل هذه التعاليم). لذلك هيا بنا لنقاومه، لأنه سيكون لنا صراع ضده عن طريقهم. وبمشيئة الرب، بعد أن يعجز كالمعتاد بواسطة البراهين، فإنهم سيصابون بالخزى عندما يرون ذلك الذى زرع هذه الهرطقة فيهم. خالياً من أية قوة. فيتعلمون، ولو متأخراً. أنه بما أنهم أريوسيون. فهم ليسوا مسيحيين.

الفصل الرابع:

الابن أزلى وغير مخلوق

11- قد قلتم وأعتقدتم حسب اقتراح (الشيطان) عليكم، بأنه "كان وقت لم يكن فيه الابن موجوداً". لأن ثوب أفكار بدعتكم هذا، هو الذى يجب أن ينزع أولاً.

قولوا أيها المهاترون عديمى التقوى، ما المقصود بالوقت الذى لم يكن فيه الابن موجوداً؟ فإن كنتم تشيرون بهذا إلى الآب. فإن تجديفكم يكون أعظم. لأنه من غير اللائق أن يقال عنه "كان فى وقت ما" أو أن يشار إليه بكلمة "وقت". لأنه كائن دائماً وهو موجود الآن. وحيث أن الابن أيضاً موجود فهو (الآب) أيضاً موجود، وهو نفسه الكائن. وأبو الابن. فإن كنتم تقولون أن الابن كان موجوداً مرة، حينما لم يكن موجوداً، فالجواب هو أن هذا كلام صبيانى أحمق. إذ كيف يكون هو نفسه موجوداً وغير موجود؟ وإذ تجدون أنفسكم فى حيرة أمام هذا التضارب فى الأقوال، فإنكم يمكن أن تقولوا، أنه كان هناك "وقتاً ما "حينما لم يكن الكلمة موجوداً، لأنه هذا هو المعنى الطبيعى لظرف الزمان "وقتاً ما" الذى تستخدمونه. والقول الذى سجلتموه بعد ذلك هو "الابن لم يكن موجوداً قبل أن يولد". هو مساو تماماً لقولكم "كان هناك وقت ما لم يكن موجوداً" فسواء هذا القول أو القول الآخر، فكلاهما يعنى أنه كان هناك زمن سابق على الكلمة. إذن من أين أتيتم بهذه الأقوال؟ لماذا تزمجرون كالأمم وتقولون كلمات فارغة زائفة ضد الرب وضد مسيحه[(9)]؟. لأنه لم يسبق لأى كتاب من الكتب المقدسة أن استخدم تعبيراً مثل هذه التعبيرات عن المخلص، بل بالأحرى تقول عنه "الدائم"، "الأزلى" والمشارك دائماً مع الآب فى الوجود، فى البدء كان الكلمة، وكان الكلمة عند الله. وكان الكلمة الله"[(10)] ويقول عنه فى الرؤيا ما يلى "الكائن والذى كان والآتى"[(11)] فمن يستطيع إذن أن ينتزع الأزلية من ذلك "الكائن". "والذى كان" ولأجل هذا الأمر عينه كتب بولس وهو يتكلم عن اليهود فى الرسالة الى أهل رومية قائلاً "ومنهم المسيح حسب الجسد الكائن فوق الكل الهاً مباركاً الى الأبد". وحين كان يتكلم مع الأمميين قال "لأن أموره غير المنظورة ترى بوضوح منذ خلق العالم مدركة بواسطة المصنوعات قدرته السرمدية وألوهيته"[(12)] وما هى قدرة الله؟. هو نفسه يعلم فى مرة أخرى قائلاً "المسيح هو قوة الله وحكمة الله"[(13)] أنه بالتأكيد لم يكن يقصد الآب بهذه الكلمات، كما كنتم تتهامسون كثيراً فيما بينكم قائلين أن "الآب إنما هو قوته الأزلية" ولكن الأمر ليس هكذا. لأنه لم يقل أن الله ذاته هو القوة" بل أن "القوة هى قوته". فمن الواضح الجلى للجميع أنه استخدم الهاء فى قوته (ضمير الاضافة فى الغائب المفرد) ولم يستخدم "هو" (ضمير الغائب المفرد فى حالة الفاعل) ولكنه

ليس غريبا (عن الاب) بل هو (الابن) خاص به ذاته[14]. أقرأوا أيضاً سياق الكلام "وأرجعــوا إلى الرب". "وأما الرب فهو الروح"[15]، وسترون أن هذا النص يشير إلى الابن.

12- لأنه (بولس) وه يتحدث عن الخليقة، فإنه يستمر أيضاً فى الكتابة عن قوة الخــالق فى خليقته، تلك القوة التى هى "كلمة الله"، والذى من خلاله (بواسطته) قد خلق كل شئ. فلــو أن الخليقة فى طاقتها بذاتها وحدها أن تعرف الله بدون الابن، فالتفتوا لئلا تسقطوا فى الغواية. فتظنوا، أنه بدون الابن أيضاً قد خلقت الخليقة. ولكن إن كانت الخليقة قد خلقت عــن طريــق الابن، وأنه "فيه تثبت (تقوم) كل الأشياء فى الوجود"[16] . فأن الذى يتأمــل الخليقــة بطريقــة مستقيمة، فلابد أن يرى أيضاً بالضرورة الكلمة الذى خلقها. ومن خلال الكلمة يبدأ أن يــدرك الآب. وان كان حسب قول المخلص "لا أحد يعرف الآب إلا الابن ولمن ســيعلن لــه الابــن عنه"[71] وحينما سأل فيلبس "أرنا الآب" لم يقل له، انظر الخليقة، بل قال له "من رآنــى فقــد رآى الآب". فإن بولس بصواب وأدراك. يتهم اليونانيين بأنهم، بينما يــرون تناســق الخليقــة ونظامها فإنهم لا يدركون الكلمة خالقها. (لأن المخلوقات تعلن عن خالقها). لكى يدركوا الإلــه الحقيقى من خلال المخلوقات. ويكفوا عن عبادة المخلوقات. – ولــذلك قــا لبــولس "قدرتــه السرمدية ولاهوته" لكى يشير بذلك إلى الابن. وحينما يقول القديسون "الكائن قبــل الــدهور"، "والذى به صنع الدهور" فإنهم بذلك يبشرون بخلود الابن وأزليته. وهم حينما يقولون الابن فهم يقصدون الله نفسه.

ولذلك يقول أشعياء "الله الأبدى، خالق أطراف الأرض"[18] وقالت سوسنه "أيهــا الالــه الأزلى"[19]. أما باروخ فكتب "قد صرخت إلى الأبدى مدى أيامى"[20] وبعد قليل يقول "لأنى أنا أعتمدت فى رجائى على الأبدى، لأجل خلاصكم، وغمرنى فرح من لدن القدوس"[21]. لــذلك يقول الرسول أيضاً وهو يكتب للعبرانيين. "الذى (الابن) وهو بهاء مجده وصورة جوهره"[22] وداود ينشد فى المزمور التاسع والثمانين قائلاً "فليكن بهاء الرب الهنــا علينــا"[23]. وأيــضاً "بنورك سنرى النور"[24] فمن يكن حمقا لدرجة أنه يشك فى أن الابن كائن على الدوام؟. لأنــه من رأى نوراً قط بدون بريق وميضه. حتى يقول عن الابن أنه "كان هناك وقت ما لم يكن فيه موجوداً"، أو "أن الابن لم يكن موجوداً قبل أن يولد"؟ وما قيل فى المزمور الرابع والأربعــين بعد المائة. موجهاً قوله للابن "مملكتك مملكة كل الدهور"[25] فلا يجوز لأى شخص. أن يتخيل أى فترة – مهما كانت وجيزة – لم يكن فيها الكلمة موجوداً. لأنه ان كانت كل فتــرة زمنيــة

تقاس من خلال الدهور، والكلمة هو ملك وصانع كل الدهور. لذلك فبالضرورة. حيث أنــه لا توجد قبله أية فترة زمنية من أى نوع. فإن يعتبر ضرباً من الجنون أن يقال "كان هناك وقــت عندما لم يكن الأزلى موجوداً. وأن "الابن هو من عدم" حيث أن الرب نفسه يقــول "أنــا هــو الحق"[26] ولم يقل "صرت الحق". بل هو يكرر دائماً "أنا هو" – فيقول – "أنا هو الراعــى"[27] – و "أنا هو النور"[28] ومرة أخرى يقول "ألستم أنتم تقولون أنى أنا الــرب والمعلــم وحــسنا تقولون، لأنى أنا هو"[29]. ومن عندما يسمع مثل هذا القول. من الله. والحكمــة وكلمــة الآب، متحدثاً عن ذاته، يظل حائراً بخصوص الحقيقة، ولا يؤمن فى الحال، بأن عبارة "أنا هو" تعنى أن الابن أبدى، وأزلى قبل كل الدهور.

13- مما سبق ذكره يتضح أن ما تقوله الكتب المقدسة عن الابن يبرهن أنه أزلى. أمــا ما يتفوه به الأريوسيون متشدقين بالألفاظ: "لم يكن". "من قبل" ، "متى؟" فإن الكتــب المقدســة تشير بهذه الألفاظ الى المخلوقات. وهذا سيتضح مرة أخرى مما سنذكره فيمــا يلــى: فمــثلاً، عندما تحدث موسى عن الأمور المختصة بتكوين الخليقة، قال "كل خضرة الحقل لم تكن بعــد فى الأرض وكل عشب الحقل لم يكن قد نبت بعد لأن الله لم يكن قد أمطر علــى الأرض، ولا كان إنسان ليعمل فى الأرض[30] وجاء فى التثنية "حين قسم العلى، الشعوب"[31]. وكان الــرب يقول عن نفسه "لو كنتم تحبوننى لكنتم تفرحون لأنى قلت أنى ماض إلى الآب، لأن أبى أعظم منى. وقد قلت لكم الآن قبل أن يكون حتى متى كان تؤمنون"[32].

أما عن الخليقة فيقول على فم سليمان "قبل خلق الأرض. قبل صنع الأعماق. وقبل تدفق ينابيع المياه. وقبل أن ترسخ الجبال. وقبل جميع التلال. ولدنى"[33] وأيــضاً "قبــل أن يكــون ابراهيم أنا كائن"[34] ويقول عن أرميا "قبل أن أصورك فى الرحم عرفتك"[35] وداود يرنم قائلاً "يارب صرت لنا ملاذاً من جيل إلى جيل. قبل تكوين الجبال. أو قبل خلق الأرض والمسكونة منذ الأزل وإلى الأبد أنت هو"[36]. وفى سفر دانيال "وصرخت سوسنة بصوت عظيم وقالت،: أيها الإله الأزلى العارف بالخبايا، والعالم بكل الأشياء قبل حدوثها"[37].

وهكذا إذن يظهر أن الألفاظ "لم يكن فى وقت ما". و"قبل أن يصير". و"عندما" ومثل هذه التعبيرات انما تنطبق على الكلام بخصوص المنشآت والمخلوقات التى جبلت من العدم. ولكنها غريبة تماماً بالنسبة للكلمة. فغن كانت الكتب المقدسة تستخدم هذه التعبيرات عن المخلوقــات، بينما تقول عن الابن أنه "الدائم" إذن فيا محاربى الله، فان الابن لم يصر من العدم. ولا يحسب

فى عداد المخلوقات اطلاقاً، بل هو صورة الآب وهو الكلمة، ولم يكن قد غير موجود، بل هو موجود على الدوام. وهو الشعاع الأزلى لنور هو أزلى. لماذا إذن تتخيلون أن هناك أزمنة سابقة على الابن؟. أو لماذا تجدفون على الكلمة بأنه لاحق وتالى للدهور وهو الذى به قد صارت الدهور.؟

لأنه كيف يوجد زمن أو دهر إطلاقا. بينما لم يكن الكلمة قد ظهر بعد حسبما تقولون أنتم، وهو الذى به قد "كان كل شئ، وبغيره لم يكن شئ واحد"[(38)]. ، أو أن كنتم تقصدون زمناً ما، فلماذا لا تقولون جهاراً أنه "كان هناك زمن لم يكن فيه الكلمة موجوداً. ولكن بينما أنتم تسكتون عن اسم "الزمن" لكى تخدعوا البسطاء ولكنكم من ناحية أخرى لا تخفون شعوركم الخاص على وجه الاطلاق، ولكن – حتى لو أخفيتمون. فإنكم لا تستطيعون أن تفلتوا من إنكشاف أمركم. لأنكم لا تزالون تقصدون الأزمنة عندما تقولون "كان مرة حينما لم يكن موجوداً" ، "لم يكن موجوداً قبل أن يولد".

الفصل الخامس:

البنوة الالهية غير البنوة البشرية

14- وهكذا بعد برهنا هذه الامور وأثبتناها، فإنه لا يزالون يجدفون أكثر قائلين: "أن لم يكن هناك وقت ما، لم يكن فيه الابن موحوداً، بل هو أزلى فى وجوده مع الآب، إذن فلا يعود يسمى بعد ابناً بل أخاً للآب". يا لكم من حمقى. مغرمين بالتشاحن والمخاصمة! لأنـــه ان كنـــا نقول أنه هو وحده كائن أزلياً مع الآب، دون أن نقول – فى نفس الوقت – أنه ابن، لكان هناك بعض العذر لتوقيرهم ولتدقيقهم المصطنع هذا، ولكن إن كنا فى نفس الوقت الذى نقول فيه أنه أزلى، فإننا نعترف إيضاً أنه ابن من آب فكيف يكون ممكناً أن يعتبر المولود أخاً للذى ولـــده؟ فإن كان إيماننا هو بالآب والابن، فأى رابطة أخوية توجد بينهما؟ إذ كيف يمكـــن أن يـــدعى الكلمة أخاً لذلك الذى (أى الآب) هو أيضاً كلمة له.؟ وان هذا الاعتراض ليس من قوم يجهلون حقيقة الأمور، لأنهم هم أنفسهم يعرفون الحقيقة. ولكن هذه الحجة إنما هى حجة يهودية، آتيـــة من قوم "بمشيئتهم يعتزلون الحقيقة" كما يقول سليمان[(39)]. فالآب والابن لم يولـــدا مـــن أصـــل سابق عليهما فى الوجود، حتى يمكن أعتبارهما أخوين، ولكن الآب هو أصل الابن وهو والده.

والآب هو آب، وهو لم يكن ابناً لأحد، والابن هو ابن وليس بأخ.

فإن كان هو يدعى ابناً أزلياً للآب، فحسناً يقال. لأن جوهر الآب لم يكن ناقصاً أبداً، حتى يضاف إليه (ابنه) الخاص به فيما بعد. وأيضاً فإن الابن لم يولد (من الآب) كما يولد انسان من انسان، حتى يعتبر انه قد جاء الى الوجود بعد وجود الآب، بل هو مولود الله، ولكونه ابن الله الذى هو من ذاته (من ذات الله) الموجود من الأزل. لذلك فإنه هو نفسه (أى الابن) موجود من الازل. فبينما خاصية طبيعة البشر أنهم يلدون فى زمن معين. بسبب أن طبيعتهم غير كاملة. أما مولود الله فهو أزلى، بسبب الكمال الدائم لطبيعته. فإذا لم يكن ابناً. بل مخلوقاً وجد من العدم، فعليهم أن يثبتوا ذلك أولاً. وبعد ذلك إذ يتصورونه مخلوقاً. يمكنهم أن يصيحوا قائلين "كان هناك وقت عندما لم يكن الابن موجوداً، لأن المخلوقات لم تكن موجودة قبل أن تخلق" أما أن يكن هو ابناً – كما يقول الآب وكما تنادى به الكتب المقدسة – فإن "الابن" ليس شيئاً آخر سوى أنه المولود من الآب. والمولود من الآب هو كلمته وحكمته وبهاؤه ما يجب أن نقوله. هو أن الذين يعتقدون أنه "كان هناك وقت عندما لم يكن الابن موجوداً "أنهم يسلبون الله كلمته، ويعلمون بمذاهب معادية كلية لله معتبرين أن الله كان فى وقت ما بدون الكلمة الذاتى وبدون الحكمة. وكان النور فى وقت ما بدون بهاء. وكان النبع جافاً مجدباً.

حقاً أنه يتظاهرون أنهم يخشون ذكر اسم الزمن، بسبب أولئك الذين يعيرونهم، ويقولون، بأن (الابن) كان قبل الأزمنة إلا أنهم يحددون أوقاتاً معينة، فيها يتخيلون عدم وجوده، مبتدعين أزمنة ويا لسوء ما ابتدعوا – فإنهم بذلك ينسبون لله نقص الكلمة (أى عدم العقل) وبذلك فإنهم يكفرون كفراً شنيعاً.

15- وحتى أن اعترفوا معنا، بأسم "الابن" وذلك لأنهم لا يريدون أن يدانوا علناً من الجميع. إلا أنهم ينكرون أن الابن هو المولود الذاتى لجوهر الآب. ويبنون انكارهم على أساس أن الابن – بحسب كلامهم – يوجد. بلا شك، من جوهر يتجزأ وينقسم الى أقسام. وهذا الكلام لا يقل بالمرة عن غنكارهم أنه ابن حقيقى، وإنما هم يلقبونه بلقب ابن. بالاسم فقط. أفلا يرتكبون خطأ جسيماً حينما يتصورون أفكاراً جسدية. وينسبونها لغير الجسدى (اللاجسدى). وحينما بسبب ضعف طبيعتهم الخاصة. فإنهم ينكرون طبيعة الآب وذاتيته؟ لقد حان الوقت لهؤلاء الذين لا يفهمون كيفية وجود الله ولا ما هى هيئة الآب، أن ينكرون أيضاً. لأن هؤلاء الناس الأغبياء يقيسون مولود الآب بمقاييسهم البشرية الذاتية. وان اناساً يفكرون بمثل هذه

الطريقة أنه لا يمكن أن يكون هناك ابن لله. فإن هذا أمر يستحق العطف والرثاء. ولكن يلــزم أن نستمر فى سؤالهم وفضح أفكارهم.

إذن فان كان الابن – كما تقولون – تكون من العدم. ولم يكن موجوداً قبل أن يولد، فإنه – على ذلك – يدعى ابناً والهاً وحكمة بحسب المشاركة فقد مثله مثل كل الأشــياء الأخــرى، فغن كل هذه الأشياء الأخرى (أى المخلوقات) قد تكونت وتقدست وتمجدت بالمشاركة أيــضاً. إذن فهناك حاجة ملحة أن تقولوا لنا. من هو الذى يشاركه (الابن). ما دامــت كــل الأشــياء الأخرى لها شركة فى الروح (القدس). أما هو – فبحسب قولكم– لمــن يــستطيع أن يكــون (الابن) مشاركاً؟ هل للروح؟ بل كما قال هو ذاته حقاً بالأحرى ان الروح نفــسه يأخــذ مــن الابن[40] ومن غير المعقول القول بأن هذا (الابن) يقدس من ذلك (الروح). ولا يتقبى بعد ذلك بالضرورة إلا أن نقول أن الآب هو الذى يشاركه الابن. إذن من هو الذى يــشاركه (الابــن). ومن أين هو؟ فلو أن هذا (المشارك فيه) كان شيئاً من الخارج، مدبراً من الآب، فلن يكون فى الامكان أن يشارك الابن الآب، بل يشارك ذاك الذى هو من خارج الآب. ولن يكن الابن بعــد ذلك، ثانياً بعد الآب. إذ أن ذاك الذى من خارج سيكون سابقاً على (الابن) ذاته، ولــن يكــون ممكناً أن يدعى ابن الآب، بل ابناً لذلك الذى باشتراكه فيه دعى ابناً والهاً.

وان كان هذا أمر غير لائق وكفرى. إذ أن الآب يقول "هذا هو ابنى الحبيب"[41] وأيضاً يقول الابن أن الله أبوه[42]. فيكون واضحاً إذن. أن ما يشترك فيه ليس من الخارج. وإنما هــو من جوهر الآب. ومرة أخرى. إن كانت هذه المشاركة. شيئاً آخر. غير جوهر الابن، سيحدث نفس الخطأ، إذ فى هذه الحالة – سيكون هناك شئ فى الوسط بين ما هــو مــن الآب وبــين جوهر الابن أياً كان هذا الشئ.

16- وإذ يتضح أن مثل هذه الأفكار غير اللائقة إنما هى بعيدة عن الحقيقة، لذلك فمــن الضرورى أن نقول أن ما هو من جوهر الآب الذاتى كلية، إنما هو الابن. لأن القول بــأن الله يشترك فيه كلية هو نفس القول بأن الله يلد. وأن الله يلد. ماذا يعنى هذا القول سوى أنــه يلــد ابناً؟

وكل الأشياء تشترك فى الابن بحسب النعمة النابعة من الروح. ويتضح مــن هــذه ان الابن نفسه ليس مشاركاً لشئ ما. وأما ما يشترك فيه مــن الآب، فهــذا هــو الابــن – لأنــه

بإشتراكنا فى الابن. يقال عنا أننا نشارك فى الله. وهذا مـا قالـه بطـرس: "لكـى تـصيروا مشاركين فى الطبيعة الالهية"[43] وكما يقول الرسول أيضاً "أما تعلمـون أنكـم هيكـل الله"[44] وأيضاً "لأننا نحن هيكل الله إنما هى معرفة تدور حول الآب، لان الابن هو مولود ذاتـى مـن جوهره. وكما أن الله يشترك فيه. فلا يستطيع أحد أن يقول أن هذا (الاشتراك فيه) هـو ألـم وتقسيم لجوهر الآب (لأنه قد صار أمراً واضحاً ومعترفاً به أن الله يشترك فيه. والاشتراك فى الله هو نفسه الولادة (هو نفسه أن الله يلد)). وهكذا يتضح أن الولود ليس بـألم (بتغييـر) ولا بتقسيم لذلك الجوهر المبارك. وليس كفراً (من عدم الإيمان) أن يكـون لله ولـد. مولـود ذات جوهره وحينما نقول أنه "ابن" و "مولود" فلا يعنى هذا تغيـراً ولا تقـسيماً لجـوهر الله. بـل بالاحرى، نحن نعرف أنه ابن الله الوحيد الجنس، الأصيل والحقيقى. وهذا هو ما نؤمن به.

فان كان المولود من جوهر الآب. إنما هو الابن. – كما أوضحنا ,اثبتنا – فليس هنـاك أدنى شك. بل هو أمر ظاهر جلى للكل أن هذا المولود هو نفسه. حكمة الله وكلمته والذى بـه ومن خلاله خلق (الآب) كل الأشياء. والذى به يعلن نفسه لأولئك الذين يريد أن يعلـن لهـم. وهذا المولود هو أيضاً شكله (المعبر عنه) وصورته. التى فيها يرى ويعرف، لذا فإنـه "هـو والآب واحد". ولآن من يرى الابن فإنه يرى الآب أيضاً.

وهذا (المولود) أيضاً هو المسيح، الذى به قد أفتديت كل الأشياء. وبـه أيـضاً خلقـت الخليقة الجديدة[46] . وأيضاً فإذا كان الابن هكذا، فلا يكون ملائماً – بل أن هذا يكون خطـراً جسيماً – أن يقال أنه "مخلوق من العدم". أو أنه "لم يكن موجوداً قبل أن يولد". لأن من يـتكلم هكذا عن المولود الذاتى من جوهر الآب، يكون قد جدف مسبقاً على ذات الآب، إذ أنه يعتقـد عن الآب بمثل هذه التعاليم التى يخادع بها فى تخيلاته عن المولود منه.

الفصل السادس:

الابن الوحيد والثالوث

17- إذن، فان هذا وحده كاف لـــدحض وهـــدم الهرطقـــة الأريوســـية، ولكـــن عـــدم أرثوذكسيتها يمكن أن يظهر أيضاً مما يأتى :

ان كان الله خالقاً وصانعاً. وهو يخلق مخلوقاته بواسطة الابن، ولا يستطيع أحد أن يرى الأشياء المخلوقة بأية طريقة أخرى. سوى بإعتبارها مخلوقة بواسطة الكلمة، أفلا يكون تجديفاً – إذ بينما أن الله هو الخالق – يأتى أحد فيقول أن كلمته الخالقة وحكمته. لم تكن موجودة فـــى يوم ما؟ فإن هذا مشابه للقول. بأنه حتى الله لم يكن خالقاً. إذ أنه لا يملك كلمته الخالق الـــذاتى.

الذى هو منه، بل ما يخلق به، إنما يكون (فى هذه الحالة) قد جلب إليه من خارجـة، ويكـون غريباً عنا. ويكون غير مماثل له حسب الجوهر.

وبعد ذلك، فليقولوا لنا – أو بالاحرى ليتهم يرون من هذا، مقدار ضلالهم وعدم تقـواهم فى قولهم "كان وقت عندما لم يكن موجوداً" وأيضاً "لم يكن موجوداً قبل أن يولد" – لأنه ان لم يكن الكلمة دائماً أزلياً مع الآب، فلا يكون الثالوث أزلياً، بل واحد مفرد هكذا كان مـن قبـل. وفيما بعد صار ثالوثاً بالإضافة. وهكذا بمرور الزمن – حسب رأيهم – فقد تزايدت المعرفـة عن الله وتشكلت. وأيضاً ان لم يكن الابن مولوداً ذاتياً لجوهر الآب، بل قد خلق من العدم. إذن يكون الثالوث قد تكون من العدم. وكان هناك وقت ما عندما لم يكن هناك ثالوث، بـل واحـد مفرد. وهكذا يكون الثالوث فى وقت ما ناقصاً. ثم فى مرة أخرى يكون كاملاً، فيكون ناقـصاً قبل صيرورة الابن، ويكون كاملاً حينما صار الابن. وهكذا (على أساس هذا الكلام)، تحـسب الخليقة مع الخالق، والذى لم يكن موجوداً فى وقت ما يحسب مساوياً مع الله الذى هـو كـائن على الدوام، ويمجد معه. وما هو أردا من هذا حقاً .أن الثالوث يوجد متماثل مع ذاته. إذ يكون مكوناً من طبائع وجواهر غريبة ومختلفة عن بعضها.

وهذا القول ليس شيئاً آخر سوى أن الثالوث أصله مخلوق. إذن ما كنه هذه العقيدة عـن الله. التى لا تتماثل حتى مع ذاتها بل تسير الى الاكتمال عن طريق الاضـافات. مـع مـرور الأيام، ففى وقت ما لا يكون موجوداً هكذا. وفى وقت آخر يكون موجوداً هكذا.

وهكذا يكون طبيعياً أنه يمكن أن ينال اضافة جديدة، ويستمر (فى نوال الاضافة) بـلا نهاية، كما حدث مرة فى البدء وأتخذ أصله بطريق الاضافة. فلا يكون هنـاك إذن شـك أنـه يمكن أن يحدث فيه تناقص. لأن الأشياء التى تضاف وتزاد. من الواضح، أنها يمكن أيضاً أن تطرح وتنقص.

18- ولكن، حاشا لله، أن يكون الأمر هكذا، فالثالوث ليس مخلوقاً، بل هو أزلـى، بـل يوجد لاهوت واحد فى ثالوث، وهناك مجد واحد للثالوث القدوس. وأنـتم تتجاسـرون علـى تمزيقه إلى طبائع مختلفة. ومع أن الآب أزلى. فانكم، تقولون عن الكلمة الجالس معه أنه "كان هناك وقت ما لم يكن فيه موجوداً. ومع أ، الابن جالس مع الآب، إلا أنكـم أنـتم تريـدون أن تبعدوه عنه. فالثالوث منشئ وخالق. وأنتم لا تتورعون أن تحطوا مـن قـدره إلـى مـستوى المخلوقات التى وجدت من العدم. أنكم لا تخجلون أن تساووا بين الكائنات التـى فـى حالـة

العبودية، وبين رفعة الثالوث، وأن تضعوا الملك رب الصباؤوت فى مرتبة واحدة مع رعاياه، كفوا عن التفكير فى خلط الأشياء التى لا يمكن أن تتحد معاً. أو بالاحرى كفوا عن التفكير فى مزج الأشياء غير الموجودة مع ذلك الذى هو الكائن. ليس ممكناً أن تقولوا هذه الأقوال على زعم أنكم تقدموا مجداً وكرامة للرب، بل العكس، فأنتم تقدمون له عاراً وهواناً، لأن من لا يكرم الابن فأنه لا يكرم الآب أيضاً. فان كان التعليم اللاهوتى كاملاً الآن على أساس فهمه كثالوث، فهذه هى الديانة (العبادة) الحقيقية والوحيدة. وهذا هو الصلاح والحق. وهذا هو الواجب أن يكون هكذا دائماً. إلا إذا كان الصلاح والحق هى أشياء صارت فيما بعد. ويكون كمال اللاهوت يحدث من طريق الاضافة. فمن اللازم، أن يكون هذا التعليم هكذا منذ الأزل. لأنه أن لم يكن أزلياً (كثالوث). فليس من الواجب أن يكون هكذا الآن (ليس من الواجد أن يكون ثالوثاً الآن حسب افتراضهم). ولكن ما هو خلاف ذلك – كما تدعون أنتم أنه هكذا من البدء – فإنه حتى الآن لا يكون ثالوثاً.

ولا يستطيع أحد من المسيحيين أن يحتمل مثل هؤلاء الهراطقة لأنه يناسب الأمميين أن يتحدثوا عن ثالوث مخلوق، ويضعونه فى مساواة مع المخلوقات. إذ من خصائص المخلوقات أنها تقبل النقص والزيادة.

أما إيمان المسيحيين فإنه يعرف الثالوث المبارك على أنه غير قابل للتغير، وأنه كامل. وأنه هو هكذا أزلياً وعلى الدوام. فإيمانهم لم يضف شيئاً أكثر إلى الثالوث، ولم يعتبر أنه كان فى وقت ما. ناقصاً، لأن أياً من هذه الأمرين إنما هو ضلال. ولذلك فإن ايمانهم يعرف الثالوث بصورة نقية ولا يخلطونه مع المخلوقات. مقدماً السجود للثالوث غير المنقسم، وحافظاً له وحدته اللاهوتية وايمانهم على الدوام لأنه أزلى كالآب الذى هو كلمته الأزلى أيضاً.

لذا فلنفحص هذا الأمر مرة ثانية الآن.

19- ان كان يقال عن الله أنه ينبوع حكمة وحياة، كما جاء فى سفر أرميا، "تركونى أنا ينبوع المياه الحية"[(47)] وأيضاً "أن عرش المجد ذو المكانة الرفيعة هو موضع مقدسنا، أيها الرب رجاء أسرائيل كل الذين يتركونك يخزون. والمتمردون عليك فى تراب الأرض يكتبون لأنهم تركوا الرب ينبوع الحياة"[(48)] وقد كتب فى باروخ، "أنكم قد هجرتم ينبوع الحكمة"[(49)]. وهذا يتضمن أن الحياة والحكمة لم يكونا غريبين عن جوهر الينبوع، بل هما خاصة له. ولم يكونا أبداً غير موجودين. بل كانا دائماً موجودين. والآن فان الابن هو كل هذه الأشياء. وهو

الذى يقول "انا هو الحياة"[(50)](#). وأيضاً "أنا الحكمة ساكن الفطنة"[(51)](#). كيف اذن لا يكون كافراً من يقول "كان وقت ما عندما لم يكن الابن فيه موجوداً؟ لأن هذا مثل الذى يقول تماماً "كان هناك وقت كان فيه الينبوع جافاً خالياً من الحياة ومن الحكمة". ولكن مثل هذا الينبوع لا يكون ينبوعاً. لأن الذى لا يلد من ذاته لا يكون ينبوعاً. يا لكثرة السخافات التى فى هذا القول لأن الله يعد الذين يصنعون مشيئته أنهم سيكونون كينبوع لا تنضب مياهه اطلاقاً، كما يقول أشعياء النبى "وسيشبعك (الرب) كما تشتهى نفسك، وتتشدد عظامك، وتكون كحديقة مروية جيداً، وكينبوع مياه لا تنضب مياهه"[(52)](#) فبينما أن الذى يقال عنه، والذى هو فى الحقيقة ينبوع الحكمة، يتجاسر هؤلاء ويجدفون عليه قائلين أنه عقيم ومجدب من حكمته الذاتية. إلا أن أقوالهم هذه الصادرة عنهم، إنما أقوال زائفة، أما الحقيقة فتشهد بأن الله هو الينبوع الأزلى لحكمته الذاتية، ولما كان الينبوع أزلياً. فبالضرورة يجب أن تكون الحكمة أزلية أيضاً، لأنه من خلال هذه الحكمة خلقت كل الأشياء، كما يرتل (يزمر) داود فى المزامير "كلها (أى الأعمال) بحكمة صنعت"[(53)](#) ويقول سليمان "أسس الله الأرض بالحكمة وبالفهم هيأ السموات"[(54)](#).

ونفس هذه الحكمة هى الكلمة، "وبه" كما يقول يوحنا "خلقت كل الأشياء. وبغيره لم يخلق شئ واحد"[(55)](#).

وهذا الكلمة هو المسيح، لأنه يوجد "إله واحد الآب الذى منه جميع الأشياء ونحن له، ورب واحد يسوع المسيح. الذى به جميع الأشياء ونحن به"[(56)](#). فان كانت كل الأشياء قد خلقت به. فهو لا يمكن أن يكون بين جميع هذه الاشياء. فالذى يتجاسر أن يقول عن (ذلك) "الذى به خلقت جميع الأشياء". أنه واحد من بين جميع هذه الأشياء. فبالتأكيد أنه يفكر نفس هذه الأفكار عن الله نفسه "الذى منه جميع الأشياء" وان كان أحد يتحاشى هذا القول كأمر شنيع. ويستبعد الله عن جميع الأشياء حاسباً إياه. آخر، فإنه يواصل نفس القول أيضاً بأن "الابن" الوحيد الجنس الذاتى من جوهر "الآب". هو آخر مختلف عن جميع الأشياء.

ولكونه ليس واحداً من بين الجميع. فليس من الصواب أن نقول عنه "كان وقت ما لم يكن فيه موجوداً"، و "لم يكن موجوداً قبل أن يولد". لأن مثل هذه الأدعاءات تليف أن تقال عن المخلوقات أما "الابن" نفسه فمثله مثل "الآب". وهذا الابن هو مولود الآب الذاتى من جوهره. وهو "كلمته" الذاتى وهو "حكمته" الذاتية. وهذه هى علاقة "الابن" الذاتية نحو "الآب" وهذا عينه

يدل على أن "الآب" هو "أب "الابن". لكى لا يقول أحد عن الله أنه كان "بــدون كلمــة: (غيــر عاقل) فى وقت ما. ولا يقول عن "الابن" أنه لم يكن له وجود فى وقت ما. لأنه مــاذا يكــون "الابن" بالنسبة لله أن لم يكن منه؟. أو ماذا يكون "الكلمة" و"الحكمة" أن لم يكونا من ذاته علــى الدوام..؟

20- متى إذن، كان الله موجوداً بدون ما هو خاص به ذاتياً؟ أو كيف يظن أحد أن مــا هو خاص به ذاتياً إنما هو غريب ومن جوهر مختلف؟. لأن الأشياء الأخرى كمخلوقات لــيس لها مشابهة قط مع الخالق حسب الجوهر. بل هى من خارجة. قد خلقــت بنعمتــه ومــشيئته بالكلمة ولأجل الكلمة. ولذلك فإنها يمكن أيضاً أن تتوقف (عن الوجــود) يومــاً مــا. أن أراد الخالق ذلك. لأن هذه هى الطبيعة الخاصة بالمخلوقات.

أما ما هو من ذات جوهر الآب (وهذا هو الذى سبق أن اعترفنا به أنــه هــو الابــن). فكيف لا يكون من الجسارة والكفر أن يقول أحد عنه أنه جاء من عدم. وأنه "لم يكن موجــوداً قبل أن يولد" بل أضيف عرضاً. ويمكن ألا يكون موجوداً فى وقت ما فى المستقبل؟.

فالشخص الذى يفكر بإمعان فى هذا الأمر، فإنه سيميز أنه يحدث أنقاص لكمال ومــلء جوهر الآب، وهو سيرى أيضاً بوضوح أكثر شفاعة وعدم معقولية هذه الهرطقة، إذا فكر بأن الابن هو صورة وبهاء الآب، وهو شكله (المعبر عنه) وهو حقيقته.

لأنه بما أن النور موجود هكذا صورته أيضاً. أى بهاؤه وكيانه الحقيقــى وهــو رســمه الذى يعبر عن تعبيراً كاملاً.

وأيضاً بما أن الآب كائن هكذا تكون حقيقته (أى الابن)، فأولئك الذين يقيــسون صــورة اللاهوت وهيئته بمقياس الزمن فليعتبروا مدى هوة الضلال التى ينحدرون إليها.

لأنه أن لم يكن الابن موجوداً قبل أن يولد، فلا يكون الحق موجوداً فى الله دائماً. وليس من الصواب أن نقول مثل هذا القول لأنه بما أن الآب كائن فالحق موجود فيه دائماً. الذى هو الابن الذى قال "أنا هو الحق"[(57)]. والكيان الموجود يجب أن يكون فى نفس الوقت هو الــشكل المعبر والصورة. لأن صورة الله ليست مرسومة من الخارج. بل أن الله نفسه هــو والــدها. والتى فيها ينظر هو ذاته ويبتهج بسببها. كما يقول الابن نفسه "كنت أنا بهجته"[(58)].

فمتى إذن، لم يكن الآب يرى نفسه فى صورته؟ أو متى لم يكن يبتهج، حتى يتجاسر أحد ويقول أن "الصورة هى من عدم". و"لم يكن الآب مبتهجاً قبل أن تخلق الصورة"؟ وكيف يستطيع الخالق والصانع أن يرى نفسه فى جوهر مخلوق وصائر؟ فمثلما يكون الآب هكذا يجب أن تكون صورته.

21- هلم بنا إذن لنرى خصائص الآب بتدقيق لكى ندرك أن الصورة هى صورته الذاتية.

فالآب هو أزلى، غير مائت، قدير، نور، ملك، ضابط الكل، إله، رب، خالق، وصانع.

فإن لم تكن هذه الخصائص موجودة (فى الصورة).- كما يظن الآريوسيون – أن الابن مخلوق وليس أزلياً (ففى هذه الحالة لن تكون هذه هى صورة الآب الحقيقية، ولن يكون أمامهم سوى أنهم يرفعون برقع الحياء، ويقولون، أن كلمة الصورة التى تطلق على الابن ليست علامة مميزة لجوهر مماثل، إنما هى فقط مجرد اسم له.

ولكن، مرة أخرى، فان هذا، يا أعداء المسيح، ليس بصورة وليس رسما، لأنه أى شبه بين المخلوقات التى هى من عدم وبين ذلك الذى أحضر الأشياء من العدم الى الوجود.

لأنه كيف يمكن أن يكون ما هو غير كائن، شبيهاً بذاك الذى هو الكائن حقيقة، إذ أنه كان فى وقت ما ناقصاً عنه لكونه لم يكن موجوداً، ولأنه كان له مكان داخل نظام الأشياء المخلوقة؟

لأن الآريوسيين، وهم يرغبون أن يكون الابن هكذا، يستحسنون تعليلات ابتكروها لأنفسهم قائلين: "أن كان الابن هو مولود الآب وصورته، وأنه شبيه بالآب فى كل شئ. يلزم أنه كما ان الابن قد ولد (بضم الواو وكسر اللام) منه. هكذا لابد أن يلد هو أيضاً، ويصير هو أيضاً أباً لابن.

وايضاً فان الذى يولد (من الابن) يلزم أن يلد هو أيضاً وهكذا إلى ما لا نهاية، فهذا هو ما يشعر أن المولود شبيه بالذى ولده.

حقاً أن أعداء الله هؤلاء، إنما يخترعون تشنيعات وافتراءات إذ انهم لكى لا يعترفوا بأن الابن هو صورة الآب، فإنهم يتصورون صفات جسدية وأرضية فيما يخص الآب ذاته، ناسبين إليه التقسيمات والتوالد، والحمل. إذن فإن كان الله مثل الانسان، فإنه يكون والداً كالانسان، لكى يكون الابن أيضاً والداً لابن أخر، وهكذا على التوالى وهكذا يصير الواحد من الآخر – حتى يزداد عدد الآلهة بالتعاقب، كما يظنون.

فلو أن الله ليس مثل الانسان (وهو فى الحقيقة ليس مثله). فإنه لا ينبغى أن تطبق الخصائص الانسانية عليه (على الله).

لأن الحيوانات غير الناطقة، وكذلك البشر، إنما يتوالدون على التوالى الواحد من الآخر، منذ بدء الخليقة، والمولود الذى ولد من أب، هذا الأب هو ولد (من أب) ومن الطبيعى أن يصير هذا المولود أيضاً والداً لغيره، متخذاً خاصية الولادة فى داخله من أبيه، تلك الخاصية التى تكون هو نفسه بها. ولهذا من الممكن أن يطلق على مثل هؤلاء الناس اسم أب أو اسم ابن بالصفة الخصوصية. إذ لا يكمن فيهم اطلاقاً ما هو خاص "بالاب" (أى صفة الأبوة). وما هو خاص "بالابن" (أى صفة البنوة). لأنه (أى الابن) هو نفسه ابن لوالده. وفى نفس الوقت هو أب للمولود منه.

ولكن الأمر ليس كذلك فيما يخص الألوهية لأن الله ليس مثل الإنسان، لأن الآب هو ليس من أب، ولذلك فهو لا يلد آخر يصير أباً فيما بعد. والابن أيضاً لا يخرج من الآب بالتوالد. وهو (أى الأبن) ليس مولوداً من أب سبق له أن ولد (بضم الواو وكسر اللام) لذلك فهو (أى الابن) لم يولد لكى يلد.

لذلك ففيما يخص اللاهوت وحده، فان الآب هو اب بصفة مطلقة، والأبن هو ابن بصفة مطلقة، وفى هذين وحدهما، وحدهما فقط، يظل: الآب أب دائماً، والابن ابن دائماً.

الفصل السابع:

اعتراضات الأريوسيين والرد عليها

22- إذن فالذى يبحث متسائلاً، لماذا لا يكون الابن والداً لابن؟. فليبحث أولاً، لماذا لـم يكن للآب والد. ولكن كلا هذين الأمرين بعيد عن الصواب. وملئ بكل أنواع الكفر والجحود. لأنه كما أن الآب هو دائماً أب، وأنه لا يستطيع أن يصير أبناً فى يوم من الأيام. هكذا بـنفس الطريقة، فان الابن هو دائماً ابن. ولن يصبح أباً فى يوم من الأيام. لأنه فـى هـذا بـالأحرى يثبت ويتضح أن رسم الآب وصورته. ويظل باقياً كما هو بدون تغيير، لكنه قد حـصل علـى ذاتيته من الآب ومماثلته له.

أما أن كان الآب يتغير، فان الصورة أيضاً ستتغير فى هذه الحالة. فأنـه هكـذا تظـل الصورة والبهاء ثابتة تجاه ذاك الذى ولدها.

فان كان الآب غير متغير ويبقى هكذا دائماً كما هو، فمن الضرورى أيـضاً أن تبقـى صورته كما هى ولن تتغير.

إذن فالابن هو ابن من الآب، ولذلك فهو لن يصير شيئاً أخر سوى ذاك الذى هـو مـن جوهر الآب الذاتى.

إذن فمن العبث أن يخترع الحمقى هذا (الاعتراض) أيضاً. وهم الذين يرغبون فى فصل وأبعاد الصورة عن الآب، لكى يساووا الابن بالمخلوقات.

وبناء على ذلك، فان مشايعى أريوس – وضعوا الابن بين مصاف المخلوقات – بحسب تعليم أوسابيوس –[59] معتبرين كأنه مثل الاشياء التى خلقت بواسطته. وبذلك فـانهم ابتعـدوا عن الحقيقة.

وهم فى بداية اختراعهم لهذه الهرطقة، كانوا يجولون معبأين بكليمات خـداع مـاكرة، جمعوها معاً، بل وهم إلى الآن، عندما يلتقى بعضهم مع الصبية، ويسألونهم، ليس من الكتـب

المقدسة طبعاً، بل من "فضلة قلوبهم" يتقيأون قائلين: "من هو ذاك الذى خلقه الكائن من الكائن هل هو ذلك الغير كائن أم هو الكائن؟.

"فهل إذن قد خلقه (الابن) وهو كائن أم وهو غير كائن؟. "وهل يوجد واحد فقط غير مخلوق أم اثنان غير خلوقين؟".

"وهل هو ذو أرادة حرة، ولا يتغير بأختياره الذاتى، رغم أنه من طبيعة متغيرة؟. لأنه ليس كالحجر يظل ثابتاً بلا حركة من ذاته، ثم يتقدمون بعد ذلك الى النسوة الغريرات، ويخاطبوهن أيضاً، بكليمات مخنثة قائلين: "هل كان لك ولد قبل أن تلديه"؟ فكما أنه لم يكن لك ولد هكذا أيضاً ابن الله لم يكن موجوداً قبل أن يولد" وهكذا فان عديمى الشرف يتلاعبون بمثل هذه الأقوال وهم يسخرون مشبهين الله بالناس، زاعمين أنهم مسيحيون ويبدلون مجد الله "بشبه صور الانسان الذى يفنى"[(60)].

23- ومثل هذه الأقوال المفرطة فى الغباء والحماقة كان يجب ألا يرد أحد عليها، إلا أنه، لكى لا تبدو هرطقتهم وكأنها أمر أكيد، فإنه يكون من الواجب أن نفندها، خاصة من أجل النساء الغريرات اللاتى أنخدعن منهم بسهولة.

وما داموا يقولون هذه الأقوال، فينبغى عليهم أن يسألوا المهندس أيضاً هكذا "هل تستطيع أن تبنى بدون استخدام المواد الضرورية؟" فكما أنك أنت لا تستطيع فهكذا الله أيضاً لم يكن ليستطيع أن يخلق كل شئ بدون استخدام المواد الضرورية.

أو كان من الواجب أن يسألوا كل إنسان "هل يمكنك أن تكون موجوداً بغير مكان؟ فكما أنك لا تستطيع هكذا فان الله أيضاً يوجد فى كل مكان". ليتهم يواجهون السامعين، وعندئذ سيخجلون منهم.

أو فلماذا عندما يسمعون أن لله ابناً، ينكرون هذا الأمر، مفسرين هذا الإنكار بما يحدث بينهم؟

فى حين أنهم أن سمعوا أن الله يخلق ويصنع، لا يعودوا يعارضون ذلك بالأمور البشرية؟ وكان يجب عليهم فى حالة الخلق أيضاً أن يفهموه بحسب ما يحدث بين البشر، وأن

يزودوا الله مقدماً بالمادة اللازمة، وبذلك فإنهم ينكرون أن الله هو الخالق، وتبعاً لـذلك فـأنهم يصلون إلى التمرغ فى الوحل مع المانويين.

فإن كانت الفكرة عن الله تسمو فوق هذه الأفكار فإن من يسمعها يؤمن ويعـرف أن الله موجود ليس كما نوجد نحن، ب أنه موجود كإله، وأنهن يخلق لا كما يخلق الناس، بـل هـو يخلق كإله. ومن هذا يتضح أنه يلد ليس كما يلد الناس، بل هو يلـد كإلـه. لأن الله لا يقتـدى بالبشر، بل الأحرى البشر (هم الذين يقتدون بالله) لأن الله – على وجه الخصوص – هو وحده حقاً الآب لابنه الذاتى، أما الآباء (البشريون) فقد دعوا كذلك آباء لأولادهم، من الله "الذى منـه تسمى كل أبوة فى السموات وعلى الأرض"[(61)] وأن كان ما يقولونه يبقـى بـدون تحقيـق أو مراجعة، فإنه سيظنون أن كلامهم معقول، وأما عند مراجعة كلامهم بفهـم واع، فـسنجد أن كلامهم هذا يستدعى الضحك والسخرية الشديدة.

24– أول كل شئ. فان أول سؤال من أسئلتهم هذه، يعتبر لا معنى له بل هو غـامض، لأنهم لا يوضحون، من هو الذى يسألون عنه، حتى يجيب عليه من وجه إليه الـسؤال. فهـم يقولون بسذاجة "الكائن، هو ذلك الذى لا يكون موجوداً".

إذن، فمن هو الكائن، وما هى الأشياء غير الكائنة أيها الآريوسيون؟. أو من هو "الكائن" ومن هو "غير الكائن"؟ ومن الذى يقال عنه "كائن" أو "غير كائن"؟ إذ أنه فى وسع ذلك الـذى هو الكائن أن يصنع الأشياء غير الكائنة، والأشياء الكائنة، والأشياء التى كانت من قبل.

إذن فالنجار والصائغ والفخارى، كل منهم بحسب فنه الخاص، يشكل المادة الموجـودة قبلاً، صانعاً منها الشكل الذى يريده.

والله ذاته، إله الكل، إذ قد أخذ من تراب الأرض الذى كان موجوداً، جعل منه الانـسان فى الحال، وهذه الأرض نفسها التى خلق منها الانسان لم تكن موجودة من قبل، ومن ثم أتـى هو بها الى الوجود بواسطة كلمته الذاتى.

فإن كانوا يتساءلون هكذا عن الأمور، فإنه يتضح أن الخليقة لم تكن موجـودة قبـل أن تخلق، فى حين أن البشر (أى النجار والصائغ والفخارى)، يشكلون المـادة الموجـودة قـبلاً، وهكذا يظهر كلامهم مفككاً غير مترابط. ولذا فإن كلاً من الكائنات وغير الكائنـات يمكـن أن تخلق كما سبق أن قلنا.

ولكن إن كانوا يتحدثون عن الله وعن كلمته، فليضيفوا على سؤالهم ما ينقصه، ودعهم يسألون هكذا. "هل كان الله، الذى هو كائن، موجوداً فى وقت ما، بدون كلمة؟" وكونه هو نور، فهل كان بلا ضياء (هل كان مظلماً)؟ أم أنه كان هو دائماً أبا الكلمة؟.

أو بمعنى آخر: "هل خلق الآب الذى هو كائن الكلمة غير الكائن، أم أن الكلمة الذى هو مولود فى جوهره الذاتى، كان دائماً موجوداً عنده فى داخله؟.

وهذه الأسئلة تجعلهم يعرفون أنهم إنما يتجاسرون ويقحمون أنفسهم فى اختراعات ومغالطات عن الله وعن ذلك الذى هو منه. فمن يستطيع أن يحتمل سماعهم وهم يقولون أن الله كان فى وقت ما بدون كلمة.؟ لأنهم يسقطون ثانية ويهوون فيما هم عليه من ضلالات سابقة، بالرغم من محاولاتهم للتهرب من هذه واخفائه بمغالطاتهم ودهائهم المضلل، ولكنهم لم ينجحوا فى ذلك.

فلا يرغب أحد إطلاقاً أن يسمعهم وهم يشككون قائلين أن الله لم يكن أباً دائماً، بل صار أباً فيما بعد، لكى يتخيلوا أن كلمته أيضاً، لم يكن موجوداً فى وقت ما.

إذ أنه توجد براهين كثيرة سبق ذكرها، تدحض وتكذب أقوالهم. فها هو يوحنا يقول "كان الكلمة"[(62)] وهذا بولس يكتب أيضاً "الذى هو بهاء مجده"[(63)] وأيضاً "الكائن فوق الكل الهاً مباركاً إلى الأبد. آمين"[(64)].

25- كان من الأفضل لهم أن يهدأوا ويصمتوا، ولكن بما أنهم لا يصمتون، فلا يتبقى إلا أن يقوم أحد بالرد بجرأة على سؤالهم الوقح. فربما عندما يرون أنفسهم وهم مقيدون بنفس هذه السخافات والضلالات، فقد يتوقفون عن الصراع ضد الحق.

وأننا ندعو الله بشدة أن يترآف علينا، ويأتى لمعونتنا لكى نتمكن من الرد عليهم عندما يتساءلون ويقولون: "هل الله الكائن قد صار إلى الوجود فى حين أنه لم يكن موجوداً؟ أم أنه كان موجوداً قبل أن يصير إلى الوجود؟ فإن كان هو كائن، فهل هو صنع نفسه أم أنه جاء من العدم وأظهر نفسه بغتة؟". أن مثل هذا التساؤل لهو سخيف ومناف للعقل، بل أكثر من ذلك فهو ليس منافياً للعقل فقط بل هو ملئ بالتجديف أيضاً، إلا أنه فى الواقع لا يختلف عما هو عندهم. لأن أقوالهم الأخرى (أى جوابهم على السؤال) مليئة بكل أنواع الكفر وعدم التقوى. لأنه إن كان أحد يتساءل عن الله بهذا الأسلوب، فيعتبر هذا تجديفاً وكفراً شنيعاً، فإنه يعتبر

أيضاً تجديفاً أن يسألى أحد نفس هذه الأسئلة عن كلمته. فلأجل دحض مثل تساؤلهم الأحمق وغير المعقول هذا، فمن الضرورى إذن أن نجيب هكذا: أن الله كائن وهو كائن منذ الأزل، وحيث أن الآب كائن دائماً، فإن بهاءه أيضاً الذى هو كلمته، هو أزلى كذلك. وأيضاً فإن الله الكائن، عنده الكلمة من ذاته وهو أيضاً كائن.

فلا الكلمة أتى الى الوجود فيما بعد، أى بعد أن لم يكن موجوداً من قبل، ولا الآب كان فى وقت ما بدون كلمة. لأن التجاسر المتهور على الأبن يؤدى إلى التجديف على الآب، كما لو كان قد ابتدع لنفسه من خارجه حكمة وكلمة وأبناً. لأنك أن استخدمت واحدة من هذه ا(الأوصاف الثلاثة)، فإنما هى تعنى المولود من الآب كما سبق أن قيل.

ولذلك فإن سؤالهم هذا يعتبر متناقضاً، ولأنهم ينكرون الكلمة (مصدر العقل)، فمن الطبيعى أن يكون سؤالهم مناقضاً للعقل والمنطق.

وكما أنه عندما يرى أحدهم الشمس، فيأخذ فى التساؤل عن بهائها ويقول: "هل ما هو كائن (الشمس)، قد صنع ما هو غير موجود أم ما هو موجود" فمثل هذا الشخص الذى يسأل هكذا يعتبر أنه لا يفكر تفكيراً سليماً، بل يعتبر خرقاً فاقد اللب، لأنه يتصور أن ما هو صادر بكليته عن النور، أنه من خارج النور، ويتساءل عنه قائلاً متى؟ وأين؟ وعندما؟. فإن كانت (الشمس) قد صنعت، فأنه يتصور مثل هذه الأشياء عن الابن وعن الآب، ويأخذ فى التساؤل عنهما بنفس الطريقة ولكن تساؤله يكو بجنون أعظم بكثير، متصوراً أن الآب جلب إليه الكلمة من خارج ذاته، ويقول عن الذى هو بطبيعته مولود، أنه مخلوق، وهو يجادل بذهن مبلبل قائلاً "أنه لم يكن موجوداً قبل أن يولد" فليسمعوا الجواب على سؤالهم، فإن الآب الكائن قد صنع الابن الكائن، لأن "الكلمة صار جسداً" (يو14:1). وبينما هو ابن الله فقد جعله ابن الانسان ايضاً عند انقضاء الدهور، إلا إذا قالوا حسب تعليم الساموساطى[(65)]، أنه لم يكن موجوداً قبل أ، يصير انساناً. ويكفيهم هذا رداً منا على سؤالهم الأول.

26- يا معشر الأريوسيين، وأنتم تذكرون نفس أقوالكم، خبرونا: "هل الذى هو كائن، أم الى من هو كائن، لأجل خلقة كل الأشياء؟" لأنكم قلتم أنه صاغ لنفسه الابن كأداة لكى يخلق بواسطته كل الأشياء.

أيهما أفضل، أذن هل الذى يحتاج أم الذى يسد الاحتياج؟.

أم أن لكلاً منهما يستكمل احتياج الواحد للآخر؟ لأنه بقولكم مثل هذا الكلام فانكم تثبتون ضعف الخالق، ان كان لا يقوى وحده على أن يخلق كل الأشياء بل يبتكـر لنفسه أداة من الخارج، كما لو أن نجاراً أو صانع سفينة لا يستطيع أن يعمل أى شئ بدون مطرقة أو منشار.

هل هناك، إذن، ما هو أكثر كفراً من هذا؟ أو ما الذى يدعو عموماً للانشغال بمثل هذه الأمور المخيفة، إذا كان ما سبق أن قيل يكفى لاثبات أن اقوالهم ما هى إلا محض وهم وخيال.

الفصل الثامن:

الاعتراضات والرد عليها (بقية)

وأما من جهة تساؤلهم الآخر الشديد فى سخافته وحماقته وهو التساؤل الذى وجهوه الى النسوة الغريرات. وحتى بخصوص هذا التساؤل، فلم يكن ينبغى أن يجاب عليه من أحد بما سبق أن قلناه فقط. فإنه لا يجب مقارنة الولادة التى من الله بالولادة فى طبيعة البشر.

ولكن جدير بنا أن نرد عليهم بهذا الأسلوب. لكى يدينوا أنفسهم بخصوص هذا الأمر: ولذلك نقول: أنه من المؤكد، لو أنهم سألوا الوالدين عن أبنهم، دعهم يفكرون من أين جاء الطفل المولود. لأنه إن لم يكن للوالد ولد قبل أن ينجبه، فإنه حتى بعد الحصول عليه لم يكن حصوله عليه طبعاً من خارجه ولا غريباً عنه بل هو من ذات جوهره ومطابق لصورته، حتى أن هذا (الأب) يرى (بضم الياء) فى ذاك (الولد) وذاك (الولد) يرى (بضم الياء) فى هذا (الاب).

فإن كانوا ينتقون عنصر الزمن منالأمثلة البشرية عن الولادة فلما لا يأخذون بالمثل من هذه الأمثلة البشرية، إن الأبناء يولدون بحسب طبيعة آبائهم ومن ذاتهم، بدلاً من أن يعملوا (أى الآريوسيين) كالحيات التى تنتقى من الأرض فقط، ما يلائم أن يصيرسماً.

فكان إذن من الواجب، أنهم حينما يتباحثون مع الوالدين قائلين لهم: "هل كان لك ولد قبل أن تنجبه؟" كان ينبغى أن يضيفوا ويقولوا: "أن كنت قد حصلت على ولد، فهل أنت اشتريته من الخارج كما تشترى بيتاً أو أى ممتلكات أخرى؟" وحينئذ فإنهم يجيبونك قائلين "أنه ليس من

خارجى، بل هو من ذاتى، لأن الممتلكات هى من خارج وتنتقل من واحد إلى أخر، أما الابــن فهو منى من ذات جوهرى ومطابق له، حيث أنه لم يأت إلى من آخر، بل هو قد ولــد منـــى، ولهذا السبب فانى بكل كيانى موجود فيه. بينما أظل أنا نفسى كما أنا".

لأن هذا هو واقع الحال، حتى أن اختلف الوالد (عن الله الآب) من ناحية الــزمن. لأنـــه كإنسان قد أتى الوجود فىالزمن، ولكنه هو أيضاً كان يمكن أن يكون عنده ابنه موجود معـــه دائماً. لو لم تمنعه طبيعته من ذلك، أى لو كانت القدرة الإنجابية لا تعرف عن ذلك.

حقاً أن لاوى كان لا يزال فى صلب جده الأكبر (إبراهيم) (أنظر عــب5:7 –10) قبــل أن يولد هو. وقبل أن يولد جده (اسحق). إذن حينما يبلغ الإنسان هذه الــسن الملائمـــة. التـــى تمكنه فيها الطبيعة من الإنجاب، فإن المرء يصير حالاً. أبا لأبن يولد منه. ما دامت الطبيعة لا تعوقه.

27– ولذلك إن كانوا عندما يسألون الوالدين عن الأولاد. ويعرفون مـــنهم بـــأن الأولاد الذين بالطبيعة ليسوا من خارج، بل هم من والديهم. دعهم إذن يعترفونأيضاً بخصوص كلمـــة الله بأنه من الآب كلية.

وعندما يجادلون بخصوص الزمن، دعهم يقولون ما الذى يمنع الله من أن يكون هو أبو الابن على الدوام – دعهم يقولون ما الذى يمنعه من ذلك (لأنه ينبغى البرهنة على أنهم كافرين ما يسألون عنه وهم ساخرون). لأنه قد تم الاقرار والاعتراف بأن كل ما هو مولود إنما يـــأتى من أب.

إذن فهم مثلما سألوا النساء عن الأزمنة، دعهم أيضاً يسألون عن الــشمس بخـــصوص اشعاعها. وعن الينبوع بخصوص الماء الذى يتدفق منه. وذلك لكى يحكموا كلية على أنفسهم، عندما يفكرون شيئاً من هذا القبيل عن الله. وذلك حتى يتعلموا أنه بالرغم مـــن أن كـــل هـــذه الأشياء مولودة. إلا أنها كائنة دائماً مع تلك الأشياء التى خرجت منها.

فإن كان مثل هؤلاء الوالدين لهم مع أبنائهم، قرابة بالطبيعة، وأيضاً "وجود دائم" معهـــم، فإذا كانوا يظنون أن الله أقل من المخلوقات. فلماذا لا يصرحون بكفرهم علانيـــة؟ ولكـــن إن كانوا لا يتجاسرون أن يقولوا هذا علانية. بينما أن الابن يعترف به بأنـــه لـــيس مـــن خـــارج (الآب). بل هو مولود بالطبيعى من الآب. وأنه لا يوجد أى شئ يعوق الله (لأن الله ليس مثـــل

الإنسان، بل هو أعظم من الشمس، بل بالحرى فإنه إله الشمس). فيتضح من ذلك أن الكلمة هو من الآب وأ،ه موجود معه دائماً. والذى بواسطته قد أبرز الآب إلى الوجود كل الأشياء التى لم تكن موجودة من قبل. ولأن الابن إذن لم يأت من العدم بل هو أزلى ومن الآب، فإن هذا يثبت الأمر نفسه.

أما سؤال الهراطقة الموجه للوالدين. فإنه يكشف خبثهم وسوء نيتهم. فأنهم عرفوا ما هو بحسب الطبيعة، والآن قد تم فضحهم بخصوص موضوع الزمن.

28- إن ولادة الله لا يجب أن تقارن بطبيعة البشر، وكذلك لا يجب إعتبار ابن (الله) جزءاً من الله، أو إعتبار أن الولادة تعنى أى ألم شهوة على الاطلاق. وإذ نحن نكتفى بما سبق لنا قوله، فإننا الآن نعيد نفس الكلام وهو أن وجود الله ليس كوجود الإنسان.

فإن البشر يلدون بالشهوة، حيث أن لهم طبيعة متغيرة، وهم ينتظرون إلى الوقت (للولادة)، نظراً لضعف طبيعتهم ذاتها، ولكن لا يمكن أن نقول هذا الكلام بالنسبة لله. لأن الله غير مركب من أجزاء، بل بسبب كونه بلا هوى أو شهوة. كما أنه بسيط غير مركب. لذلك فهو أبو الابن دون حدوث تغيير فيه ودون انفصال. وهذا الأمر يوجد بشأنه دليل وبرهان قاطع من الكتب الإلهية.

لأن كلمة الله هو ابنه. والابن هو كلمة الآب وحكمته، فإن الكلمة والحكمة ليس مخلوقاً. وليس هو جزءاً من ذلك الذى له كلمته (أى الآب). ولا هو مولود بالألم والشهوة. فكلا (اللقبان) وحدهما (بتشديد الدال) الكتاب وأعطاهما لقب "ابن" بصورة مؤكدة، لكى يبشر به أنه المولود الطبيعى والحقيقى للجوهر، وذلك حتى لا يظن أحد أن المولود هو بشرى. بينما هو (الكتاب) يقصد جوهره. ولهذا يقول الكتاب أيضاً أنه الكلمة والحكمة والبهاء. وذلك لكى ندرك من هذا أن الولادة بلا ألم أو شهوة، وأنها أزلية ولائقة بالله. إذن فأى تغيير أو شهوة هناك. أو أى جزء من الآب أيضاً يجب أن يسألوا الرجال عن الكلمة. وذلك لكى يعرفوا أن القول الذى ينطقون به ليس تغييراً لهم. ولا هو جزءاً من عقلهم. فإن كانت أيضاً يجب أن يسألوه الرجال عن الكلمة. وذلك لكى يعرفوا أن القول ينطقون به ليس تغييراً لهم. ولا هو جزءاً من عقلهم. فإن كانت كلمة البشر بمثل هذه الكيفية. رغم أنهم يخضعون للتغيير والشهوة. ورغم كونهم متجزئين، فلماذا يفكرون فى التغيير والإنقسام بالنسبة لله غير الجسدى وغير المنقسم. لكى عن طريق التظاهر بتوقير الله، ينكرون ولادة الابن الحقيقية والطبيعية؟.

إن المولود الذى هو من الله ليس شهوة أو تغييراً. ويكفى ما سبق لإثبات هذا. خاصة وقد تم الآن إثبات أن الكلمة ليس مولوداً بحسب الألم والشهوة. فليسمعوا أيضاً نفس الكلام عن الحكمة. فإن الله ليس مثل الإنسان، ولا يتخيلوا عنه شيئاً بشرياً. لأن البشر خلقوا لتقبل الحكمة، أما الله، فهو لا يشترك فى شئ، بل هو نفسه أب لحكمته الخاصة، التى يلقب المشتركون فيها عادة بلقب حكماء. والحكمة نفسها أيضاً ليست شهوة أو تغييراً. وهى ليست جزءاً ولكنها المولود الذاتى للآب. لذلك فهو دائماً أب. وخاصية الآب ليست خاصية أضيفت لله فيما بعد. وذلك لكى لا يعتبر أنه خاضع للتحول، لأنه إن كان من الصلاح أن يكون الله أباً. ولكنه لم يكن دائماً أباً إذن. فواعجبى إلا يكون الصلاح موجوداً فى الله دائماً!.

29- أنهم يقولون "ها هو الله كان على الدوام خالقاً، وأن قدرته على الخلق ليست إضافية بالنسبة له، فهل إذن لأن الله خالق، تكون مخلوقاته أزلية، وهل يكون من الصواب أن نقول عن هذه المخلوقات أنها كانت موجودة قبل أن توجد؟" يا لجنون الأريوسيين، فأى مشابهة هناك بين الابن والخليقة، حتى يقولوا عن من هو خاص بالآب نفس ما يقولونه عما يخص المخلوقات. وكيف يصر هؤلاء على جهلهم بعد ما تبين مما سبق الفرق العظيم بين المولود والمخلوق. لذلك فمن الضرورى أن نعيد نفس الكلام ونقول أن الخليقة هى من خارج الخالق، كما سبق القول. فى حين أن الابن هو المولود الذاتى من الجوهر. لذلك فليس هناك حاجة لوجود الخليقة دائماً، لأن الخالق يصنعها حينما يشاء، أما المولود فلا يخضع فى وجوده للمشيئة، بل هو خاص بذات الجوهر، فالصانع يلقب صانعاً ويكون كذلك، حتى لو لم تكن له مصنوعات بعد، أما الآب فلا يلقب أباً ولا يكون كذلك ما لم يكن له ابن موجود.

أما إن كانوا يبحثون الأمر بفضول وحب استطلاع قائلين، لماذا لا يخلق الله على الدوام، وهو القادر أن يخلق دائماً، فإن جسارتهم هذه جسارة المجانين، لأن "من عرف فكر الرب، أو من صار له مشيراً" (رو34:11) أو "كيف تقول الجبلة للخزاف، لماذا صنعتنى هكذا؟" (رو20:9) ولكن لكى لا تصمت عن الرد على منطقهم الضعيف هذا، فليسمعوا: أنه بالرغم من أن الله له القدرة على الدوام أن يخلق، إلا أنه ليس فى استطاعة المخلوقات أن تكون أزلية. لأن هذه المخلوقات وُجدت من العدم ولم تكن موجودة قبل أن تخلق. فكيف يمكن إذن لهذه المخلوقات التى لم تكن موجود قبل أن تخلق. أن تكون موجودة مع الله الموجود دائماً؟.

ولذلك فإن الله وهو يهتم بما فيه منفعة الخلائق، فإنه قد خلق كل الأشياء، عندما رأى أن هذه الأشياء يمكنها أن تبقى بعد أن تخلق.

وكما أنه قادراً من البدء. أن يرسل كلمته فى أيام آدم أو فى أيـــام نـــوح، أو فـــى أيـــام موسى. ولكنه لم يرسله إلا فى أخر الدهور، لأنه رأى أن هذا نافع لكل الخليقة، هكـــذا أيـــضاً فإنه خلق المخلوقات عندما أراد، وعندما كان هذا نافعاً لهم.

أما الابن – فلكونه غير مخلوق، بل هو من ذات جوهر الآب، فإنه موجود دائماً.

ولأن الآب موجود دائماً، فلابد أن يكون الذى هو من ذات جوهره، موجود دائماً أيضاً. والذى هو حقاً كلمته وحكمته.

أما الخلائق، وإن لم تكن قد وجدت بعد. فإن هذا لا ينقص من شأن الخـــالق، لأن لـــه القدرة أن يخلق عندما يشاء. أما المولود فإن كان لا يكون موجوداً على الدوام مع الآب، فـــإن هذا ينقص من كمال جوهره. ولأجل هذا فإن المخلوقات قد خلقت عندما شاء هو مـــن خـــلال كلمته. أما الإبن فهو – على الدوام – المولود الذاتى لجوهر الآب.

الفصل التاسع:

عبارة "غير المخلوق"

30- أن أقوالنا هذه تبهج المؤمنين، ولكنها تحزن الهراطقة الذين يرون هرطقتهم وقـــد دحضت وأبطلت، بهذه الأقوال.

وأيضاً فإن سؤالهم ذلك الذى يقولون فيه "هل هناك واحد فقط غير مخلوق ( ) أم أثنان؟" يثبت أن تفكيرهم ليس مستقيماً، بل هو مريب وملئ بالغش والخداع. فإنهم لا يسألون هذا السؤال من أجل أكرام الآب، بل من أجل أهانة الكلمة. فلو أن أحد الناس وهو يجهل خبثهم ودهاءهم أجابهم بأن الغير مخلوق هو واحد، ففى الحال ينفثون سمومهم قائلين: "إذن فالابن ينتمى إلى المخلوقات، وحسناً ما قلناه بأنه لم يكن موجوداً قبل أن يولد، وهكذا فإنهم يخلطون كل الأشياء وبهذا يثيرون الإضطرابات، وذلك لكى يفصلوا الكلمة عن الآب، ويحسبوا الذى هو خالق الكل، أنه من بين مخلوقاته.

أنهم يستحقون الإدان والتنديد بهم، أولاً، لأنهم بينمايلومون الأساقفة الذين اجتمعوا فى نيقية[(66)] بسبب استخدامهم لعبارات ليست من الكتاب المقدس – رغم أنها ليس عبارات مضادة للإيمان بل قد وضعت بهدف فضح كفرهم، فقد وقعوا هم أنفسهم فى نفس الأمر، أى أنهم نطقوا بعبارات ليست من الكتاب المقدس وابتدعوا اهانات ضد الرب، "وهم لا يعرفون ما يقولونه ولا ما يقررونه" (1تيمو7:1).

لذلك فليسألوا إذن، اليونانيين. الذين سبق أن سمعوا منهم ما قالوه (لأنه ليس من الكتب المقدسة بل من اختراعهم) وذلك لكى يسمعوا منهم أيضاً. كم للفظ (غير المخلوق – غير الصائر) من معان عديدة، وعندئذ سيتعلمون أنهم حتى لا يعرفوا أن يسألوا السؤال الصائب، وذلك حتى بخصوص الأشياء التى يتحدثون عنها.

لأنى أنا أيضاً – بسببهم – قد سألت وعرفت، (عبارة)، غير المخلوق" (غير الصائر) يقصد بها ذلك الذى لم يصر له وجود، ولكنه من الممكن أن يصير. وذلك مثل الخشبة التى لم تكن قد صارت سفينة بعد ولكنها من الممكن أن تصير كذلك. وأيضاً فإن "غير المخلوق" (أو غير الصائر). هو ذاك الشئ الذى لم يصر بعد، وليس من الممكن أن يصير أبداً، مثل المثلث الذى لا يمكن أن يصير مربعاً أو العدد الزوجى أن يصير فردياً. ذلك لأن المثلث لم يصر قط مربعاً ولا يمكن أن يكونه أبداً، كما لم يحدث قط أن صار العدد الزوجى فردياً ولا يمكن أن يكونه.

وأيضاً يقصد بكلمة "غير الصائر – (غير المخلوق)" ما هو موجود، دون أن يصير من أحد، وليس له والد بالمرة.

وقد أضاف أيضاً أستيريوس[67]السفسطى الخبيث، وهو المدافع عن هذه الهرطقة في مقالته قائلاً: بأن غير المخلوق – (غير الصائر)، هو الذى لم يخلق (بضم الياء) ولكنه كائن دائماً.

فكان ينبغى إذن حينما يسألون السؤال. أن يضيفوا ما المعنى الذى يفهمون به كلمة "غير المخلوق – (غير الصائر)، حتى أن الذى يسألونه يستطيع أن يجيب الإجابة الصائبة.

31- إن كانوا يحسبون أنهم يسألون السؤال الصائب. بقولهم "هل هناك واحد فقط غير مخلوق (غير صائر) أم اثنان؟" فإنهم أولاً سيسمعون الجواب – بإعتبارهم جهلة –، أن الأشياء غير المخلوقة (غير الصائرة) كثيرة، وليس لها وجود. كما أن الأشياء التى يمكن أن تخلق (أن تصير) هى أكثر جداً. وغير الكائن ليس فى إمكانه أن يصير كما سبق أن قيل.

أما إن كانوا يسألون عن نفس الموضوع، على غرار أستيريوس بأن غير المخلوق (غير الصائر) هو الذى لم يخلق ولكنه كائن دائماً. فليسمعوا لا مرة واحدة بل مرات كثيرة، بأنه من الممكن أيضاً أن يقال عن الابن، أنه غير مخلوق (غير صائر) بحسب هذا المعنى المقبول عندهم، لأنه لا يحسب بين الأشياء المخلوقة، ولا هو مخلوق بل بالعكس فإنه كائن منذ الأزل مع الآب، كما سبق أن أتضح. وذلك رغم تقلباتهم (أى تقلبات الآريوسيين) الكثيرة، والتى ليس لها من هدف سوى أن يتكلموا ضد الرب قائلين "أنه وجد من العدم"، وأنه "لم يكن موجوداً قبل أن يولد".

وهكذا فبعد أن خذلوا من كل ناحية، فإنهم أخذوا يسألون أيضاً بخصوص ذلك المعنى الذى يكون بمقتضاه "غير المخلوق (غير الصائر) هو ذلك الذى يكون موجوداً، بدون أن يكون مولوداً من أحد، وليس له أب خاص به" فأنهم سيسمعون منا أيضاً أن المقصود "بغير المخلوق" (غير الصائر) هو بهذا المعنى واحد فقط وهو الآب ولن يحصلوا على أى شئ أكثر مما سمعوه.

لأن القول بأن الله "غير مخلوق" (غير صائر) بهذا المعنى، لن يبرهن القول بأن الابن مخلوق (صائر). وفقاً للبراهين السابقة. إذ يتضح أن الكلمة هو مثل ذاك الذى ولده. وتبعاً لذلك. فإن كان الله غير مخلوق (غير صائر)، فصورته – أى كلمته وحكمته ليس بمخلوق بل

هو مولود. لأنه أى مشابهة هناك بين المخلوق (الصائر). وغير المخلـوق (غيـر الـصائر)؟ (لأنه ينبغى ألا نكل من تكرار نفس الكلام).

فإن كانوا يريدون أن يجعلوا المخلوق مشابهاً لغير المخلوق فيكون أن من يـرى هـذا كمن يرى ذاك، فليس بعيداً عليهم إذن أن يقولوا. أن غير المخلوق هو صورة خلائقه، وبـذلك تكون كل الأشياء قد اختلطت فى أذهانهم. وبذلك يساوون بين المخلوقـات وغيـر المخلـوق، وهذا يعتبر إلغاء لغير المخلوق وقياسه بقياس المخلوقات. وكل هذا إنما يفعلونـه فقـط لكـى يحطوا من قدر الإبن ويحسبونه فى عداد المخلوقات.

32- ولكنى أظن أنهم لا يرغبون أن يستمروا مداومين على مثل هذه الأقوال، إن كانوا قاً يشايعون أستيريوس السوفسطائى. فإنه رغم أهتمامه بالدفاع عن الهرطقة الأريوسية بقولـه أن غير المخلوق (غير الصائر) هو واحد، فإنه يناقضها مؤكداً أن حكمة الله أيضاً غير مخلوق وليس له بداية وهاك بعض المقاطع مما كتبه: "لم يقل المغبوط بولس أنه كرز بالمسيح علـى أنه القوة التى لله والحكمة التى لله[(68)] ولكنه بدون استعمال أداة تعريف قال، قـوة الله وحكمـة الله، وهكذا كرز بأن قوة الله الذاتية، التى هى من طبيعته، والكائنة معه أزلياً، إنما هـى قـوة أخرى". وبعد قليل أيضاً يقول "ولكن قوته الأزلية وحكمته التى يوضح منطق الحق إنها حقـاً بلا بداية وغير مخلوقة (غير صائرة)، إنما هى واحدة بالتأكيد". لأنه وإن كان لم يفهم كلمـات الرسول فهماً سليماً بظنه أن هناك حكمتان. ولكنه مع ذلك بقبوله القول بحكمة مـشاركة معـه فى الوجود دائماً، فهو يقول أن غير المخلوق (غير الصائر) ليس واحداً بعد. بل أن هناك غير مخلوق (غير صائر) آخر معه لأن المشارك (بكسر الراء) فى الوجود لا يتشارك فى الوجـود مع نفسه بل مع آخر. ولذلك فليكف أولئك المشايعون لاستيريوس عن التـساؤل: "هـل غيـر المخلوق (غير الصائر) واحداً أم اثنان وإلا فإنهم سيصطدمون به فى هذا الأمر ويرتابون فيه.

ومن الناحية الأخرى، فإن كانوا يقاومونه فى ذلك أيضاً فليكفوا عن الأعتماد على كتابه، لئلا ينهشوا بعضهم بعضاً ويفنوا بعضهم بعضاً.

هذا هو ما قالوه بسبب جهالتهم، وماذا يستطيع أى شخص أن يقول أزاء مكـرهم هـذا؟ ومن هو الذى لن يكره بحق أولئك المتهوسين إلى هذه الدرجة؟.

فما داموا لا يتجاسرون أن يقولوا صراحة "أنه من العدم". وانه "لم يكن موجوداً قبل أن يولد". لذلك أخترعوا لأنفسهم عبارة "غير مخلوق" (غير صائر). لكى بقولهم عن الابن أنه "مخلوق" (صائر)، وسط السذج البسطاء، فإنهم يقصدون نفس تعبيراتهم السابقة تلك وهى "أنه من العدم" وأنه "لم يكن موجوداً قط قبل أن يولد". لانهم يعنون بهذه العبارات "الأشياء الصائرة والمخلوقة".

33- فلو كانت لديهم الثقة فى ما يقولونه، لكان من الواجب عليهم أن يظلوا ثابتين على موقفهم، ولا يتغيرون بطرق متنوعة، ولكنهم يرفضون ذلك. ظانين أنه يمكنهم أن ينجحوا بسهولة، إذا هم أخفوا هرطقتهم تحت ستار كلمة "غير المخلوق" (غير الصائر) وفى الواقع فإن لفظة "غير المخلوق" هذه لا تستعمل (عن الله) بالنسبة إلى الابن – ولو أنهم يتذمرون – بل بالنسبة إلى المخلوقات وهكذا يمكن أن نرى نفس الشئ فى كلمة "ضابط الكل"، وكلمة "رب القوات" فلو أن الآب يضبط ويسود كل الأشياء من خلال الكلمة. والإبن يملك مملكة الآب وتكون له السيادة على الكل. حيث أنه هو كلمة الآب وصورته. فيكون واضحاً إذن أن الابن لا يحسب من بين الكل، ولا يسمى الله "ضابط الكل"، "والرب" بالنسبة إلى الابن، بل بالنسبة إلى المخلوقات التى (تكونت) عن طريق الابن، وهى تلك التى يضبطها ويسودها بواسطة الكل. وهكذا فإن لفظة "غير مخلوق" لا تستعمل (عن الله) بالنسبة إلى الإبن ولكن بالنسبة إلى المخلوقات التى هى عن طريق الإبن، وأن هذا لصواب، حيث أنه ليس مثل المخلوقات. بل هو خالقها وصانعها بواسطة (من خلال) الإبن. كما أن لفظة "غير مخلوق" تستعمل (عن الله) بالنسبة إلى المخلوقات، هكذا أيضاً فإن كلمة "الآب" تعلن عن الإبن. فإن من يسمى الله صانعاً وخالقاً وغير مخلوق. فإنه يرى ويفهم الأشياء المخلوقة والمصنوعة. أما الذى يسمى الله أباً فإنه فى الحال يدرك الإبن ويعرفه. ولذلك فقد يدهش البعض من حبهم للجدال مع عدم تقواهم، لأنه بالرغم من أن لكلمة "غير المخلوق" معنى حسن – سبق أن أشرنا إليه – بحيث يمكن أن نذكر هذه الكلمة بورع وتقوى، أما هم فيتكلمون بها لأجل إهانة الإبن بحسب هرطقتهم، وهم لم يقرأوا، أن الذى يكرم الإبن، إنما هو يكرم الآبن والذى لا يكرم الإبن، إنما هو لا يكرم الآب (يو23:5) لأنهم لو كان لديهم أى أهتمام – على وجه العموم – بتمجيد وتكريم الآب، لكان من واجبهم بالأحرى، أن يعترفوا بأن الله أب ويلقبونه كذلك، بدلاً من أن يسمونه بهذه الطريقة (أى غير المخلوق)، وكان هذا سيكون أفضل وأعظم.

أما أن يسموا الله "غير المخلوق". متخذين هذه التسمية من أعماله المخلوقة، كما سبق أن قلنا – وهكذا يلقبونه خالقاً وصانعاً فقط، ظانين أنهم بهذا يستطيعون أن يعتبروا "الكلمة" مخلوقاً حسب أهوائهم. أما الذى يدعو الله أباً، فإنه يسميه هكذا نسبة إلى الإبن بدون أن ينكر أنه ما دام يوجد ابن، فبالضرورة فإن كل المخلوقات قد خُلقت عن طريق الإبن. وأولئك عندما يسمون الله "غير المخلوق" فإنما يشيرون إليه فقط من جهة نسبته إلى المخلوقات. وهم بذلك لا يعرفون الابن مثلهم مثل الامميين. أما الذى يدعو الله أباً، فإنه يسميه هكذا نسبة إلى "الكلمة". والذى يعرف "الكلمة". فإنه فى نفس الوقت يعرف أنه الخالق. ويفهم أنه كل شئ به قد كان (قد صار) (يو3:1).

34- لذلك فإنه بالحق سيكون أكثر تقوى، لو أنهم أشاروا إلى الله مبتدئين من الإبن، وهكذا يلقبونه أباً، بدلاً من أن يسمونه نسبة إلى أعماله فقط فيلقبونه "غير المخلوق". لأن هذا اللقب نسبة إلى أعماله فقط فيلقبونه "غير المخلوق". لأن هذا اللقب (الأخير) يشير فقط إلى كل خليقة – كما سبق أن قلت – وعموما فإن هذا اللقب يشير إلى كل الأعمال التى خلقت بإرادة الله من خلال الكلمة. فى حين أن لقب الآب يفهم وله دلالته فقط بالنسب إلى الابن. وبقدر ما يختلف الكلمة عن سائر الموجودات، فبمثل هذا القدر بل وأكثر. يكون الاختلاف بين أن يدعى الله "باً". وبين أن يدعى "غير المخلوق". لأن هذا اللقب (الأخير) غير مستقى من الكتب المقدسة بل ويثير الريبة والشك، لأنه يحوى فى الواقع معانٍ متعددة. لدرجة أنه فى حالة التساؤل عن هذا اللقب، فإن الفكر ينتابه الحيرة والإضطراب، أما لقب "الآب" فهو لقب بسيط مستقى من الكتاب المقدس، وهو لقب أكثر صواباً وحقاً. وهو يشير إلى "الابن" فقط.

أما لقب "غير المخلوق" فهو كلمة موجودة عند اليونانيين (الامميين) الذين لم يكونوا يعرفون "الابن". أما لقب "الآب" فقد صار معروفاً إذ قد أنعم به الرب يسوع) علينا. لأنه قد عرف – فى الواقع – ابن من هو. عندما قال "أنا فى الآب والآب فى" (يو10:14) وأيضاً "من رآنى فقد رأى الآب" (يو9:14) وأيضاً "أنا والآب واحد" (يو30:10). ولا يوجد فى أحد هذه الشواهد أى إشارة بتلقيب الآب بلقب "غير المخلوق" بل حين علمنا أن نصلى، لم يقل حينما تصلون قولوا: أيها الإله غير المخلوق، بل بالحرى قال "حينما تصلون قولوا أبانا الذى فى السموات" (مت9:6) وهو بهذا قد أراد أن يركز على أساس إيماننا عندما أمرنا أن تكون معموديتنا ليس باسم "غير المخلوق" والمخلوق ولا بأسم "الخالق" و "المخلوق" بل بأسم "الآب والإبن والروح القدس" (مت 19:28) لأننا وإذ نحن من بين المخلوقات. نصير هكذا مكتملين

وبهذا نصير أبناء. وإذ ندعو اسم الآب، فإننا من هذا (الأسم) نعرف أيضاً الكلمة الذى هو من ذات الآب. إذن فما يجادلون به بخصوص لفظة "غير المخلوق"، إنما يدل على عبث، ولـــيس هو أكثر مما هو فى خيالهم وحده.

الفصل العاشر:

عدم تغير الابن

35- أما بخصوص قولهم أن الكلمة متغير، فان مناقشة هذا الأمر غير ذات نفع، لأنه يكفى فقط أن أسجل ما يقولونه لتوضيح مدى جسارتهم وعدم تقواهم. فها هى الأقوال التى يهذون ويثرثرون بها متسائلين: "هل هو حر (فى ذاته) أم هو ليس كذلك؟ هل هو صالح من تلقاء نفسه بحسب هذه الحرية الذاتية وهل يستطيع بذلك أن يتغير – أن أراد – لكونه من طبيعة متغيرة أم أنه مثل الحجر والخشب، لا يملك حرية الحركة والاتجاه الى هذه الناحية أو تلك؟ "فليس غريباً على هرطقتهم أن يتكلموا ويفكروا بمثل هذه الأمور. ففى احدى المرات أخترعوا لأنفسهم مثل هذه الأقوال التى تناسب المخلوقات. وحيث أنهم فى مجادلتهم مع رجال الكنيسة يستمعون منهم عن كلمة الآب الوحيد الحقيقى. ومع ذلك يتجاسرون أن يتفوهوا عنه بمثل تلك الأقوال، فمن يستطيع اذن أن يرى أدنس من هذه العقيدة؟.

ومن هو الذى بمجرد استماعه لهؤلاء، لا ينزعج ويصم آذانه – حتى ان لم يكن فى وسعه أن يدحض أقوالهم – ويقف مشدوهاً من تلك الأقوال التى يرددها هؤلاء، وهو يستمع إلى كلماتهم المبتدعة التى يعتبر مجرد النطق بها كفراً وتجديفاً؟ لأنه ان كان الكلمة متغيراً وقابلاً للتحول، ففى أى نقطة إذن سيتوقف (عن التغيير)، وماذا ستكون نهاية عملية تطوره

هذه؟ وكيف يمكن أن يكون المتغير مشابهاً لغير المتغير؟ وكيف يمكن أن يعتبــر الــذى رأى المتغير أنه قد رأى غير المتغير؟ وما هى الحالة التى يجب أن يصير إليهــا حتــى يــستطيع الواحد منا أن يرى الآب فيه؟

إذ يكون من الجلى (حسب افكارهم) أننا لن نرى الآب فيه فى كل الأوقــات. إذ يكــون الابن دائم التغير. ويكون من طبيعة متغيرة دائماً. ولأن الآب غير متغير وغير متحول. وهــو دائماً هو نفسه كذلك (أى بدون تغير). أما الابن فان يكن بحسب أفكارهم متغيراً. وهــو لــيس دائماً هو ذاته. بل تكون له طبيعة دائمة التغير. كيف يمكن أن يكون مثل هــذا هــو صــورة الآب. وهو ليس مثله فى عدم التغير.؟ وكيف يمكن أن يكون (الابن) فى الآب كلية، ان كــان هدفه وقصده مشكوكاً فيه؟ بل ربما بسبب كونه متغيراً . ودائم التقدم. فلا يكون كاملاً بعد.

ولكن فليتلاشى مثل هذا الجنون الذى للآريوسيين، أما الحق فليلمع ويبرق ليكشف أنهــم مجانين.

لأنه كيف لا يكون كاملاً هذا الذى هو مساو لله؟ أو كيف لا يكون غير متغير هذا الــذى هو واحد مع الآب، وهو نفسه ابنه مــن ذات جــوهره؟ ولأن جــوهر الآب غيــر متغيــر. فبالضرورة يكون نتاجه الذاتى أيضاً غير متغير.

فإن كانوا يفترون هكذا بنسبتهم التغير للكلمة. فليتعلموا مدى الخطــورة الكامنــة فــى فكرهم، لأن "الشجرة تعرف من ثمرها" (متى33:12)، ولهذا أيضاً "فان من قد رأى الابن فقــد رأى الآب" (يو9:14)، ولهذا أيضاً فان معرفة الابن هى أيضاً معرفة الآب.

36- ولذلك فان صورة الله غير المتغيرة ينبغى أن تكون ثابتة غير متغيرةن لأن "يسوع المسيح هو هو أمس واليوم والى الابد" (عب8:13). وداود يقول مترنماً به: "أنت يا رب منــذ البدء أسست الأرض، والسموات هى عمل يديك. هى ستتلاشى وأنت ستبقى، وكلهــا كثــوب ستبلى وكرداء تطويها فتتغير ولكن أنــت أنــت وســنوك لــن تنتهــى" (مــز26:102-28، و2عب10:1-12).

والرب نفسه يقول عن نفسه بواسطة النبى "أنظروا إلى فترون أنى أنا هو" (تث39:32) وأيضاً "لا أتغير" (ملاخى6:3) وربما يقول أحد أن المقصود هنا هو الآب، ولكنــه يناســب أن

يطلق هذا على الابن أيضاً. وخاصة لأنه حينما يصير أنساناً، فإنه يظهر شخصيته كما هى ويظهر عدم تغيره. وذلك بالنسبة لأولئك الذين يتصورون أنه بما أنه أتخذ جسداً فإنه قد تغير وصار آخراً.

أن القديسين أصدق عهداً وأمانة من سوء نية عديمة التقوى فكم بالاحرى يكون الرب. فإن الكتاب – كما جاء فى قراءة المزمور سالف الذكر – عن طريق اشارته إلى السماء والأرض، يذكر أن طبيعة كل المخلوقات وكل الكائنات، هى متغيرة ومتحولة وبإستبعاده الابن عنها (المخلوقات). فإنه يبين بأنه (أى الابن) ليس مخلوقاً على الاطلاق بل هو بالاحرى يغير الأشياء. بينما هو نفسه لا يتغير. كما يعلم (الكتاب) بقوله "أنت أنت وسنوك لن تنتهى" (عب12:1) أنه (أى الابن) لا يتبدل ولا يتغير. وهذا حقاً أمر طبيعى، لأن الأشياء المخلوقة بما أنها نشأت من العدم، ولكونها لم تكن كائنة قبل أن تخلق، لذلك فإن لها طبيعة متغيرة حيث أنها عموماً قد خلقت من العدم. أما الابن فإنه كائن من الآب وهو من ذات جوهر الآب، لذلك فه غير متغير أو متبدل مثل الآب نفسه. لأنه ليس من العدل أن يقول أحد أن من جوهر غير المتغير يولد كلمة متغير. وحكمة قابلة للتحول. إذ كيف يمكن أن يكون هو الكلمة أن يكن قابلاً للتغير؟. أو كيف يمكن أن تكون حكمة تلك التى تكون قابل للتحول؟ إلا إذا كان عرضاً فى الجوهر – كما ربما يريدون أن يبينوا أنه هكذا: أى أنه فى حالة جوهر ما. تكون هناك نعمة ما أو ممارسة فضيلة بشكل عارض. وهكذا يسمون هذا أنه كلمة وابن وحكمة بحيث يكون قابلاً للانتقاص منها أو الاضافة عليه. لأنه يعتقدون بمثل هذه الأمور. وكثيراً ما تحدثوا عنها. إلا أن عقيدتهم هذه ليست من الإيمان المسيحى لأنهم لا يظهرون أنه الكلمة وابن الله بالحقيقة. ولا (يظهرون) أن الحكمة هى حكمة حقيقية.

لأن ما يتحول ويتبدل وليس ثابتاً على نفس الحال الواحد كيف يمكن أن يكون حقيقيا؟.

بينما يقول الرب "أنا هو الحق" (يو6:14)، فإن كان الرب نفسه يقول هذا القول عن ذاته وهو يشير بهذا الى وجوب عدم قابليته الذاتية للتغير. والقديسون تعلموا نفس هذه الحقيقة وشهدوا بها. فان كانت الأفكار عن الله تعرف هذا الأمر بورع وتقوى فمن أين إذن ابتدع هؤلاء الناس عديمو التقوى. هذه الآراء؟ نعم. أنهم من قلوبهم. يتقيأون هذا الفساد.

الفصل الحادى عشر:

شرح نصوص: أولاً: فيليبى 9:2، 10

"لذلك رفعه الله أيضاً"

37– لكن بما أنهم يتعللون بالأقوال الالهية، ويفرضون عليها تفسيراً منحرفاً محرفين أياها بحسب فكرهم الخاص. لذلك صار من الضرورى أن نرد عليهم من أجل أن تثبت صحة الأقوال الآلهية، ونوضح أنها تحوى الفكر المستقيم، بينما أولئك يفكرون تفكيرا ضالاً.

فهم إذن يقولون أن الرسول كتب يقول "لذلك مجده الله مجداً عالياً. وأعطاه اسماً فوق كل اسم لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة مما فى السماء وعلى الأرض وتحت الأرض" (فى 9:2،10). كما يقول داود "من أجل ذلك مسحك الله ألهك، بزيت الإبتهاج أكثر من شركائك" (مز7:45، عب9:1). ويضيفون كما لو كانوا يقولون شيئاً حكيماً – هكذا "لو أنه "لذلك" مجد (يضم الميم وكسر وتشديد الجيم) وحصل على نعمة. "ومن أجل ذلك" قد مسح وحصل على أجر اختياره الحر. وبما أنه أنجز الأمر بمشيئته الحرة، فأنه يكون بلا شك ذا طبيعة متغيرة. وهذا ما تجاسر أوسيبوس وأريوس ليس فقط على قوله بل على كتابته أيضاً. أما من يشايعونهما فأنهم لا يجفلون عن ترديد ذلك وسط السوق وهم لا يرون قدر الجنون الذى يحويه قولهم.

لأنه أن حصل على ما كان لديه كأجر لاختياره الحر، فأنه لم يكن ليحصل عليه لو لم يكن عمله هذا عن احتياج وعوز، إذن بما أنه قد حصل على ما كان لديه بسبب فضيلته وتقدمه وتحسنه، وبسبب هذا فمن الانصاف أن يلقب بلقب ابن ولقب اله، دون أن يكون ابنا حقيقياً لأن الذى يكون من شخص ما بحسب الطبيعة، فإنه يكون مولوداً حقيقيآن مثلما كان اسحق بالنسبة لابراهيم، ويوسف بالنسبة ليعقوب، والشعاع بالنسبة الى الشمس، أما الذين يدعون (ابناء) بالنسبة للفضيلة والنعمة. فإنهم يحصلون على النعمة التى يكتسبونها بدلاً من الولادة الطبيعية، وهم شى آخر غير ما أعطى لهم. وذلك مثل الناس الذين نالوا الروح بحسب المشاركة والذين قال عنهم "ولدت بنين ونشأتهم. اما هم فتمردوا على" (أش2:1 سبعينية) ولكن بما أنهم ليسوا أبناء بحسب الطبيعة. ذلك، فأنهم بمجرد أن يتغيروا ينزع منهم الروح، ويتبرأ منهم. ولكنهم مرة أخرى – عندما يتوبون فإنه الله الذى كان قد أعطاهم النعمة فى الأول، فأنه بنفس الطريقة، يعطيهم النور مرة أخرى ويدعوهم أبناء ثانية.

38– فإن كانوا يقولون هكذا أيضاً عن المخلص، فيتبع هذا أنه لا يكون (مخلصاً) حقيقياً. وأنه ليس الها. وليس ابناً ولا هو مثل الأب، ولا يكون له علاقة على الاطلاق مع الله الآب بحسب الجوهر بل بمجرد اعطاء نعمة له. أى أن يكون الله هو خالق له بحسب الجوهر مشابهاً فى ذلك كل المخلوقات. فإن كان هو هكذا، كما يقول هؤلاء، فيتضح أنه لم يكن له اسم "ابن" منذ البدء، ان كان قد حصل على هذا الاسم كمكافأة على أعماله وتقدمه، أى أنه حصل على هذه المكافأة ليس بسبب تقدم آخر، بل بسبب ما أظهره عندما صار انساناً، وأتخذ صورة عبد، لأنه عندئذ، حينما صار "مطيعاً حتى الموت" فإنه كما يقول النص "مجده مجداً عالياً. وحصل على الاسم كنعمة. "لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة".

فماذا إذن كان قبل هذا (أى قبل أن يصير انساناً)، ان كان الآن يرتفع، وقد بدأ الآن أن يعبد، والآن دعى أبناً عندما صار انسانا؟ لأنه (بهذا) يبدو أن الجسد لم يترق (بفتح القاف) قط، بل بالاحرى أنه هو الذى ترقى بواسطة الجسد. فإن كان قد مجد مجداً عالياً وسمى ابناً عندما صار انساناً – وذلك بحسب سوء نيتهم – فماذا كان إذن قبل هذا؟ – فهناك حاجة ملحة أن نسألهم مرة أخرى – وذلك لكى تتضح النتيجة التى يصل إليها كفرهم، لأنه أن كان الرب هو الله وهو الابن وهو الكلمة. ولكنه لم يكن هكذا قبل ان يصير إنساناً، عندئذ كما قلنا – أما أنه كان شيئاً آخر غير هذه (الصفات). ثم اشترك فيها بعد ذلك بسبب فضيلته. وإلا فأنهم مضطرون أن يقولوا البديل – (الامر الاخر) الذى سيرتد على روؤسهم وهو أنه لم يكن موجوداً قبل هذا، ولكنه كان إنساناً بالتمام حسب الطبيعة وليس أكثر. ولكن هذا الفكر ليس من الكنيسة. ولكنه فكر الساموساطى واليهود المعاصرين.

لماذا إذن، وهم يعتقدون مثل اليهود. لا يختتنون مثلهم. بل يتظاهرون بالمسيحية، بينما هم يحاربونها، لأنه لو كان غير موجود. أو لو كان موجوداً ثم رقى فيما بعد. فكيف خلقت كل الأشياء بواسطته، وكيف يفرح به الآب لو لم يكن كاملاً (أم30:9) ومن الناحية الأخرى. ان كان هو قد ترقى الآن، فكيف كان يبتهج أمام الآب قبل أن يترقى. وان كان قد حصل على العبادة بعد موته. فكيف يظهر أن ابراهيم يسجد له فى الخيمة. وموسى يسجد له فى العليقة وكما رأى دانيال "ربوات ربوات وألوف ألوف، يخدمونه" (دانيال 10:7). وان كان – كما يقولون – قد حصل علي الترقى الآن، فكيف يشير الابن نفسه إلى مجده الذاتى الذى يفوق الطبيعة والذى كان له قبل إنشاء العالم عندما قال "مجدنى أنت أيها الآب بالمجد الذى كان لى عندك قبل كون العالم" (يو5:17). وأن كان – حسبما يقولون – قد مجد الآن مجداً عالياً، فكيف "طأطأ السموات" ونزل قبل ذلك، وأيضاً "أعطى العلى صوته" (مز13،9:18) لذلك فإن كان للأبن ذلك المجد حتى قبل خلقه العالم، وكان هو رب المجد وهو العلى، ونزل من السماء وهو معبود على الدوام، فينتج من ذلك أنه لم يترق بنزوله، بل بالأحرى هو نفسه الذى رقى الأشياء التى يعوزها الترقى. وإن كان قد نزل من أجل ترقيتها، لذلك فإنه لم يحصل على اسم ابن وأنه واله كمكافأة، بل بالأحرى فإنه هو نفسه جعلنا أبناء للاب واله (بتشديد اللام) الناس بكونه صار انساناً.

39– لذلك، فهو لم يكن إنساناً ثم صار فيما بعد إلهاً، بل كان إلهاً وفيما بعد صار إنساناً بالأحرى كى يؤلهنا. لأنه إن كان عندما صار انساناً قد سمى عندئذ ابناً والهاً. وان كان الله قد دعا الشعوب قديما. أبناء. وذلك قبل أن يصير هو إنساناً. وجعل الله موسى إلهاً لفرعون. والكتاب المقدس يقول فى مواضع كثيرة "الله قائم فى مجمع الآلهة" (مز1:82). فمن الواضح أذن أنه قد دعى ابناً والهاً بعدهم. فكيف إذن خلقت كل الأشياء عن طريقه، وكيف أنه هو موجود قبل كل الأشياء؟ أو كيف يكون هو "بكر كل خليقة" (كو15:1)، ما دام هناك آخرون قبله يطلق عليهم أبناء وآلهة؟.

وهؤلاء المشاركون الأولون كيف لا يشاركون اللوغوس؟ وهذا التعليم ليس حقيقياً، بل هو بدعة المتهودين المعاصرين. فكيف إذن فى هذه الحالة – يمكن لأى أحد على الإطلاق، أن يتعرف على الله كأب؟ لأن من غير المستطاع أن يحدث التبنى بغير الابن الحقيقى، وهو نفسه القائل: "لا يعرف أحد الآب إلا الابن، ومن سيعلن له الابن" (متى27:11).

وكيف يحدث التأليه بدون اللوغوس. وقبله.؟ هذا بالرغم أنه هو نفسه القائل لليهود أخوة هؤلاء المبتدعين. "ان قال. الهة. لاولئك الذين صارت إليهم كلمة الله".

فإن كان كل الذين دعوا أبناء وإلهة سواء على الأرض أم فى السموات قد نالوا التبنى وصاروا متألهين من خلال اللوغوس. وان كان الابن نفسه هو اللوغوس. فمن الجلى أن الجميع قد صاروا أبناء من خلاله. وكان هو قبل الجميع.. وبالحرى فقد كان هو الابن الحقيقى وحده. وهو وحده اله حق من اله حق – ولم يحصل على هذه (الصفات) كمكافأة لفضيلته. وليس هو أخر غير هذه (الصفات) بل هو كل هذه (الصفات) بحسب الطبيعة وبحسب الجوهر. لأنه مولود من جوهر الآب حتى لا يشك أحد أنه ، بحسب صورة الآب غير المتغير. يكون اللوغوس أيضاً غير متغير.

40– ونحن إلى الآن. قد استعملنا أفكاراً حقيقية عن الابن للاجابة على ابتداعاتهم غير المعقولة. ولكن يجمل بنا الآن إذن أن نستشهد بالأقوال الإلهية لكى نبرهن أيضاً بدرجة أكثر كثيراً على عدم تغير الابن وعدم تغير طبيعته الأبوية[(69)] الثابتة. كما يتبرهن أيضاً مدى انحرافهم وضلالهم.

وإذن عندما كتب الرسول إلى أهل فيلبى يقول: "فليكن فيكم هذا الفكر الذى هو أيضاً فى المسيح يسوع، الذى إذ كان موجوداً فى صورة الله، لم يحسب خلسة أن يكون مساوياً لله، لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبد. صائراً فى شبه الناس. وهو إذ وجد فى الهيئة كإنسان، أذل (وضع) نفسه. وأطاع حتى الموت، موت الصليب. لذلك فإن الله مجده ورفعه (شدة على الفاء) عالياً أيضاً، وأعطاه أسماً فوق كل اسم. لكى تجثو باسم يسوع كل ركبة ممن فى السماء، ومن على الأرض، ومن تحت الأرض. وسيعترف كل لسان أن يسوع المسيح هو رب لمجد الله الآب، (فيلبى 2:5–11) أية أقوال أوضح وأكثر بياناً من هذه الأقوال؟. أن الرب لم يكن أصلاً فى حالة وضيعة ثم رقى، بل بالأحرى إذ كان إلهاً فقد اتخذ صورة عبد، وبإتخاذه صورة العبد. لم يرتق (بكسر القاف) بل أذل (وضع) نفسه. إذن فأين هو أجر الفضيلة فى هذه الأمور؟. أو أى تقدم أو ترقى يمكن أن يكون فى الإذلال.؟ لأنه إن كان وهو الإله، قد صار إنساناً، وبتنازله من علوه لا يزال يقال أنه يرفع (شدة على الراء) (أى يمجد مجداً عالياً). فمن أين يرفع وهو الله؟. ويتضح من هذا أيضاً، أنه بما أن الله هو الأعلى والأكثر رفعة من الكل، فبالضرورة أيضاً. أن يكون كلمته هو الأعلى والأكثر رفعة فوق الكل. وهذا الذى هو فى الآب ومثل الآب فى كل شئ. من أين إذن يمكنه أن يرفع عالياً أكثر من ذلك؟ إذن فهو ليس فى حاجة إلى أى ازدياد، وليس الأمر كما يفهمه الآريوسيون. لأنه وإن كان اللوغوس قد نزل من أجل أن يرفع عالياً – وهكذا هو مكتوب – فأية حاجة كانت هناك على الإطلاق تدفعه لأن يذل نفسه. لكى يسعى للحصول على ذلك الشئ الذى كان لديه أصلاً؟. وما هى النعمة التى ينالها واهب النعمة؟ أو كيف نال هو الاسم للعبادة وهو الذى كان دائماً معبوداً بأسمه؟. ومن قبل أن يصير هو انساناً، كان القديسون حينئذ يتوسلون إليه قائلين "خلصنى يا الله باسمك" (مز1:54) وأيضاً "البعض يفتخر بالمركبات، والبعض الآخر بالخيل وأما نحن فبأسم الرب إلهنا سنتمجد" (مز7:20). وهو الذى كان يسجد له البطاركة (رؤساء الآباء). إذ قد كتب عن الملائكة، ولتسجد له كل ملائكة الله" (مز7:97، عب6:1).

41– فإن كان داود ينشد فى المزمور الحادى والسبعين قائلاً: "اسمه دائم قبل الشمس"، وأيضاً: "وقبل القمر الى أبد الآبدين[(70)]. فكيف إذن ينال ما كان له دائماً حتى قبل أن يحصل عليه الآن (أى فى الجسد)؟ أو كيف يرفع (شدة على الراء) مع كونه قبل ترفيعه (أو تمجيده) كان هو العالى (فوق الكل)؟ أو كيف حصل على (حق) العبادة. وهو الذى كان دائماً معبوداً من قبل أن يحصل على هذا الحق الآن؟. إذن فهذا ليس بلغز بل هو سر إلهى. "فى البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله. وكان الكلمة الله" (يو1:1) وهو لأجلنا فيما بعد "الكلمة صار

جسداً" (يو14:1) وعبارة "رفعه" (مجده مجداً عالياً) التى نتحدث عنها الآن، لا تعن أن جوهر الكلمة قد أرتفع. لأنه كان دائماً وهو لا يزال كائن فى الله. ولكنه يعنى ارتفاع (أو ترفع) بشريته. إذن فهذه الأقوال لم تكن تقال من قبل إلا عندما صار الكلمة جسداً. لكى يصير واضحاً أن "أذل نفسه"."وتمجد مجداً عالياً" إنما تشير إلى إنسانيته، لأنه حيثما تكون هناك حالة الاذلال تكون هناك الرفعة أيضاً. أن كان بسبب اتخاذه للجسد قد كتب الاذلال عنه. فمن الواضح أن التمجيد (أو الرفعة) تقال عنه بسبب الجسد، لأن الانسان كان فى مسيس الحاجة إلى هذا (التمجيد). بسبب وضاعة الجسد. وبسبب الموت.

وبما أن الكلمة وهو صورة الآب، وهو غير مائت، قد أتخذ صورة عبد، وكإنسان عانى الموت بجسده من أجلنا. لكى بذلك يبذل نفسه للآب بالموت من أجلنا لأجل هذا السبب يقال عنه إنه كإنسان مجد (ضمه على الميم) أيضاً نيابة عنا ومن أجلنا، لكى كما بموته قد متنا جميعاً فى المسيح، وعلى نفس المنوال أيضاً. فإننا فى المسيح نفسه أيضاً قد مجدنا مجداً عالياً. مقامين من بين الأموات وصاعدين إلى السموات "حيث دخل يسوع كسابق لاجلنا" (عب20:6)، "لا إلى أقداس أشباه الحقيقة، بل إلى السماء عينها ليظهر الآن أمام وجه الله لأجلنا" (عب34:9). فإن كان المسيح قد دخل الآن إلى السماء عينها لأجلنا، رغم أنه من قبل هذا الحدث، كان هو دائماً الرب وخالق السموات. فتبعاً لذلك تكون هذه الرفعة الحالية قد كتبت أيضاً من أجلنا نحن.

وكما أنه وهو الذى يقدس الجميع، يقول أيضاً أنه يقدس نفسه للآب من أجلنا – ليس بالطبع لكى يكون اللوغوس مقدساً – بل لكى بتقديس ذاته يقدسنا جميعاً فى ذاته. وهكذا بنفس المعنى ينبغى أن نفهم ما يقال الآن أنه "تمجد". ليس لكى يمجد هو نفسه (أى اللوغوس) – إذ أنه هو الأعلى – بل لكى هو ذاته "يصير برا" من أجلنا، أما نحن فلكى نتمجد (نرفع) فيه ولندخل إلى أبواب السماء، التى قد فتحها هو ذاته من أجلنا، حيث يقول السابقون "أرفعوا أيها الرؤساء أبوابكم، وأرتفعى أيتها الأبواب الدهرية ليدخل ملك المجد" (مز7:34). وهنا أيضاً لم تكن الأبواب مغلقة أمامه هو إذ هو رب وخالق كل الأشياء. بل بسببنا كتب هذا الكلام. نحن الذين أغلقت أمامنا أبواب الفردوس.

لذلك يقال عنه من الناحية البشرية، بسبب الجسد الذى كان قد لبسه: "أرفعوا الأبواب". كما يقال أيضاً. "ليدخل" كما لو كان إنساناً سيدخل، ولكن من الناحية الإلهية – حيث أن "اللوغوس هو الله" – يقال عنه أيضاً أنه "الرب" و "ملك المجد" وقد سبق الروح فقال فى المزمور التاسع والثمانين عن مثل هذه الرفعة التى صارت إلينا "وببرك يرتفعون. لأنك أنت هو فخر قوتهم" (مز17:89،18)، فإن كان الابن هو البر، إذن فهو لم يرتفع بذاته كما لو كان فى حاجة إلى الرفعة، بل نحن الذين أرتفعنا (تمجدنا) بسبب البر الذى هو (المسيح) ذاته.

42– وهكذا أيضاً فإن عبارة "أعطاه اسماً" لم تكتب لأجل اللوغوس ذاته – فإنه حتى قبل أن يصير أنساناً فقد كان معبوداً أيضاً من الملائكة ومن كل الخليقة. بحسب ذاتيته الأبوية[(71)] بل كتبت هذه العبارة عنه بسببنا ولأجلنا. لأنه كما مات المسيح ثم رفع (شدة على الفاء) كإنسان، فبالمثل قيل عنه أنه أخذ كإنسان ما كان له دائماً كإله. وذلك لكى تصل إلينا عطية مثل هذه النعمة، فإن اللوغوس لم يحط قدره بإتخاذه جسداً حتى يسعى للحصول على نعمة أيضاً، بل بالأحرى فإن الجسد الذى لبسه قد تأله، بل وأكثر من ذلك، فقد أنعم بهذه النعمة على جنس البشر، بدرجة أكثر.

فكما أنه كان يعيد (ضمه على الياء) دائماً لكونه اللوغوس "الموجود فى صورة الله" – هكذا ظل هو نفسه كما هو وصار إنساناً ودعى يسوع – فليس أقل من أن كل الخليقة – تظل كما كانت دائماً – تحت قدميه، وهى التى تجثو بركبها له بهذ1 الاسم (يسوع). وتعترف أن اللوغوس صار جسداً، وأنه احتمل الموت بجسده. ولم يحدث له كل هذا كإهانة لمجد ألوهيته بل "لمجد الله الآب".

لأن مجد الله الآب هو: أن يوجد الانسان الذى كان قد خلق ثم هلك، وهو: أن يحيا الذى مات، وهو: أن يصير الانسان هيكل الله. ولأن القوات السمائية من ملائكة ورؤساء ملائكة كانت تعبده دائماً، فإنهم الآن أيضاً يسجدون للرب باسم يسوع، فهذه النعمة وهذا التمجيد العالى إنما هو لنا، وأنه بالرغم من أنه صار إنساناً وهو ابن الله فإنه يعبد (ضمه على الياء). لذلك لن تدهش القوات السمائية حينما ترانا نحن جميعاً – المتحدين معه فى نفس الجسد – داخلين إلى مناطقهم (السمائية). وهذا قطعاً – لم يكن ممكناً أن يحدث بأية طريقة أخرى، اللهم إلا إذ كان هذا الذى كان موجوداً فى صورة الله، قد أتخذ لنفسه صورة العبد، وأذل ذاته. راضياً بأن يصل جسده حتى إلى الموت.

43- أنظروا إذن، كيف أن ذلك الذى يعتبر عند الناس، جهالة الله بسبب تحقير الصليب، قد صار أكثر الأشياء كرامة، ذلك أن قيامتنا به معتمدة عليه. وليس اسرائيل وحده الذى يعتمد عليه بل كل الأمم – كما سبق وأنبأ النبى: يتركون أصنامهم ويتعرفون على الإله الحقيقى أبى المسيح. وابتداعات الشياطين قد أبطلت، والاله الحقيقى وحده هو الذى يعبد بأسم ربنا يسوع المسيح. أما عبادة الرب الذى صار فى الجسد البشرى، ودعى يسوع، والإيمان به كابن الله – والتعرف على الآب بواسطته، فهو أمر جلى، كما قلنا، أنه ليس اللوغوس بسبب كونه لوغوس هو الذى حصل على مثل هذه النعمة، بل نحن. لأنه بسبب علاقتنا بجسده فقد صرنا نحن أيضاً هيكل الله – وتبعاً لذلك قد جعلنا أبناء الله. وذلك حتى يعبد الرب فينا أيضاً. والذين يبصروننا يعلنون – كما قال الرسول "أن الله بالحقيقة فيكم" (1كو25:14). وكما قال يوحنا أيضاً فى إنجيله "وكل الذين قبلوه أعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله" (يو12:1). وكما كتب فى رسالته "بهذا نعرف أنه يسكن فينا من روحه الذى أعطاه لنا" (1يو24:3).

أن ما يميز الصلاح الصائر منه إلينا، هو أننا نمجد بسبب وجود الرب العالى فينا، وأن النعمة أقد أعطيت له من خلالنا – بسبب أن الرب الذى هو مانح النعمة قد صار إنساناً مثلنا.
والمخلص نفسه أذل نفسه بإتخاذه "جسد تواضعنا" – وأتخذ صورة عبد، لابساً ذلك الجسد الذى كان مستعبداً للخطيئة.

وهو فى الحقيقة دم يحصل على شئ منا يرتقى به لأن كلمة الله هو ليس فى احتياج إلى شئ، لأنه كامل، بل بالأحرى نحن الذين نلنا منه الارتقاء. لأنه هو "النور الذى ينير كل انسان يأتى إلى العالم" (يو9:1). إن الاريوسيين يركزون بلا جدوى على أداة الربط: "لذلك" لأن بولس قال "لذلك مجده الله مجداً عالياً" (فى8:2). فهو بهذا القول لم يكن يعنى مكافأة لفضيلة ولا أرتقاء نتيجة تقدم أخلى، ولكنه يقصد السبب فى العلو والتمجيد والارتفاع الذى صار فينا. وما هو هذا السبب إلا أن يكون الذى كان فى صورة الله وهو ابن لاب نبيل، وأذل نفسه وصار بدلاً منا ومن أجلنا؟ فلو لم يكن الرب قد صار أنساناً، لما كان فى وسعنا أن نفتدى (نتحرر) من الخطيئة وأن نقوم من بين الأموات، بل لبقينا أمواتاً تحت الأرض. ولما كنا لنرفع (لنمجد) إلى السماء، بل لرقدنا فى الجحيم.

إذن، فمن أجلنا، ولمصلحتنا، كتبت هذه الكلمات" مجده مجداً عالياً"، "وأعطاه اسما".

44- أعتقد إذن أن هذا هو قصد النص الكتابى، وهو قصد كنسى تماماً. ولكن ربما كانت هناك طريقة أخرى لشرح النص لأعطاء معنى مطابق تماماً.

أى أن النص لا يعنى تمجيد اللوغوس ذاته بإعتباره لوغوس (لأنه كما سبق أن قيل منذ قليل، أنه عال وأنه مثل الآب)، ولكن النص يشير إلى قيامته من بين الأموات بسبب تأنسه. فقوله "أذل نفسه حتى الموت" ثم أضاف "لذلك مجده مجداً عالياً" راغباً أن يبين أنه كإنسان كان يقال عنه أنه قد مات، ولكن لكونه الحياة رفع بالقيامة "فإن الذى نزل هو نفسه أيضاً الذى قام" (أف10:4). لأنه نزل بالجد، إلا أنه قام لأنه هو نفسه كان إلهاً فى الجسد. وهذا أيضا هو السبب الذى من أجله قد مهد السبيل الى هذا المعنى بإستخدام أداة الربط "لذلك"، والذى لا يعنى أجر فضيلة ولا ترقى، ولكنه يكشف السبب الذى بواسطته قد صارت القيامة. ولهذا السبب نفسه مات سائر البشر منذ آدم وحتى الآن، وظلوا أمواتاً، أما هذا وحده فهو الذى قام من بين الأموات كاملاً متكاملاً. وهذا هو السبب الذى من أجله سبق الرسول نفسه وقال: أنه بالرغم من كونه الهاً فقد صار إنساناً. أما سائر البشر فقد ماتوا لأنهم من نسل آدم. وقد كان للموت سيادة عليهم (رو14:5). أما هذا فهو "الإنسان الثانى من السماء" (1كو47:15)، وذلك لأن "الكلمة قد صار جسداً" (يو14:1) ويقول أن مثل هذا الإنسان "من الماء" و "سماوى" (1كو47:15،48) ذلك لأن الكلمة "قد نزل من السماء" (يو38:6) ولهذا فلم يقهر (يمسك) من الموت.

فرغم أنه أذل نفسه، مسلماً جسده الخاص به حتى الموت، وذلك بسبب قبوله الموت، إلا أنه رفع رفعة عظيمة من الأرض، ذلك لأنه هو ابن الله فى الجسد. لذلك فإن ما يقال هنا "لذلك رفعه الله أيضاً" فهو مساو أيضاً لما قاله بطرس فى سفر الأعمال "الذى أقامه مبطلاً أوجاع الموت، لأنه لم يكن ممكناً أن يسيطر عليه سلطان الموت" (أع24:2). فكما كتب بولس "الذى إذ كان فى صورة الله" قد صار إنساناً، و "وأذل نفسه حتى الموت ولذلك مجده الله مجداً عالياً". وبالمثل يقول بطرس. وحيث أنه إذ كان إلهاً قد صار إنساناً، فإن الآيات والعجائب كشفت أيضاً للناظرين أنه الله. ولذلك "فلم يكن ممكناً أن يمسكه الموت" (أع24:2).

والإنسان لم يكن يستطيع أن ينجح فى تحقيق هذا، لأن الموت هو خاص بالإنسان. ولهذا فإن الكلمة الله صار جسداً، لكى يحيينا بقوته بعد أن مات بالجسد.

45- وبما أنه يقال أنه "مجده ورفعه"، وأن الله "أعطاه" فالهراطقة يظنون أن هذا نقيصة، أو ألماً خاصاً بجوهر اللوغوس. فمن الضرورى أن نقول، بأى معنى تقال هذه الكلمات. إذ يقول أنه رفع وأصعد من أقسام الأرض السفلى (أف9:4). لأن الموت صار خاصاً به أيضاً. وكلا (الامران) يقالان عنه حيث أنهما خاصان به وليس بآخر غيره. إذن فالجسد الذى أقيم من بين الأموات هو الذى رفع الى السموات. وحيث أن الجسد كان يخصه ولا يوجد للجسد كيان الا باللوغوس نفسه، لذى فمن الطبيعى أنه بتمجيد وترفيع الجسد يقال أيضاً أنه كإنسان قد أرتفع بسبب الجسد.

إذن فلو لم يكن قد صار إنساناً، لما كانت لتقال عنه هذه الأقوال. أما عبارة "الكلمة صار جسداً" فإن كانت هناك ضرورة، أن يقال عنه أنه قام وتمجد كما يقال عن إنسان، لكى يكون

هذا الموت الذى يشار به إليه، فداءاً لخطية البشر، وأبطالاً للموت، أما القيامة والتمجيد فإنهما يدومان فينا بالضرورة بسببه.

وفى كلتا الحالتين قال عنه "مجده الله مجداً عالياً"، و "الله أعطاه" كى يبين بهذا أنه ليس الآب هو الذى صار بل كلمته هو الذى صار إنساناً، فإنه بحسب النمط البشرى، يأخذ من الآب ويتمجد منه. كما سبق أن قال.

فيكون واضحاً – ولا يستطيع أحد أن يشكك فى ذلك – أن تلك الأشياء التى يعطيها الآب، إنما يعطيها عن طريق الابن، ويكون عجيباً، وأمراً مثيراً للاستغراب حقاً أن النعمة التى يعطيها الابن من لدن الآب، نفس هذه النعمة، يقال أن الابن ذاته قد قبلها. والرفعة التى حققها الابن من لدن الآب، بهذه الرفعة نفسها يرفع (شدة على الراء) الابن نفسه.

إذن فإذ هو ابن الله نفسه قد صار ابن الإنسان ايضاً، وكلوغوس يعطى الأشياء من لدن الآب، لأن كل من يصنعه ويعطيه الآب، إنما يصنعه ويعطيه من خلاله.

وكإبن الإنسان فيقال أنه بحسب بشريته ينال ما يخصه من ذاته، بسبب أن جسده ليس سوى جسده الخاص به الذى هو بطبيعته أن يتقبل النعمة كما قد قيل.

وبحسب هذه الرفعة إذن، أخذ الإنسان فى داخله. وكانت هذه الرفعة من أجل تأليه الانسان أما اللوغوس فله خاصية (التاليه) هذه بحسب الالوهية والكمال الأبوى الخاصين به.

الفصل الثانى عشر:

شرح نصوص: ثانياً: مزمور 8،45:7

"من أجل ذلك مسحك الله إلهك"

46– أن هذا الشرح كما كتبه الرسول، إنما يدحض هؤلاء العديمى التقوى. وما قاله المرنم له أيضاً نفس المعنى المستقيم الذى أساء هؤلاء فهمه. فى حين أن منشد المزامير يوضح التقوى لأنه هو أيضاً يقول "عرشك يا الله إلى الدهور، صولجان استقامه هو صولجان ملكك أحببت البر وأبغضت الأثم، من أجل ذلك مسحك الله إلهك بزيت الإبتهاج أكثر من شركائك" (مز45:7–8).

أنظروا أيها الآريوسيون وميزوا الحقيقى هنا أيضاً. فالمرنم يقول، أننا جميعاً "شركاء" الرب. فلو كان اللوغوس من العدم. وكان هو واحداً من المخلوقات، لكان هو أيضاً واحداً من الشركاء، وحيث أن المرنم سبح له بإعتباره الإله الأبدى قائلاً "عرشك يا الله إلى دهر الدهور" وقد أعلن أن جميع الأشياء الأخرى تشاركه. فماذا يجب أن يفهمه الواحد منا، غير أنه آخر غير المخلوقات (مختلف عن المخلوقات). وأنه هو وحده كلمة الله الحق. وهو البهاء والحكمة التى تشارك فيه جميع المخلوقات، وهى تتقدس منه بالروح؟ ولذلك فهو هنا "يمسح" (بضم الياء) لا لكى يصير إلهاً، لأنه كان إلهاً حتى قبل أن يمسح، ولا لكى يصير ملكاً، لأنه قد كان هو المالك على الدوام، إذ أنه صورة الله كما يقول الوحى (أنظر 2كور4:4، كولوسى 15:1). بل أن هذا أيضاً (أى أنه مسح) قد كتب من أجلنا. لأنه عندما كان الملوك – أيام أسرائيل – يمسحون، فعندئذ فقط كانوا يصيرون ملوكاً، حيث أنهم لم يكونوا ملوكاً قبل مسحهم، وذلك مثل داود وحزقيا ويوشيا وغيرهم. أما المخلص فهو على العكس، حيث أنه إذ هو الله، يزاول دائماً حكم مملكة الآب ولما كان هو نفسه مانح الروح القدس. إلا أنه يقال الآن أنه يمسح (بضم الياء). لكنه كإنسان يقال عنه أنه يمسح (بضم الياء) بالروح وذلك حتى يبنى فينا نحن البشر سكنى الروح وألفته تماماً مثلما وهبنا الرفعة والقيامة. وهذا ما عناه هو نفسه عندما أكد الرب عن نفسه فى الإنجيل بحسب يوحنا "أنا قد أرسلتهم إلى العالم ولأجلهم أقدس أنا ذاتى ليكونوا هم أيضاً مقدسين فى الحق" (يو18:17،19). وقد أوضح بقوله هذا أنه ليس هو المقدس (بتشديد وفتح الدال) بل المقدس بتشديد وكسر الدال). لأنه لم يقدس من آخر بل هو يقدس ذاته. حتى نتقدس نحن فى الحق. وهذا الذى يقدس ذاته إنما هو رب التقديس. كيف إذن حدث هذا؟ وماذا يريد أن يقول بهذا سوى أنه: "كونى أنا كلمة الآب، فأنا نفسى أعطى ذاتى الروح. أنا الصائر إنساناً. وأنا الحق. (لأن "كلمتك أنت هى الحق" يو17:17).

47–إذن فإن كان يقدس ذاته من أجلنا. وهو يفعل هذا لأنه قد صار إنساناً، فمن الواضح جداً أن نزول الروح عليه فى الأردن، إنما كان نزولاً علينا نحن، بسبب لبسه جسدنا. وهذا لم يصر من أجل ترقية اللوغوس، بل من أجل تقديسنا من جديد، ولكى نشترك فى مسحته، ولكى يقال عنا "ألستم تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم" (1كو16:3) فحينما أغتسل الرب فى الأردن كإنسان، كنا نحن الذين نغتسل فيه وبواسطته.

وحينما أقتبل الروح، كنا نحن الذين صرنا مقتبلين للروح بواسطته. ولهذا السيد، فهو ليس كهارون. أو داود أو الباقين – قد مسح بالزيت هكذا – بل بطريقة مغايرة لجميع الذين هم شركاؤه – أى "بزيت الإبتهاج" – التى فسر أنه يعنى الروح – قائلاً بالنبى "روح الرب على لأنه مسحنى" (أش 1:61). كما قال الرسول أيضاً "كيف مسحه الله بالروح القدس" (أع38:10). متى قيلت عنه هذه الأشياء – إلا عندما صار فى الجسد وأعتمد فى الأردن. "ونزل عليه الروح"؟ (مت16:3). وحقاً يقول الرب لتلاميذه أن "الروح سيأخذ مما لى" (يو16:14). و"أنا أرسله" (يو7:16). و "أقبلوا الروح القدس" (يو22:20). إلا أنه فى الواقع

هذا الذى يعطى للآخرين ككلمة وبهاء الآب، يقال الآن أنه يتقدس وهذا من حيث أنه قد صار إنساناً، والذى يتقدس هو جسده ذاته.

إذن فمن ذلك قد بدأنا نحن الحصول على المسحة والختم، مثلما يقول يوحنا "أنتم لكم مسحة من القدوس" (1يو20:2) والرسول يقول "أنتم ختمتم بروح الموعد القدوس" (أفسس13:1). ومن ثم فإن هذه الأقوال هى بسببنا ومن أجلنا. فأى تقدم فى الأرتقاء، وأى أجر فضيلة أو عموماً أى أجر عمل للرب، يتضح من هذا؟.

فلو أنه لم يكن إلهاً، ثم صار إلهاً، ولو كان قد رقى إلى ملك وهو لم يكن ملكاً، فإنه يكون لقولكم بعض الظل من الإحتمال.

أما إن كان هو الله، ويكون "عرش ملكه أبدى" فإلى أى مدى يمكن أن يرتقى الله؟. أو ماذا ينقص هذا الذى هو جالس على عرش الآب؟ وكما قال الرب نفسه، إن كان الروح هو روحه. والروح أخذ منه، وهو نفسه أرسل الروح (أنظر يو14:16، يو7:16)، إذن، فلا يكون اللوغوس بإعتباره اللوغوس والحكمة هو الذى يمسح من الروح، الذى يعطيه هو ذاته، بل الجسد الذى قد أتخذه، هو الذى يمسح فيه ومنه، وذلك لكى يصير التقديس الصائر إلى الرب كإنسان، يصير (هذا التقديس) إلى جميع البشر به. لأن يقول: "إن الروح لا يتكلم من نفسه" (أنظر يو13:16). بل اللوغوس هو الذى يعطى هذا (الروح) للمستحقين. فإن هذا يشبه ما سبق من قول، لأنه كما كتب الرسول "الذى إذ كان فى صورة الله، ولم يحسب خلسة أن يكون مساوياً لله، ولكنه اخلى نفسه أخذاً صورة عبد" (فيلبى6:2،7). وبالمثل يرنم داود للرب. إنه إله وملك أبدى، مرسل إلينا ومتخذاً جسدنا الذى هو مائت. لأن هذا هو المقصود فى المزمور بالقول "مر وعود وقرفة تفوح من ثيابك" (مز8:45) ويتضح نفس الشئ مما فعله نيقوديموس والنسوة اللائى مع مريم حينما جاء نيقوديموس حاملاً "مزيج مر وعود نحو مئة رطل" (يو39:19). وكانت النسوة قد أعددن الحنوط لجسد الرب (لو1:24).

48– فأى تقدم هو إذن بالنسبة لغير المائت عندما يتخذ ما هو مائت؟ وأى أرتقاء هو للأزلى عندما يلبس ما هو وقتى وأى أجر يمكن أن يكون بالنسبة لله والملك الأبدى الذى هو فى حضن الآب؟ إلا تدركون أن هذا قد صار وكتب بسببنا ومن أجلنا، لأنه إذ قد صار الرب إنساناً، لكى يصوغنا نحن المائتين والوقتيين ويجعلنا غير مائتين. ولكى يدخلنا إلى ملكوت السموات الأبدى؟ ألا تستحون وأنتم تزيفون الأقوال الإلهية؟ لأنه بنزول ربنا يسوع المسيح وأقامته بيننا، فإننا بالحقيقة قد أرتقينا لأننا تحررنا من الخطيئة، أما هو فهو باقٍ هو هو ولا يتغير بصيرورته إنساناً (لأنه يلزم أن نكرر نفس القول)، بل كما هو مكتوب فإن "كلمة الله يبقى إلى الأبد" (أش8:40).

إذن، مثلما كان قبل تأنسه – إذ أنه كان اللوغوس، فإنه منح الروح للقديسين بإعتباره خاصاً به – وهكذا عندما صار إنساناً فإنه قدس الجميع بالروح وقال لتلاميذه، "اقبلوا الروح القدس" (يو22:20)، وقد أعطى (الروح) لموسى وللسبعين الآخرين (أنظر عدد16:11). والذى به صلى داود للآب قائلاً: روحك القدوس لا تنزعه منى" (مز11:51).

أما عندما صار إنساناً فقد قال "سأرسل لكم المعزى روح الحق" (يو26:15)، وبالفعل أرسله، لأن كلمة الله منزه عن الكذب. إذن فإن "يسوع المسيح هو هو بالأمس واليوم وإلى الأبد" (عب8:13) وحيث أنه يظل غير متغير وهو ذاته العاطى والآخذ: فهو يعطى ككلمة الله،

ويأخذ كإنسان. وتبعاً لذلك فليس اللوغوس – بإعتباره بالحقيقة لوغوس – هو الذى أرتقى، إذ كانت له دائماً. وله على الدوام – كل الأشياء. أما البشر – الذين يأخذون البداية منه وبسببه. – فهؤلاء هم الذين يرتقون. لأنه حينما يقال بحسب الوجهة البشرية أنه الآن يمسح (بضم الياء) – نكون نحن، الذين نمسح فى شخصه. حيث أنه حينما أعتمد، نكون نحن الذين نعتمد فى شخصه. ويوضح المخلص بالأحرى كل هذه الأمور حينما يقول للآب: "وأنا قد أعطيتهم المجد الذى أعطيتنى ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد" (يو22:17). وتبعاً لذلك فإنه كان يطلب المجد أيضاً من أجلنا. وبسببنا أيضاً أستخدم كلمة "أخذ" وكلمة "أعطى" وكلمة "مجد مجداً عالياً". وذلك لكى نأخذ نحن أيضاً. ولكى يعطى لنا، ولكى نمجد نحن فيه مجداً عالياً. وذلك كما يقدس ذاته من أجلنا، لكى نتقدس نحن فى شخصه.

49– وإن كان هؤلاء – بسبب ما جاء فى المزمور "من أجل هذا مسحك الله إلهك" (مز8:45) يستخدمون التعبير "من أجل هذا" من أجل رغباتهم الخاصة، فليعرف هؤلاء الذين يجهلون. الكتب المقدسة، والذين انكشف عدم تقواهم، أن تعبير "من أجل هذا" هنا أيضاً، لا يعنى أجر فضيلة أو سلوكاً خاصاً باللوغوس، بل يعنى السبب الذى من أجله نزل إلينا، ويعنى السبب فى مسحة الروح التى مسح بها من أجلنا. لأنه لم يقل "من أجل مسحك" لكى يصير هو إله أو ملك أو ابن أو لوغوس. لأنه كان هكذا وهو دائماً هكذا من قبل أن يمسح، كما سبق أن أظهرنا، بل بالأحرى، بما أنك أنت إله وملك، من أجل ذلك أيضاً مسحت. حيث أنه لم يكن فى وسع أحد أخر أن يوجد الإنسان بالروح القدس، سواك أنت الذى هو صورة الله. تلك الصورة التى يحسبها خلقنا منذ البدء، لأن الروح هو روحك أنت. وكل هذا حدث لأن طبيعة المخلوقات لا يركن إليها بخصوص هذا الأمر. ففى حين تمرد الملائكة، فإن البشر كانوا عصاة. لذلك كان الأمر يحتاج بالضرورة إلى تدخل الله – "لأن اللوغوس هو الله" (يو1:1)، وذلك لكى يحرر الذين صاروا تحت عبء اللعنة. فلو كان هو من العدم لما كان هو المسيح، لكونه واحداً بين الجميع وشريكاً لهم.

ولكن بما أنه إله لكونه ابن الله، فهو ملك أبدى، نظراً لأنه بهاء الآب وصورته. من أجل ذلك فمن اللائق أن يكون هذا هو المسيح المنتظر، الذى وعد الآب البشر به، كما كشف عنه لأنبيائه القديسين، لكى كما خلقنا به، يصير به هكذا أيضاً خلاص الجميع من خطاياهم، ولكى تكون كل الأشياء تحت حكمه. وهذا هو سبب المسحة التى صارت له، وسبب "الحضور المتجسد للوغوس". وهذا السبب هو الذى تنبأ به مرنم المزامير مسبحاً بألوهيته وملكوته الأبوى، عندما هتف قائلاً "عرشك يا الله إلى دهر الدهور، صولجان استقامه هو صولجان ملكك" (مز6:45)، ثم يعلن نزوله إلينا بقوله: "من أجل ذلك، مسحك الله، الهك، بزيت الابتهاج أكثر من شركائك" (مز7:45).

50– لماذا يكون مثيراً للدهشة، أو بعيداً عن الإعتقاد، ان كان الرب، وهو واهب الروح، يقال عنه الآن أنه مسح بالروح حينما تستلزم الحاجة ذلك، فإنه لا يرفض القول عن نفسه أنه هو أدنى شأناً من الروح – بسبب طبيعته البشرية – لأنه عندما قال اليهود أنه "يخرج الشياطين ببعلزبول" (متى24:12) فإنه لكى يكشف تجديفهم، أجاب وقال لهم "أنى بروح الله أخرج الشياطين" (متى 28:12). فها هوذا واهب الروح يقول الآن أنه يخرج الشياطين بالروح، وهذا القول لم يكن ليقال لأى سبب آخر، سوى من ناحية الجسد. لأنه كما أن طبيعة الإنسان لم تكن كافية من ذاتها أن تطرد الشياطين بدون قوة الروح، من أجل هذا كان كإنسان يقول "أنى بروح الله أخرج الشياطين". وطبيعى أن التجديف الذى صار ضد الروح القدس، أعظم من التجديف الذى ضد ابن الإنسان يغفر له" (متى55:13). أما الذين يجدفون على الروح القدس،

وينسبون أعمال اللوغوس للشيطان فهؤلاء سيكون لهم عقاب لا مناص منه. إذن فإن الرب قال مثل هذه الأقوال لليهود كإنسان، أما التلاميذ فقد بين لهم ألوهيته وجلاله، مشيراً إلى ذاته أنه ليس أقل إطلاقاً من الروح بل مساوٍ له. وأعطاهم الروح وقال: "أقبلوا الروح القدس" (يو22:20) وأيضاً "أنا أرسله" (يو7:16)، و"ذاك 13:169. وبالمثل إذن فإن الرب مانح الروح نفسه، لا يكف عن القول أنه بالروح يخرج الشياطين كإنسان، وبنفس الطريقة، حيث أنه هو ذاته واهب الروح، فإنه لا يتوقف عن القول: "روح الرب على لأنه مسحنى" (أش1:61) وذلك بسبب أنه قد صار جسداً (يو14:1)، كما قال يوحنا، لكى يتضح أنه فى هذين الأمرين، أننا نحن الذين نكون محتاجين لنعمة الروح لكى نتمجد، وأنه ليس فى وسعنا أن نخرج الشياطين بدون قوة الروح.

بواسطة من إذن، وممن كان يجب أن يمنح (بضم الياء) الروح إلا بواسطة الإبن. وهو الذى يعتبر الروح أيضاً روحه.؟ ومتى كان فى استطاعتنا نحن الحصول على الروح إلا عندما صار اللوغوس إنسانا؟ (يو16:1). وهذا ما يتضح تماماً من قول الرسول، أننا لم نحصل على الفداء ولا على التمجيد مجداً عالياً، لو لم "يتخذ صورة عبد، ذاك الذى كان فى صورة الله" (فى6:2،7).

هكذا يرينا داود أيضاً أنه ليست هناك طريقة أخرى، لكى نشارك الروح، ونتقدس لو لم يقل اللوغوس ذاته، واهب الروح. بأنه هو ذاته، مسح بالروح من أجلنا، ولهذا السبب طبعاً أخذنا الروح، إذ أنه هو الذى قيل فيه أنه قد مسح بالجسد. حيث أن جسده الخاص هو الذى تقدس أولاً. وإذ قيل عنه كإنسان. أن جسده قد أتخذ هذا (الروح)، فلأجل هذا، فنحن نمتلك نتيجة لذلك، نعمة الروح، أخذين أياها "من ملئه" (أنظر يو16:1).

51– وأما الآية الواردة فى المزمور: "أحببت البر، وأبغضت الأثم" (م7:45)، فهى ليست مثلما تفهمونها أنتم أنها تبين أن طبيعة اللوغوس متغيرة، بل بالأحرى فإنها تعنى أن اللوغوس غير متغير. لأنه بما أن طبيعة المخلوقات متغيرة والبعض تعدوا الوصية، والبعض الآخر قد تمردوا، كما سبق أن قيل فإن أعمالهم ليست أكيدة، بل يحدث كثيراً أن ذلك الذى هو صالح الآن، يتحول بعد ذلك ويصير شيئاً آخر. فمثلاً هذا الذى يكون الآن عادلاً، فبعد قليل يكون ظالماً لذا أيضاً، كان هناك احتياج إلى واحد غير متغير، لكى يحصل البشر على عدم تغير بر اللوغوس، كصورة ومثال لأجل تحقيق الفضيلة. أما مثل هذا التفكير فله أيضاً سبب معقول للذين يفكرون بإستقامة، لأنه بما أن الإنسان الأول آدم (1كو45:15) تعرض للتغير، وبسبب الخطية دخل الموت إلى العالم (رو12:5) من أجل هذا وجب أن يكون آدم الثانى غير متغير، حتى ولو استمرت الحية تزاول عملها، فإن خداعها يضعف، أما الرب، فلكونه غير متغير وثابت، تصير الحية عاجزة عن مساعيها ضد الجميع. لأنه مثلما سقط أدم فى العصيان. فإن الخطية "قد إجتازت إلى جميع الناس" (رو12:5)، وهكذا حينما صار الرب إنسانا، وحطم الحية. فإن قوته العظيمة هذه قد إنتقلت إلى جميع الناس، حتى يقول كل واحد منا "لأننا لا نجهل أفكاره" (2كو11:2).

ومن الصواب إذن، فإن الرب، الذى هو دائماً بحسب طبيعته غير متغير –. وهو الذى يحب البر، ويبغض الأثم، مسح (بضم الميم) وأرسل هو ذاته، لكونه هو ذاته. وهو باق هو هو، بإتخاذه جسداً متغيراً، لكى يدين الخطية فى الجسد (أنظر رو3:8)، ولكى يجعل ذات هذا الجسد حراً، ولكى يستطيع من الآن فصاعداً أن يتمم به حكم الشريعة، ولكى نستطيع أن نقول "نحن لسنا فى الجسد فى الروح، أن كان حقاً روح الله ساكناً فى داخلنا" (رو9:8).

52- أيها الآريوسيون، قد صار عبثاً مثل هذا الشك الذى صار فيكم، وعبثاً ما تدعونه وما تتعللون به من أقوال الإنجيل، لأن اللوغوس الذى هو كلمة الله إنما هو غير متغير، وهو مستمر دائماً فى حالة واحدة، ليس كيفما أتفق، بل هو مثل الآب. لأنه كيف يكون مثله، أن لم يكن هو نفسه كذلك؟

أو كيف يكون كل ما هو للآب، هو للابن أيضاً (أنظر يو15:16) ان لم يكن للإبن صفة عدم تغير الآب ودوامه؟. وبما أنه غير خاضع للقوانين الطبيعية بأن ينحاز لواحد ضد آخر. فإنه إذن لا يحب الواحد ويكره الآخر.

فلو أنه بسبب الخوف من السقوط ينحاز إلى واحد، فإنه حينئذ سينكشف من الجهة الآخرى، أنه متغير. ولكنه لكونه إله وكلمة الآب، فهو قاض عادل ومحب للفضيلة، وبالأحرى هو مانح الفضيلة. إذن فهو عادل وقدوس بطبيعته. فلهذا يقال أنه يجب البر ويبغض الأثم (أنظر أش8:61). وهذا يعادل القول القائل أنه يحب الصالحين ويمينهم. أما الظالمون فإنه ينفر منهم ويبغضهم لأن الكتب المقدسة تقول نفس القول عن الآب: "الرب عادل ويحب العدل" (مز7:11). و"يبغض كل فعلة الأثم" (مز6:5)، وأحب أبواب صهيون أكثر من جميع مساكن يعقوب" (مز2:87)، وأحب يعقوب وأبغض عيسو" (ملاخى3،2:1) وفى أشعياء كان صوت الرب أيضاً قائلاً "أنا هو الرب محب العدل ومبغض الاختلاس الناتج عن الظلم" (أش8:61) فينبغى إذن عليهم. أما أن يفسروا تلك الأقوال بنفس المعانى التى تعنيها هذه الأقوال أيضاً – لأن تلك الأقوال قد كتبت عن صورة الله – وأما فإنهم بإساءتهم تفسير هذه الأقوال كتلك، أيضاً، فإنهم سيضطرون إلى القول أن الآب هو متغير أيضاً.

ولكن بما أن مجر سماع الآخرين يقولون هذا القول، هو أمر له أخطار كثيرة، لهذا فإننا نفكر بالصواب بقولنا أن "الله يحب العدل ويبغض الاختلاس بالظلم". وهذا لا يعنى بأنه له ميل تجاه الواحد أو تجاه الآخر، ويقبل ما هو مضاد، لدرجة أنه يفضل هذا ولا يفضل ذاك، فهذه هى سمة المخلوقات، بل يعنى أنهن كقاض، يحب الأبرار ويعينهم ويعزف عن الأشرار. وتبعاً لهذا إذن، ينبغى أن نفكر بمثل هذه الأفكار عن "صورة الله" أيضاً بأنه هكذا يحب ويكره، لأن هذا ما يجب أن تكون عليه طبيعة "الصورة" مثل طبيعة الآب، حتى ولو كان الآريوسيون – لأنهم عميان – لا يرونها ولا يرون شيئاً آخر من الأقوال الإلهية.

وبسبب تناقص الأفكار فى قلوبهم أو بالأحرى سوء أفكارهم وخبلهم. فإنهم يلوذون مرة أخرى بنصوص الكتب المقدسة، التى عادة لا يشعرون بها، فلا يدركون معناها الصحيح – ولكنهم جعلوا من عدم تقواهم الذاتى قاعدة طابقوا عليها كل هذه الأقوال الإلهية وحرفوها. وعند مجرد ذكر مثل هذا التعليم فإنهم لا يستحقون سماع شئ آخر سوى "تضلون لأنكم لا تعرفون الكتب ولا قوة الله" (متى29:22). وأن تشبثوا بكلامهم فمن الواجب أن نسكتهم بالقول "أعطوا ما للناس للناس. وما لله لله" (أنظر متى21:22).

الفصل الثالث عشر:

شرح نصوص: ثالثاً: عبرانيين 4:1

"صائراً أعظم من الملائكة"

53- ولكنهم يقولون أنه مكتوب فى الأمثال "الرب أقامنى أول طرقه لأجل أعماله" (أم22:8). وأنه فى الرسالة الى العبرانيين يقول الرسول "صائراً أفضل من الملائكة بمقدار ما قد ورث اسماً أكثر تميزاً عنهم" (عب4:1). ويقول بعد قليل "من ثم أيها الاخوة القديسون شركاء الدعوة السماوية، ركزوا انتباهكم جيداً على رسول ورئيس كهنته اعترافنا يسوع، حال كونه أمينا للذى أقامه (عب1:3،2). وفى سفر الأعمال "فليعلم يقينا جميع بيت أسرائيل أن الله جعل يسوع هذا الذى صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً" (أع36:2).

هذه الأقوال يتفوهون بها فى كل مكان، ولديهم أفكار معوجة عنها ومحرفين معناها، مدعين بها أن كلمة الله مخلوق ومصنوع، وواحد من المخلوقات وهكذا يخدعون الجهلاء، متسترين تحت ستار هذه الأقوال التى يطرحونها.

ولكنهم بدلاً من المعنى الحقيقى، فإنه يلقون بذور سم هرطقتهم الخاصة. لأنهم "لو كانوا يعرفون، لما كانوا يجدفون على هذا الذى هو "رب المجد" (1كو8:2). ولما كانوا يحرفون معانى أقوال الكتاب الحسنة. إذن. فإن كانوا يتبنون أسلوب قيافاً صراحة. فإنهم يكونون تبعاً لذلك قرروا أن يتهودوا، حتى أنهم يجهلون المكتوب بأنه "حقاً سيسكن الله على الأرض" (أنظر زكريا10:2). دعهم لا يفحصون الأقوال الرسولية. لأن هذا ليس من سمة اليهود.

ولكن من الناحية الأخرى، إن كانوا يمزجون أنفسهم بالمانويين[(72)] الملحدين، وينكرون أن "الكلمة صار جسداً" (يو14:1) وينكرون "حضوره المتجسد" إذن فلا يكون من حقهم أن يستعملوا الأمثال، لأن هذا كان غريباً بالنسبة للمانويين. ولكن أن كان بسبب إثارة المشكلة، والربح الناتج من جشعهم، وبسبب طموحهم وحبهم للشهرة، لا يجسرون على إنكار أن "الكلمة قد صار جسداً" لأن هذا مكتوب حقاً، عندئذ، فأما أنهم من واجبهم أن يفسروا تلك الكلمات المكتوبة بخصوص "الحضور التجسدى للمخلص". تفسيراً صائباً، وأما، ان كانوا ينكرون القصد السليم، إذن، فلينكروا أن الرب قد صار إنساناً. لأنه لا يليق بهم أن يعترفوا بأن "الكلمة قد صار جسداً". ومن ناحية أخرى يستحون من المكتوب عنه، ولذلك فإنهم يحرفون معناه.

54- لأنه مكتوب "بهذا المقدار صار أعظم من الملائكة" (عب4:1) لذلك فمن الواجب أن نفحص هذا أولاً. والآن من الملائم كما نعمل فى كل الأسفار الإلهية. هكذا من الضرورى أن نعمل هنا أيضاً. فيجب أن نفهم بأمانة: العصر الذى كتب عنه الرسول. والشخص والموضوع اللذين كتب عنهما. لكى لا يجد القارئ نفسه – وهو يجهل هذه الأقوال أو غيرها. بعيداً عن المعنى الحقيقى. ولذلك فإن ذلك الخصى المحب للمعرفة – حينما عرف هذا توسل إلى فيلبس قائلاً: "أنى أسألك، عمن يقول النبى هذا. عن نفسه أم عن شخص آخر؟" (أع34:8) لأنه كان يخشى أن يحيد عن المعنى المستقيم. ويفهم الكلام عن شخص آخر من خلال قراءته. وايضاً التلاميذ بسبب رغبتهم أن يعرفوا وقت حدوث ما قاله الرب توسلوا إليه قائلين "قل لنا متى ستكون هذه الأمور؟. وما هى علامة مجيئك" (مت3:24). وأيضاً عندما سمعوا من المخلص

ما قاله عن النهاية. أرادوا أيضاً أن يعرفوا زمنها (أنظر متى36:24). وذلك لكى لا يضلوا هم. وأيضاً لكى يتمكنوا من تعليم الآخرين. فإنهم بعد أن عرفوا فقد صححوا (أفكار) الذين كانوا على وشك الضلال من أهل تسالونيكى[(73)].

لذا فعندما يكون لدى واحد من مثل هؤلاء معرفة كثيرة، عندئذ سيكون له فكر إيمان صحى ومستقيم. أما إذا أساء أحد فهم شئ من هذه، فإنه سينزلق فى الحال إلى الهرطقة. وهكذا ضل الذين يتبعون هيمنايس والأسكندر (1تيمو20:1). لأنه برغم أن الوقت لم يكن قد صار بعد. كانوا يقولون أن القيامة قد صارت بالفعل. (أنظر2تيمو18:2). فى حين أن الغلاطيين – بعد أن أكتمل الزمان – قد الوا الىن إلى الختان[(74)]. أما من جهة الشخص. فقد كابد اليهود ولا يزالون يقاسون حتى الآن، لأنهم يظنون أن هذه الآية "هوذا العذراء تحمل وستلد أبناً، وتدعون اسمه عمانوئيل، الذى تفسيره الله معنا" (أش14:7، متى23:1) تقال بخصوص واحد منهم (لا يزالون ينتظرونه) وأنه عندما قيل "سيقيم لكم الرب نبياً من وسطكم" (تث15:18، 1ع22:3) فأنهم يظنون أنه يتكلم عن واحد من أنبيائهم. أما القول "كشاه قد سيقت إلى الذبح" (أش7:53)، فأنهم لم يتعلموا من فيلبس إلى من يشير، بل ظنوا أنه يتكلم عن أشعياء أو عن نبى آخر من بين أنبياءهم

55– لذا فإن أعداء المسيح أنزلقوا إلى الهرطقة البغيضة بسبب معاناتهم من مثل هذه الامور. فأنهم لو كانوا قد عرفوا تماماً الشخص والموضوع والوقت المتعلق بالكلمة الرسولية. لما جدف أولئك الحمقى إلى هذا الحد – ناسبين الأمور الناسوتية إلى ألوهيته.

وفى استطاعة أى شخص أن يرى هذا، لو أنه فسر بداية الفصل تفسيراً جيداً فإن الرسول يقول "الله بعد ما كلم الآباء بواسطة الأنبياء قديماً. مرات كثيرة وبطرق متنوعة. كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة بواسطه ابنه" (عب1:1،2). وبعد قليل يقول "بعد ما صنع بنفسه تطهيراً لخطايانا جلس فى يمين العظمة فى الأعالى. صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما قد ورث اسماً أفضل منهم" (عب3:1،4).

أن القول الرسولى إذن يشير إلى الزمن الذى فيه "كلمنا بواسطة ابنه". عندما قد صار تطهير خطايانا أيضاً. فمتى "تحدث إلينا فى شخص ابنه". ومتى قد صار "تطهير الخطايا". ومتى قد صار إنساناً إلا بعد الأنبياء فى الأيام الأخيرة؟ وبما أنه كان يقص قصة التدبير الخاص بكل منا. وكان يتكلم من الأزمنة الأخيرة. فإنه لا ينقطع عن ذكر أن الله لم يكف عن التحدث إلى الناس خلال الأزمنة الماضية، لأنه تحدث إليهم بواسطة الأنبياء. ولأن الأنبياء قد خدموا، والشريعة أعلنت بواسطة الملائكة (عب2:2). والأبن أيضاً نزل وجاء لكى يخدم (متى28:20) لذا كان من الضرورى أن يضيف. "صائراً أعظم من الملائكة بمثل هذا المقدار" رغبة منه أن يوضح أن الابن بقدر ما يختلف عن العبد بقدر ذلك صارت خدمة الابن أفضل من الخدمة التى يقدمها العبيد.

إذن. بعد أن ميز الرسول بين الخدمة قديما وبينها حديثاً فأنه يقدم لليهود كاتباً وقائلاً "صائراً أعظم من الملائكة بمثل هذا المقدار"، لهذا فإنه لم يعقد مقارنة بينه وبين الكل (أى المخلوقات). بقوله أنه قد صار "أعظم". أو "أكثر كرامة" وذلك لكى لا يظن أحد بخصوصه وخصوصهم – أنهم أبناء جنس واحد. بل قد قال أنه "أفضل" وذلك لكى يكون معروفاً، إختلاف طبيعة الابن عن طبيعة المخلوقات. ولدينا الدليل على هذا من الكتب المقدسة. إذ يترنم داود قائلاً "يوم واحد فى ديارك خير من ألف" (مز10:84). أما سليمان فيهتف قائلاً:

"خذوا تأديبى لا الفضة. والمعرفة أكثر من الذهب المختار. لأن الحكمة خير من الأحجار الكريمة، وكل مادة ثمينة لا تساويها" (أم11،10:8).

لأنه كيف لا تكون الحكمة والأحجار المستخرجة من الأرض. مختلفة فى جوهرها، وهى بطبيعتها شئ آخر؟ وأية علاقة توجد بين الديار السماوية، وبين المساكن التى على الأرض؟ أم ما وجه التشابه بين الابديات والروحيات، وبين الأمور الوقتية والفانية؟ لأن هذا هو المعنى الذى يقوله أشعياء "هكذا قال الرب للخصيان الذين يحفظون سبوتى ويختارون ما يسرنى ويتمسكون بعهدى. أنى أعطيهم فى بيتى وفى أسوارى موضعاً ذائع الصيت، أفضل من البنين والبنات، وسأعطيهم اسماً أبدياً، ولن ينقطع" (اش5،4:56).

إذن، فلذلك فليست هناك علاقة قرابة بين الابن والملائكة وما دامت ليست هناك علاقة –فلهذا فإن كلمة "أفضل" لا تذكر للمقارنة، بل بحصافة وفطنة بسبب اختلاف طبيعة الابن عن طبيعة الملائكة. ونفس الرسول هو الذى فسر كلمة "أفضل" قائلاً أن هذا لا يكمن فى شئ آخر بل فى الفرق بين الابن والمخلوقات، كمن يقول أن هذا هو الابن، بينما المخلوقات هم العبيد. وكما أن الابن هو مع الآب "جالس عن يمينه". هكذا فإن العبيد يظهرون أمامه، "ويرسلون (ضمه على الياء) ويخدمون".

56– وبما أن هذه الأقوال مكتوبة هكذا، أيها الآريوسيون فأنه يستدل منها أن الابن ليس مخلوقاً، بل بالأحرى هو كائن آخر غير كل المخلوقات. فهو ابن ذاتى للآب كائن فى أحضانه. لأن ما هو مكتوب أيضاً: "صائراً" لا يعنى أن الابن مخلوق مثلما تظنون أنتم. لأنه لو كان قد قيل ببساطة "صائراً". وسكت، لكان لدى الآريوسيين عذر، حيث أنه قد تكلم من قبل عن الابن موضحاً من خلال كل الفقرة أنه كائن آخر غير المخلوقات. لهذا لم يدون "صائراً" بمعنى مطلق، بل ربط "أعظم" بـــ "صائراً" لأنه أعتبر أن هذا القول ليس مختلفاً. عالماً أن من يقول "صائراً" عن من يعترف (بضم الياء) به أنه ابن ذاتى، كمن يقول عنه أنه قد صنع، وأنه "أعظم" ذلك لأ المولود لا يتغير، حتى وأن قيل عنه أنه قد صار، أو أنه قد صنع.

أما المخلوقات فلأنها مخلوقة، فمن المستحيل أن يقال عنها أنها مولوده، إلا فيما بعد. أى بعد خلقتها. حينما تشترك فى الابن المولود. وفى هذه الحالة يقولون عنها أيضاً أنها قد ولدت، ليس بسبب طبيعتها الذاتية، بل بسبب مشاركتها للابن، فى الروح. وهذا أيضاً تعترف به الكتب الإلهية، التى تقول عن المخلوقات "كل شئ به كان. وبغيره لم يكن شئ" (يو3:1). "وكل أعمال بحكمة صنعت" (مز24:104). أما عن الابناء المولودين فيقول: "ولد لأيوب سبعة بنين وثلاث بنات" (أيوب2:1) "وكان لأبراهيم مئة سنة عندما ولد له أسحق ابنه" (تك5:21) أما موسى فقال: "أن ولد بنون لأى شخص" (أنظر حز4:21) لذلك فإن كان مختلفاً عن المخلوقات، وهو المولود الوحيد الذاتى لجوهر الآب، فقد أحبط إدعاء الأريوسيين بخصوص لفظة "صائراً".

لأنه، وإن كان على الرغم من خجلهم بسبب أحباطهم فإنه يضطرون أن يقولوا، أن الكلمات قد قيلت على سبيل المقارنة. ولهذا فإن الأقوال المقارنة هى من نفس النوع، حتى أن الابن يكون من نفس طبيعة الملائكة، فهم سيقعون فى العار مقدماً لأنه يحاكون ويؤكدون تعاليم فالنتينوس وكاربوكراتوس[(75)] وغيرهما من الهراطقة.

فالأول منهما قال أن الملائكة من نفس طبيعة المسيح، أما كاربوكراتوس فيقول أن الملائكة هم الذين خلقوا العالم، فربما تعلموا منهم أيضاً أن يقارنوا "كلمة الله" بالملائكة.

57- ولكنهم بتخيلهم مثل هذه الأمور، فإن المرنم يخجلهم بقوله "من يكون شبيهاً بالرب من بين أبناء الله" (مز1:89). "من يشبهك بين الآلهة يا رب؟" (8:86). إلا أنهم – إن كانوا يريدون أن يعرفوا – سيسمعون الجواب، بأن الأمور المتعلقة بالمقارنة إنما تكون بين المتماثلين فى الجنس، وليس بين غير المتجانسين.

إذن، فليس فى وسع أحد، أن يقارن الله بالإنسان. كما أنه لا يمكنه مقارنة الإنسان بالخيل، ولا الأخشاب بالأحجار نظراً لعدم تشابه طبيعتهما. لكن الله هو جوهر لا نظير له ولا يقاس بغيره. أما الإنسان فإنه يقارن بإنسان، كما يقارن الخشب بالخشب، والحجارة بالحجارة. وليس فى وسع أحد أن يستخدم قط عن هذه الأشياء كلمة "أعظم" بل يستعمل كلمات مثل "نوعاً ما" و "أكثر". فمثلاً كان يوسف جميلاً نوعاً ما بين أخوته. وراحيل أكثر جمالاً من ليئه. وليس نجم "أفضل" من نجم. ولكنه يختلف نوعاً ما فى المجد (أنظر 1 كو41:15). أما فى حالة الأشياء غير المتشابهة. فعند مقارنة هذه الأشياء بعضها ببعض، فعندئذ يقال "أفضل" عن الأشياء التى لها نوعية مغايرة. مثلما سبق أن قيل عن الحكمة والأحجار الكريمة.

إذن فإن كان الرسول قد قال "أن الابن أرقى بكثير من الملائكة" أو هو "أعظم بدرجة أكبر" لكان لكم العذر أن تقارنوا الابن بالملائكة. أما الآن فبقوله أنه "أفضل" وأنه يختلف بدرجة كبيرة بقدر ما يختلف الابن عن العبيد، فإنه يبين أنه مختلف عن طبيعة الملائكة.

ومرة أخرى، عندما يقول أنه هو "الذى أسس جميع الأشياء" (أنظر عب10:1). يبين أنه مختلف عن جميع المخلوقات. وبما أنه مختلف تماماً فى جوهره عن طبيعة المخلوقات. فأى مقارنة أو مضاهاة لجوهرة يمكن أن توجد بالمقارنة مع المخلوقات؟ لأنهم إن استعادوا – إلى ذاكرتهم من جديد شيئاً من هذا. فلا شك أن بولس سينفذها لهم عندما يقول: "لأنه لم من الملائكة قال قط. أنت أبنى وأنا اليوم ولدتك" (عب5:1). ويقول عن الملائكة "الصانع ملائكته أرواحاً وخدامه لهيب نار" (عب7:1).

58- فها هو ذا إذن يستخدم فعل "يصنع" عن المخلوقات وهو يقول عنها أنها مصنوعة. أما بخصوص الابن فلم يستخدم كلمة "صنع" ولا "صيرورة" بل يقول عنه أنه "الأبدى" و "الملك" "وكونه الخالق". عندما تكلم قائلاً: "عرشك يا الله إلى دهر الدهور" (عب8:1). "وأنت يا رب فى البدء أسست الأرض. والسموات هى عمل يديك. وهى ستبيد ولكنك أنت ستبقى" (عب10:1،11). ومن هذه الكلمات يمكنهم أن يفهموا – إن كانوا يريدون – أن الخالق هو آخر غير المخلوقات. أما المخلوقات فهى شئ آخر غيره، وأنه هو الله. أما تلك المخلوقات فقد صنعت من العدم. لأن ما يقوله هنا "هذه ستبيد"، لم يقله لأن الخليقة ستصير الى زوال. بل لكى يبين طبيعة المخلوقات. من النهاية التى ستؤول إليها". لأن تلك التى لها قابلية الهلاك، حتى وإن لم تكن هلكت بعد – بسبب فضل ذاك الذى خلقها – إلا أنها قد خلقت من العدم – مما يشهد بأن هذه الأشياء لم تكن موجودة يوماً ما. من أجل هذا إذن، حيث أن مثل هذه الأشياء لها مثل هذه الطبيعة فإنه يقال عن الابن القول "أنت ستبقى". لكى تتضح أبديته. لأنه حيث أنه ليس فيه إمكانية الفناء، كما يحدث للمخلوقات – بل له الدوام إلى الأبد، فليس ملائماً أن يقال عنه: "لم يكن موجوداً قبل أن يولد". فإنه هو نفسه الموجود دائماً، والدائم مع أبيه. وحتى لو لم يكن الرسول قد كتب هذا فى الرسالة إلى العبرانيين إلا أنه فى رسائله الأخرى.

بل كل الكتاب المقدس يحول دون تخيل مثل هذه التصورات عن "اللوغوس". وحيث أن الرسول كتب هذا. وكما قد أتضح من قبل. أن الابن هو مولود جوهر الآب، وأنه هو الخالق، وأن المخلوقات خلقت بواسطته. وأنه هو أيضاً "البهاء". و"واللوغوس" "والصورة". "وحكمة الآب". فى حيث أن المخلوقات أحط من الثالوث. وهم يساعدون ويخدمون. ولذلك فإن الابن مختلف فى النوع. ومختلف فى الجوهر بالنسبة إلى المخلوقات. وبالأحرى فإنه هو من ذات جوهر الآب ومن نفس طبيعته

لذلك فإن الابن نفسه لم يقل "أبى أفضل منى" حتى لا يظن أحد أنه غريب عن طبيعة الآب. بل قال "أعظم منى" (يو28:14)، ليس من جهة الحجم ولا من جهة الزمن، بل بسبب ميلاده من أبيه ذاته، فأنه حتى عندما يقال "أعظم منى" أظهر مرة أخرى أنه من ذاتية جوهره (الذاتى)(*).

59- والرسول نفسه عندما قال "صائراً أفضل من الملائكة بمثل هذا المقدار". لم يقل هذا ليس لأنه أراد أولاً أن يقارن جوهر اللوغوس بالمخلوقات - لأنه لا يوجد وجه للمقارنة. أو بالأحرى فإن الواحد منهما غير الآخر تماماً. ولأنه وهو يرى "حضور اللوغوس التجسدى" إلينا، والتدبير الصائر منه عندئذ. فإنه يوضح أن اللوغوس ليس مشابها للذين سبقوا أن جاءوا قبله. وهذا لكى يوضح أنه بقدر ما يختلف هو (اللوغوس) بحسب الطبيعة عن الذين أرسلهم قبله، بقدر ما كانت النعمة الصائة منه وبه أفضل أعظم من خدمة الملائكة. لأن العبيد كانوا مختصين فقط بالمطالبة بالثمار وليس أكثر (متى34:21). أما الابن والسيد فكان يحق له أن يصفح عن ديونهم وأن يسلم الكرم إلى آخرين.

هذا إذن الذى يذكره الرسول بعد ذلك، يوضح اختلاف الابن عن المخلوقات قائلاً: "لذلك يجب أن نتنبه أكثر إلى ما سمعناه حتى لا نبتعد عنه. لأنه إن كانت الكلمة التى نطق بها ملائكة قد صارت ثابتة وكل تعد ومعصية نال جزاء عادلاً. فكيف ننجو أن أهملنا خلاصاً هذا مقداره؟ هذا الخلاص الذى بدأ الرب التحدث به، ثم تثبت من الذين سمعوه" (عب1:2-2). فإن كان الابن معدوداً واحداً من المخلوقات، لما كان أفضل منهم، ولما أختص من يعصاه بأعظم قدر من العقاب بسببه. لأنه فى خدمة الملائكة لم يكن مسموحاً لأى واحد منهم أن يتمكن من معاقبة المخالفين سواء بأكثر أو بأقل، بل كانت الشريعة واحدة، وكان الحكم واحداً بالنسبة إلى المخالفين.

ولكن حيث أن اللوغوس ليس معدوداً بين المخلوقات بل هو ابن الآب، لذلك فبقدر ما كان هو أفضل، كلما كانت الأعمال الخارجة منه، أفضل ومغايرة، وكلما وجب أن تكون العقوبة أشد. إذن دعهم ينتظرون النعمة الممنوحة عن طريق الابن. وليدركوا هذا المشهود له بواسطة الأعمال أنه مختلف عن المخلوقات وأنه وحده الإبن الحقيقى الذى فى الآب، والآب فيه.

والشريعة نطق بها بواسطة ملائكة، وهى لم تكمل أحداً، بسبب إحتياجنا إلى مجئ اللوغوس إلينا مثلما قال بولس (أنظر عب19:7). أما مجئ اللوغوس فقد أكمل عمل الآب. (يو4:17) وفى ذلك الوقت كان "الموت قد ملك من آدم إلى موسى" (رو14:5) أما حضور اللوغوس فقد "أبطل الموت" (2تى 10:1) ولم نعد بعد "نموت جميعاً فى آدم، بل فى المسيح سيحيا (بضم الياء الأولى) الجميع" (1كو22:15) وعندئذ كان ينادى بالشريعة من دان إلى بئر سبع. "وكان الله معروفاً فى اليهودية" (مز1:76) وحدها. أما الآن فقد "خرج صوتهم إلى كل الأرض"

(مز4:19). "وقد أمتلأت الأرض من معرفة الله" (أش9:11). "والتلاميذ تلمذوا كل الأمم" (متى19:28). واليوم تم المكتوب "ويكون الجميع متعلمين من الله" (يو45:6، أش13:54).

وفى ذلك الوقت كانت تلك الشواهد مجرد مثال، أما الآن فقد ظهرت الحقيقة نفسها. وهذا يفسره الرسول مرة أخرى بعد ذلك بشكل أوضح عندما يقول: "على قدر ذلك قد صار يسوع ضامناً كعهد أفضل" (عب22:7) ومرة أخرى يقول "ولكن يسوع الآن قد حصل على خدمة أفضل بمقدار ما هو وسيط لعهد أفضل قد تثبت على تعهدات أفضل" (عب6:8)، و "لأن الناموس لم يكمل شيئاً. ولكن يصير إدخال رجاء أفضل" (عب19:7) ويقول مرة أخرى "فكان يلزم أن أمثلة الأشياء التى فى السموات تطهر بهذه الأساليب، أما السماويات عينها فإنها تطهر بذبائح أفضل من هذه" (عب23:9). والآن إذن، فإن كلمة "أفضل" تشير كلية إلى الرب، الذى هو أفضل من سائر المخلوقات. ومميزاً عنها. ذلك لأن ذبيحته أفضل، والرجاء فيه أفضل. والوعود المعطاة بواسطته 0 ليست لمجرد مقارنتها كعظيمة أمام أخرى صغيرة، بل لكونها مختلفة عن الأخرى بحسب طبيعتها. لأن مدبر هذه الأمور هو "أفضل" من المخلوقات.

60- وأيضاً قوله "قد صار ضامناً"، أى الضمانة المعطاة منه لأجلنا. لأن اللوغوس قد "صار جسداً"، فإننا نعتبر "الصيرورة" أنها تشير إلى الجسد، لأن "الجسد مخلوق وهو مصنوع". وهكذا أيضاً كلمة "قد صار" فإننا نفسرها بحسب مدلولها الثانى. وذلك بسبب صيرورته إنساناً. وعلى المعارضين أن يعرفوا أنهم ينزلقون بسبب سوء نيتهم هذه.

وليعرفوا إذن أن بولس الذى عرفه "كإبن" و"حكمة" و"بهاء" و"صورة" الآب، لم يقصد أن جوهر "اللوغوس" قد "صار" بل تعتبر "الصيرورة" هنا لخدمة ذلك العهد الذى كان فيه الموت سائداً يوماً، وهو قد أبطل هذا الموت.

وبحسب هذا فإن الخدمة من خلاله قد صارت أفضل، إذ أيضاً "لأن ما كان الناموس عاجزاً عنه حينما كان ضعيفاً من ناحية الجسد، فالله إذ أرسل ابنه فى شبه جسد الخطيئة ولأجل الخطيئة دان الخطيئة فى الجسد" (رو3:8) نازعاً الخطيئة من الجسد. الذى كان أسيراً لها على الدوام لدرجة أنه لم يستوعب الفكر الإلهى. وإذ جعل الجسد قادراً على تقبل "اللوغوس" فإنه خلقنا حتى "لا نسلك بعد بحسب الجسد بل بحسب الروح". ونقول ونكرر نحن "لسنا فى الجسد بل فى الروح" (رو9:8)، وأن ابن الله جاء "إلى العالم لا لكى يدين العالم" بل لكى يفدى الجميع "ويخلص به العالم" (يو17:3). لأنه سابقاً إذ كان العالم – كمسئول – وكان يدان بواسطة الناموس. أما الآن فإن اللوغوس أخذ الدينونة على نفسه، وبتألمه لأجل الجميع بالجسد. وهب الخلاص للجميع. هذا ما رآه يوحنا فصاح قائلاً "الناموس بموسى أعطى. أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا" (يو17:1). فالنعمة أفضل من الناموس، والحقيقة أفضل من الظل.

61- إذن. فإن "الأفضل" – كما سبق أن قيل، لم يكن ممكنا أن يصير بواسطة أى شخص آخر بل بواسطة الإبن "الجالس عن يمين أبيه". وما الذى يعنيه هذا سوى أصالة الابن وأن ألوهية الآب هذه إنما هى ألوهية الابن؟

فإن الإبن وهو مالك ملكوت الآب، فإنه يجلس فى ذات العرش مع الآب، ونراه مرتبطاً بألوهية الآب. إذن فاللوغوس هو الله، و "الذى يى الابن يرى الآب" (يو9:14). وهكذا فهو إله واحد.

إذن فبجلوس الإبن عن اليمين، لا يعنى بذلك أن الآب على يساره بل يعنى أن ما يكون يميناً وكريماً فى الآب، فهذا أيضاً يكون للابن. وهو يقول "كل ما هو للآب فهو لى" (يو15:16). ولذا فإن الابن وهو جالس على اليمين يرى الآب نفسه على اليمين، بالرغم من أنه بصيرورته إنساناً يقول "أنى أرى الرب أمامى فى كل حين، أنه عن يمينى لكى لا أتزعزع" (مز8:16). وهذا يوضح أيضاً أن الإبن فى الآب، والآب فى الإبن (أنظر يو10:14) ولكون الآب على اليمين يكون الإبن على اليمين. ومثلما يجلس الابن على اليمين يكون الآب فى الإبن. والملائكة يخدمون صاعدين ونازلين.

أما عن الابن فيقول "ولتسجد له كل ملائكة الله" (عب6:1). عندما تقوم الملائكة بالخدمة يقولون "أرسلت (بضم الألف) اليك" (لو19:1). "الرب قد أوصى" (أنظر مز11:91).

أما الابن فإنه يقول وهو فى الصورة البشرية: "الآب قد أرسلنى" (يو36:5) وإنه "أتى لكى يعمل" (يو36:5) ولكى "يخدم" (يو36:5) إلا أنه لكونه "اللوغوس" و"الصورة" يقول "أنا فى الآب والآب فىّ" (يو10:14)، "ومن رآنى فقد رأى الآب" (يو9:14) "والآب الحال فى هو الذى يعمل الأعمال" (يو10:14). لأن الأشياء التى نراها فى تلك الصورة، فهذه هى أعمال الآب. إن ما سبق أن قيل كان ينبغى أن يخجل الذى يصارعون ضد الحق. ولكن إن كانوا بسبب ما كتب "صائراً أفضل" يرفضون أن يفهموا أن "صائراً" إنما تقال عن الإبن فى حالة صيرورته إنساناً. أو تقال عنه بسبب الخدمة الأفضل التى صارت بالتجسد، كما قلنا. بل يفهمون بهذه العبارة أن اللوغوس مخلوق، فليسمعوا مرة أخرى بإيجاز هذه الأقوال لأنهم قد نسوا ما كان قد قيل.

62- لأنه لو كان الابن يحسب من بين الملائكة، واستعملت كلمة "صائراً" عنه كما عن الملائكة. وإن كان لا يختلف عنهم فى شئ بحسب الطبيعة: ففى هذه الحالة، أما أن يكون الملائكة جميعاً أبناء، أو يكون هو ملاكاً. وهكذا فإما أن الجميع يجلسون عن يمين الآب، أو أن يقف الابن مع الملائكة "كأحد الأرواح الخادمة المرسلة للخدمة" (عب14:1) مثله مثل الملائكة.

ولكن من الجهة الأخرى. إن كان بولس قد ميز بين الابن والمخلوقات قائلاً "لأنه لمن من الملائكة قال قط أنت أبنى" (عب5:1). لأن الابن قد خلق السماء والارض، أما الملائكة فإنهم قد خلقوا بواسطته، هو يجلس مع الآب، أم هم فيقفون ويخدمون، فلمن لا يكون واضحاً أنه لم يستعمل "صائراً" عن جوهر اللوغوس، بل عن الخدمة الصائرة منه؟.

فكما أنه لأنه "اللوغوس" قد "صار جسداً"، فإنه حينما صار إنساناً، فإنه فى خدمته "قد صار أفضل بمثل هذا القدر" من الخدمة الصائرة من الملائكة. وبقدر ما يختلف الابن عن العبيد، والخالق عن المخلوقات هكذا فليكفوا عن إعتبار كلمة "صائراً" أنها عن جوهر الابن، لأن الابن ليس من بين المخلوقات، وليعلموا أن "صائراً" إنما تشير إلى خدمته، والتدبير الذى صار فعلاً.

أما كيف قد صار أفضل فى الخدمة، إذ هو أفضل بالطبيعة عن المخلوقات فهذا يثبت مما سبق أن قلناه، وأعتقد أنه يكفى لتخجيلهم. ولكنهم أن استمروا فى إنكارهم، ففى هذه الحالة يكون من المناسب أن نقاوم جسارتهم المتهورة، ونعارض أولئك بنفس الأقوال التى قيلت عن الآب ذاته.

وهذا يؤدى أما إلى تخجيلهم لكى يكفوا ألسنتهم عن الشر، وأما أن يعرفوا إلى أى مدى سحيق وصل جنونهم.

أنه مكتوب "لتكن لى إله معين. وبيت أحتمى به لكى تخلصنى" (مز2:31) وأيضاً "صار الرب ملجأ للمعدم" (مز9:9) وغيرها كثير مثلها فى الكتب المقدسة. فإن كانوا يقولون أن هذه الأقوال قد كتبت عن الابن وهو المحتمل أن يكون هكذا حقاً، فيجب عليهم أن يعرفوا بأن القديسين يطلبون اليه بإلحاح أن يكون معيناً لهم وبيت إحتماء. لأنه ليس بمخلوق. ولذلك فإن "صائراً" و"صنع" ولفظ "قنى" من الواجب فهمها أنها تشير إلى حضوره المتجسد، لأنه بتجسده قد "صار معيناً"، "وبيت حماية" عندما "حمل خطايانا فى جسده على الخشبة" (1بط24:2)، وهو الذى قال "تعالوا إلى يا جميع المتعبين والثقيلى الأحمال، وأنا أريحكم" (متى28:11).

63- إلا أنهم أن قالوا أن هذه الأقوال إنما هى عن الآب، فهل سيحاولون أن يقولوا أن الله مخلوق بسبب ما جاء فى هذه الأقوال من عبارات "لتكن لى" أو "صار الرب" نعم أنهم سيتجاسرون على ذلك مثلما يفكرون بنفس الأفكار عن اللوغوس. لكن حاشا أن يأتى قط مثل هذا التفكير إلى فكر أى واحد من المؤمنين فالابن ليس من بين المخلوقات، كما أن المكتوب هنا "لتكن" "وصار" لا يعنى بداية الوجود، بل يعنى المعونة التى تعطى للمحتاجين إليها. لأن الله هو هو دائماً، أما الناس فقد صاروا بعد ذلك بواسطة اللوغوس، حينما أراد الآب ذاته. فإن الله لا يرى. ولا يمكن الدنو منه بالنسبة إلى المخلوقات. وخاصة بالنسبة للناس. إذن فعندما يتوسل الناس فى ضعفهم. ويطلبون العون وهم مطاردون، وعندما يصلون وهم مظلومون، فإن غير المنظور – لكونه محباً للبشر – يظهر لهم بوجوده وأحسانه الذى يقدمه بواسطة وفى شخص "كلمته" الذاتى. وحينئذ تكون علامات الظهور بحسب حاجة كل واحد فيظهر قوياً للضعفاء، ويظهر "ملجأ" للمطرودين. "وبيت حماية" للمظلومين" ويقول "بينما أنت تستغيث، أقول هأنذا أنى حاضر بجوارك" (أش9:58).

فأن معونة تأتى لأى واحد بواسطة الإبن، فإن ذلك الواحد يقول أن الله قد "صار" له، حيث أن المساعدة من الله قد صارت بواسطة اللوغوس وأن عادة استعمال الناس تعرف هذا الأمر، والجميع يعترفون بهذا ويتكلمون بالحق.

وكثيراً ما أعطى البشر معونة لبشر مثلهم، فهناك من يتعاطف مع المصاب مثلما فعل إبراهيم مع لوط (أنظر تك13:14-16). وهناك من فتح داره للمطرود، كما فعل عوبديا لبنى الأنبياء (1ملوك4:18). وهناك من أراح الغريب، ملما أراح لوط الملائك (أنظر تك3:19)، وهناك من أعطى للمحتاجين، مثلما أعطى أيوب للذين سألوه (أنظر أيوب15:29-16) فلو قال واحد من هؤلاء الذين نالوا المعونة: "مثل هذا المعين قد صار لى" ولو قال آخر "صار لى ملجأ". ويقول آخر "قد صار واهب". فأنهم عندما يقولون لا يقصدون بداية وجود المحسنين إليهم. ولا جوهرهم، بل يقصدون الإحسان الصائر إليهم من أولئك المحسنين. هكذا عندما يقول القديسون، عن الله أنه "قد صار" "ولتكن لى" فإنهم لا يعنون أى بدء للوجود، لأن الله ليس له بداية، وليس مخلوقاً، بل يقصدون الخلاص الذى صنعه هو للبشر.

64- فإن كانت الأمور تفهم هكذا، فإنهم سيفهمون هكذا عن الابن أيضاً، حينما يقال "قد صار" و "لتكن" حتى أنه حينما نسمع القول "صائراً" أفضل من الملائكة" (عب4:1)، "وقد صار"، فحاشا أن نفكر فى أية بداية لوجود اللوغوس، ولا أن نتخيل أبداً من مثل هذه الأفكار أنه مخلوق. بل يجب أن نفهم ما يقوله بولس أنه يشير إلى الخدمة والتدبير الخاص بصيرورته

إنساناً. لأنه عندما "صار الكلمة جسداً وسكن فلينا" (يو14:1). جاء لكى يخدم" (متى28:20). ولكى يهب للجميع خلاصاً، وعندئذ صار لنا خلاصاً. وصار لنا حياة. وصار فداء. عندئذ فإن تدبيره من أجلنا "قد صار أفضل من الملائكة". وصار طريقاً. وصار قيامته.

وكما أن القول "لتكن لى إله معين" (مز2:31) لا يشير إلى صيرورة جوهر الله ذاته، بل تشير إلى محبته للبشر، كما قيل، هكذا الآن: "صائراً أفضل من الملائكة" و"صار". و"بقدر هذا قد صار يسوع ضامناً أفضل" (عب22:7)، لا تعنى أن جوهر اللوغوس مخلوق (حاشا). بل يقصد الإحسان الصائر لنا بتأنسه، رغم جحود الهراطقة. ومشاغبتهم بسبب عدم تقواهم.

(تمت المقالة الأولى وتليها الثانية)

ملحـــق:

الآريوسيــــة

للبروفسور ب. ك خريستو

أستاذ الآباء بجامعة تسالونيكى باليونان

ولد أريوس فى ليبيا بعد منتصف القرن الثالث بقليل، ودرس بمدرسة لوكيانوس بأنطاكية حيث كان زميل دراسة لبعض الأشخاص الذين أرتقوا فيما بعد إلى درجات الرئاسة الكهنوتية. وهم الذين عضدوه ودفعوا به للمضى فى طريق الكفاح لأجل نشر أفكاره.

وكل هؤلاء الزملاء الذين درسوا فى مدرسة لوكيانوس صاروا يلقبون بأسم "اللوكيانيين" أو "الاتحاد اللوكيانى". وهذا لا يمنع أن آريوس درس أيضاً فى مدرسة الاسكندرية اللاهوتية قبل دراسته بأنطاكية.

ويمكن أن يقال أن آريوس جمع فى تعليمه بين إتجاهين مختلفين لمدرستى أنطاكية والاسكندرية. وفيما بعد أخذ المنتمون لمدرسة أنطاكية يهاجمونه ويتهمونه بأنه سكندرى، فى حين أن المنتمين إلى مدرسة الأسكندرية كانوا يحاربونه متهمينه بأنه أنطاكى.

أستوطن أريوس فى الاسكندرية حيث رسمه الأسقف بطرس كاهنا.. وأظهر فى أول حياته ميولاً متعصبة متمردة لأنه قبل رسامته وبعدها كان منضماً للأسقف المنشق ميليتوس أسقف ليكوبوليس (أسيوط).

ولهذا السبب جرد من رتبته الكهنوتية، إلا أنه فيما بعد أعيد مرة أخرى إلى رتبته على يد الأسقف أخيلاس خليفة الأسقف بطرس. وما لبث أن عمل على تأييد إنتخاب الكسندروس أسقفاً

للاسكندرية خلفاً لأخيلاس. وإن كان أريوس نفسه قد أستطاع بتأثير ثقافته وصفاته الشخصية أن يصير ذو شأن كبير فى المدينة.

إلا أنه بعد بضعة سنوات (حوالى عام 318م) اصطدم مع الكسندروس بسبب الإختلاف حول تفسير نص فى الكتاب المقدس خاص بشخص ابن الله. وكان الكسندروس قد أعطاه – كما أعتاد الأسقف أن يفعل مع الكهنة – موضوعاً ليبحثه. وفى الشرح الذى قدمه أريوس حاول أن يعبر عن ابن الله بمفاهيم مخالفة للإيمان المستقيم.

رأى الكسندروس فى تقرير آريوس محاولة للتقليل من شأن ابن الله وتحقيره... وأثبتت الاتصالات بين الرجلين على أن آريوس أصر على رأيه وأعتبر أفكار الكسندروس أنها سابيلية[(1)]. وبالرغم من هذا فإن الأسقف لم يتعجل فى اتخاذ أى اجراء ضد كاهنه. إلا أنه فيما بعد أضطر الأسقف أن يتخذ قراراً من مجمع قسوس الكنيسة، أدان فيه أريوس بسبب بدعته وقطعه من شركة الكنيسة.

رحل أريوس الى فلسطين ثم اتجه إلى سوريا فآسيا الصغرى. وتمكن من أن يجمع حوله عدد من الأساقفة وأفقوه على آرائه، وكان من بين هؤلاء "أوسابيوس أسقف فيقوميديا" اللوكيانى، "وأوسانيوس أسقف قيصرية" الأوريجانى. وان الأساقفة الذين تجمعوا حوله قد أيدوه وبرأوه فى مجمع عقدوه. وطالبوا بأن يعود مرة أخرى الى الكنيسة.. وسرعان من كتب أريوس أقراراً وافقوا عليه فى مجمع عقدوه فى نيقوميديا، وأرسله كرسالة إلى أسقف الاسكندرية الذى رفضه. ودعا بالطبع إلى مجمع بالاسكندرية سنة 318م اعتمد ادانة أريوس.

وبعد ذلك بقليل، بسبب الاضطرابات التى نشأت نتيجة للمصادمات التى وقعت بين قسطنطين الكبير وليكينيوس، تمكن آريوس من العودة مرة أخرى إلى الاسكندرية. حيث أخذ بعمل بحماس شديد وبأساليب مبتكرة لأجل ترويج أرائه ونشرها بين الجماهير عن طريق الأحاديث والأشعار... وقد ساعد على نشر أريوسيته ما كان يظهر به أريوس من مظاهر الورع والتقوى إلى جانب ما يتصف به من الكبرياء والتباهى وحبه للنضال.. وكان يجرى مباحثاته اللاهوتية مع الشعب. فأنتهز الوثنيون تلك الفرصة وأخذوا يسخرون من المسيحية فى مسارحهم بسبب تلك المناقشات[(2)].

وهكذا أثار هذا الموقف قلق قادة الكنيسة. كما أزعج الامبراطور أيضاً، الذى رأى أن هذه المشاكل ستكون خطراً على السلام الذى حققه بجهود مضنية وكفاح مرير ولكنه لم يتوقع أن تكون خطراً على السلام على المدى البعيد. لذلك فهو إذ رأى أن هذه المعركة تبدو أمراً تافهاً لا يستحق أن يصدر له نطقاً سامياً، فأكتفى بأن أرسل "هوسيوس" أسقف قرطبة بأسبانيا إلى الاسكندرية بخطاب إلى رؤساء الأطراف المتنازعة[(3)]. ولكن هذه المحاولة لم تأت بأية نتيجة. عندئذ دعا الأمبراطور إلى مجمع عام يعقد فى نيقية عام 325 والذى أشتهر بأسم، "المجمع المسكونى الأول"...

وقد أدان هذا المجمع تعاليم أريوس وحرم أسقف نيقوميدية مع ثلاثة أساقفة أخرين لتأييدهم لتعاليم أريوس. أما أريوس فأنه فى البدء أُرسل إلى نيقوميديا مكبلاً بالقيود، ثم نفى بعد ذلك إلى الليريا... ألا أنه على الرغم من هذه التدابير فإن هذه المحاولة للتهدئة لم تنجح، لأن أصدقاء أريوس أستمروا فى نشر مبادئه وتعاليمه... ولذا أقتنع قسطنطين – بواسطة العناصر المهادنة للأريوسية والمحبة لها، وتأثر بهم. مما جعله يستدعى أريوس من منفاه عام 327.

وبعد تحريض من أسقف نيقوميديا عرضوا صيغة إعتراف إيمان على الأمبراطور أخفوا عنه فيها. حقيقة عقيدة أريوس، وكانت كنيسة نيقوميديا قد وافقت على هذه الصيغة فى المجمع الذى عقد بها. إلا أن الأرثوذكسيين لم يجبروا على منح أريوس العفو. حتى أن الكسندروس أسقف الأسكندرية وأثناسيوس الذى خلفه لم يقبلاه فى الاسكندرية.

ولم يرغب قسطنطين حينئذ أن يؤزم المسائل أكثر بأن يفرض على أسقف الاسكندرية – بأن يقل أريوس. بل أنه فى الواقع عندما طلب أنصار أريوس من الأمبراطور – برسالة محررة بلهجة شديدة – أن يتدخل لأجل تأمين عودة أريوس إلى الاسكندرية، غضب قسطنطين وأعاد أدانتهم بمرسوم آخر أسماهم فيه "بالبورفوريين" أى أنهم مشايعون لتعليم "بورفيريوس"[(4)].

وبعد وساطات متعددة غيروا مرة أخرى من مشاعر قسطنطين ورحل أريوس إلى القسطنطينية حيث أعترف بالإيمان الأرثوذكسى أمام الأمبراطور وتمسك بأن يصير مقبولاً بطريقة رسمية على نطاق أوسع بالكنيسة. إلا أن الأمر بتحديد موعد بقبوله فى كنيسة القسطنطينية قد تلاشى نهائياً، إذ أن أريوس سقط ومات فى مرحاض عام فجأة ليلة الموعد المحدد لقبوله[(5)].

مؤلفاته:

أستحوذ أريوس على مركز هام فى التاريخ الكنسى، لكنه لم يترك أثاراً كثيرة. فقد كتب أعمالاً قليلة نسبياً وصلنا منها النذر اليسير. وهذه الكتابات التى وصلتنا عبارة عن رسائل خارجية. إلا أنها فى واقع الأمر تحوى إعترافاته وهى:-

(أ) رسالة إلى أسقف نيقوميدية:

وقد حفظها لنا إبيفانيوس فى كتابه "باناريون"[(6)]. وكذلك ثيئودوريتس فى كتابه "التاريخ الكنسى"[(7)]. وفى هذه الرسالى يحتج على تحامل الكسندروس ضده وضد أتباعه ويعرض أراءه وتعاليمه فى صراحة تامة. ويقول أن الابن إله لكنه "ليس غير مولود Agenntos" "ولا جزء من غير المولود" وفى النهاية يستنجد باوسابيوس أسقف نيقوميديا مسميا إياه أنه من "الاتحاد اللوكيانى".

(ب) رسالة إلى الكسندروس أسقف الاسكندرية:

حفظت هذه الرسالة فى أعمال "أثناسيوس عن المجامع"[(8)]. وفى كتاب "باناريون" لابيفانيوس[(9)]. كما حفظت باللغة اللاتينية فى كتاب "الثالوث لايلارى"[(10)]. وهى الاعتراف الإجمالى الى كان قد قدمه لمجمع نيقوميديا الأول والذى عقده الأريوسيون المنفيون. وفى هذه الرسالة تحاشى التعبيرات المثيرة وأعتبر أن "الأبن قد ولد قبل كل الدهور". إلا أنه لم يكن موجوداً من قبل أن يولد.

(ج) إعتراف الإيمان:

حفظت هذه الرسالة فى التاريخ الكنسى لسقراط[(11)] والتاريخ الكنسى لسوزومينوس[(12)]. وفى هذه الرسالة حجب عقيدته الحقيقية وقال بأن الإبن قد ولد قبل كل الدهور (لأنه لو كتبت كلمة

gegennimenos المولود" بحذف حرف n منها أى gegenimenos لتغير معناها وأصبحت تعنى المخلوق وليس المولود.

(د) "ثاليـــــا":

حفظ أثناسيوس فى كتاباته بعض نصوص هذا الكتاب[(13)]. وكلمة "ثالثا" معناها مأدبة أدبية. وقد دبجها كلها تقريباً بأبيات منظومة وبلحن نسائى. وفى إفتتاحيتها نجده يظهر نفسه أنه مملوء بالعقيدة والعواطف الشجية عندما يتعرض للحديث عن الله..

"بحسب إيمان مختارى الله... عارفى الله...

أبناء قديسين. ذوى التعاليم الشرعية الثابتة.. حاصلين على روح الله القدس...

أنا نفسى تعلمت هذا .. من حكمة المشاركين.. السابقين.. عارفى الله..

حسب كل أقوال الحكماء.. أتيت أنا مقتفياً أثر كل هؤلاء..

وأنا ذو السمعة الحميدة.. متمش بنفس العقيدة..

ومتحمل كثيراً من أجل مجد الله.. بنفس حكمة الله..

وفيما عدا هذا، يبدو أنه كان لأريوس مجموعة أخرى من الأشعار لكل مناسبة من مناسبات الحياة[(14)]. (كما أشار بذلك أثناسيوس) فى المجموعة التى تسمى "البحرية"، "الرحى" "الرحلة".. الخ.

ووفقاً لما يقوله أثناسيوس فإن كل هذه القصائد قد دبجت بلهجة ونغمة داعرة مثل التى كان يكتب بها سوتيادوس أشعاره القومية.. كانوا يتغنون بها فى مأدبهم بضجيج ضخب وعبث..

تعاليم أريوس:

لا يتضح من تعاليم أريوس تناسقاً فى كل ما وصلنا من نصوصه حيث أن بعضها كانت تخفى وراءها واقع الأمر وحقيقته. إذ كانت تعاليمه مضللة.. ويبدو هذا جلياً فى رسالته إلى أسقف نيقوميدية، وفى باقته الشعرية "ثالثا". ولم تقتصر تعاليمه هذه على مدرسة واحدة، كما قال كثيرون – أى أنها لم تنطلق لا عن وحدانية الله الكتابية التى أعتنقها الأنطاكيون المتطرفون الذين أعتقدوا بأن الابن تهذب وتشكل بهبوط قوة إلهية مجردة على يسوع..، كما أنها لم تنطلق عن فكرة الوحدانية التى أعتنقها السكندريون المتطرفون الذين أعتقدوا بأن هذه الوحدانية الإلهية اتسعت لتحوى كل الموجودات الإلهية، بل هى نشأت عن فلسفة الوحدانية. وحيث أن أريوس كان موحداً متطرفاً فإنه أراد أن يؤكد أن الله كان واحداً وأنه فى نفس

الوقت متحول. أن حل وحدانية الله إنما سيعنى تمييز الله إلى أب وابن. أما حل التحول إنما سيكون بواسطة خليقة هذا العالم. وهو أمر سئ فى كل الأحوال.

وبحسب هذه الأفكار، فإن الله واحد، غير مولود وحده، سرمدى وحده، ليس له بداية وحده. الحقيقى وحده، الذى له الخلود وحده[(15)]. وبجانب الله، لا يوجد كائن آخر.. ولكن عن طريقه توجد قوة عامة (لا شخصية) هى "الحكمة والكلمة".. وهذه التعاليم مأخوذة عن "الوحدانية المقتدرة" التى لبولس الساموساطى. ولكن فكره اللاهوتى يوضح إعتماداً أكثر على "المدافعين". وتأثيرات "الغنوسيين". فيما أن الله كان واحداً فهو لم يكن أباً "الله لم يكن دائماً أباً. أما فيما بعد فقد صار أباً".

ولقد صار الله أباً عندما أراد أن يخلق العالم. عندئذ خلق كائناً واحداً. هذا الكائن أسماه الابن، ويسمى استعاريا الكلمة أو الحكمة.

إذن فحسب تعاليم أريوس توجد حكمتان:

1- قوة الله الواحدة العامة.

2- وكائن إلهى ذاتى واحد. وهذا الكائن هو الحكمة الثانية الذى جاء إلى الوجود من العدم. ومن ثم فهو مخلوق. إذ يقول "كلمة الله ذاته خلق من العدم.. وكان هناك وقت ما حينما لم يكن موجوداً. وقبل أن يصير لم يكن موجوداً.. بل أنه هو نفسه أول الخليقة لأنه صار" ويقول أيضاً "الله وحده كان وحده دون أن يكون هناك الكلمة والحكمة.. ومن بعد ذلك عندما أراد أن يخلقنا عندئذ بالضبط خلق شخصاً وهو الذى دعاه الكلمة والابن، وذلك كى يخلقنا بواسطته"[(17)]. ولكى يؤيد تعاليمه استخدم نصاً خاصاً اقتبسه من سفر الأمثال: "الرب أقامنى أول طرقه.." (أم8:22)، وكان أوريجانوس من قبل قد تحدث عن "خضوع الابن"، كما تحدث عن "ميلاد الكلمة الأزلى" وهنا أخذ أريوس الجزء الأول فقط من تعايم أوريجانوس، وذلك عندما أضطر فيما بعد أن يقر "بالميلاد قبل الدهور" مفسراً ذلك بأنه يعنى فقط الزمن الذى سبق خلقه العالم.

فعند أريوس. يبدأ هذا العالم بخلق الابن، عندما بدأ الزمن أيضاً أن يوجد.. والابن هو المولود الأول ومهندس الخليقة.. ومن المستحيل عنده أن يعتبر الابن إله كامل. ويعتبر أن معرفته محدودة لأنه لا يرى الآب ولا يعرفه.. والأمر الأكثر أهمية أنه يمكن أن يتحول ويتغير كما يتحول ويتغير البشر.. "وبحسب الطبيعة فإنه مثل جميع الكائنات، هكذا أيضاً الكلمة ذاته قابل للتغيير والتحويل ولكن بنفس أرادته المطلقة، طالما أنه يرغب فى أن يبقى صالحاً.. حينئذ عندما يريد فإنه فى استطاعته هو أيضاً أن يتحول مثلنا، حيث أن طبيعته قابلة للتغير"[(18)].

أن بولس الساموساطى استعمل اصطلاح "القدرة على الاكتمال الذى أتخذ منه أريوس كل تعبيراته.. وفقاً لتعليمه وهو أن المسيح هو ظهور بسيط للكلمة فى إنسان. ومن ناحية أخرى فهو يعتبر إنسان كامل فقط وليس إله كامل.. وبالتالى فإن الأبن يمكن أن يدعى الله إستعارياً فقط. وهو نفس الأسم الذى يمكن أن يدعى به البسطاء من الناس أيضاً حينما يصلون إلى درجة كاملة من الروحانية والأخلاق.. وهنا يتضح كل تعليم هرطقة "التبنى Adoptionism" عن المسيح.

النتيجة الأولى لهذا التعليم:

هو أن الإيمان بالثالوث يتلاشى ويذوب.. بالطبع تحدث أريوس أيضاً عن الثالوث إلا أنه اعتبره أنه قد صدر متأخراً ولم يكن أصلياً وأزلياً. لأنه وفقاص لتعليمه فإن الآب وحده كان إلهاً أزلياً.

أما النتيجة الثانية:

فهى أن الحياة الجديدة للإنسان التى صيغت كنتيجة لتأنس الكلمة، لا تتكون نتيجة تأليه بل بواسطة سمو روحى وأخلاقى.. وبهذا يتمكن أى شخص أن يقول أن هذا الموقف قد اقتبسه أريوس من المدافعين[19] الذين وفقاً للتقاليد نشأوا من مدارس فلسفية. وكانوا قد أتخذوا موقفاً مماثلاً عن الحياة الجديدة.. إلا أن موقف "المدافعين" يجد له مبرراً بسبب العصر الذى عاشوا فيه والعالم الذى كانوا يتوجهون إليه بالحديث. أما فيما يتعلق بأريوس فإن الموقف يظهر ركود أفكاره التى ولو أنها كانت حادة. إلا أنها خالية من الحركة والعمق.

ونتيجة لتعاليم أريوس بقوله أن كلمة الله مخلوق وقوله عن المسيح أنه انسان مؤله (بضم الميم وفتح الواو). بسسبب كمال روحى وخلقى. هذه التعاليم نجم عنها نزاع شديد زعزع أركان الكنيسة والدولة الرومانية.. أن البدعة الأريوسية لم يتم تنظيمها بطريقة سرية مثل غيرها من البدع والهرطقات. بل دخل فى صفوفها رجال رسميين فى الكنيسة وفى الدولة. وهددت بالاستيلاء على التنظيم الكنسى بأكمله.. وقد أستمرت المصالحة السياسية التى تبعت ذلك حتى موت أريوس وقسطنطين بدون أن تكون على حساب قرارات مجمع نيقية – وذلك عن طريق تفسيرهم المتباين والمؤول بطريقة يشوبها الالتباس.. إلا أن تعاليمهم لم تأت بنتائج. وذلك لأن زعماء الأرثوذكسية لم يقبلوا أريوس فى الكنيسة وذلك بسبب إعترافاته المشتبه فيها.. حقاً إنه أثناء هذه الفترة لوحظ تقدم ملحوظ فى الحركة التى قادت أيضاً إلى تفوق طفيف للأريوسية. وفى الواقع أن الأريوسيين – بواسطة سلسلة المجامع التى أشرفوا عليها بأنفسهم – نجحوا فى تنحية وأبعاد الرؤساء من خصومهم بإتهامات باطلة واهية. وهؤلاء الرؤساء هم أوستاتيوس الأنطاكى عام 330م. وأثناسيوس الاسكندرى عام 335م، وماركيلوس الانقيرى عام 336م.

ساءت الأحوال بعد وفاة قسطنطين الكبير، لأن حاكم الشرق قسطنديوس، فرض الأريوسية على المناطق التى كان يحكمها.. أما بعد وفاة أخيه قسطنس عام 350م، فقد فرضها على جميع أنحاء الامبراطورية.. وسحق هذا الحاكم نشاط معارضيه ومقاوميه الأرثوذكسيين وانشغل بإحلال أساقفة أريوسيين بدلاً من الأساقفة الشرعيين فى أهم مراكز الشرق وبعض جهات الغرب.

وبعد وفاة قسطنديوس أنهار فجأة بناء الأريوسيين الشامخ. لأن يوليانوس الذى كان يدين بالعقيدة الوثنية عامل جميع المذاهب المسيحية معاملة متساوية. وعندئذ عاد المنفيون إلى أماكنهم. وبدأت الأرثوذكسية فى أعادة تنظيم شملها. مما جعلها تسود وتنتصر. وقد وصلت إلى أكبر درجة من السيادة أثناء حكم الامبراطور الأرثوذكسى يوفيانوس...

الفرق الأريوسية:

كان البناء الأريوسى فى عهد قسطنديوس على الأقل، يبدو عظيماً فى الظاهر.. إلا أنه كان من البدء عملاً مزعزعاً. وذلك ليس فقط لأنه حصل على قوته من عناصر كنسية منشقة، ولكن أيضاً لأن إتجاهه اللاهوتى لم يكن متحداً.. فإن جميع الأريوسيين رفضوا اصطلاحات

مجمع نيقية.. ولكن ليس لأجل الاسباب دائماً.. لذا فإن الخلافات فيما بينهم انكشفت وتحددت عند كثيرين منهم عن طريق موقفهم من اصطلاحات هذا المجمع.

ولقد استخدم أباء مجمع نيقية فى قانون الإيمان إصطلاح؟ هومو أوسيوس" أى "الواحد فى الجوهر مع .. أو المساوى فى الجوهر لــ..". وأرادوا أن يثبتوا بهذا الاصطلاح أن الابن مع الآب هما واحد. وأن هذا الجوهر هو كيان أساسى واحد.. وأضاف نفس الآباء بعد قانون الإيمان – بسبب المحرومين – نصاً قالوا فيه بأن الابن "ليس من هيبوستاسيس آخر" أى " ليس من جوهر أخر".. وهكذا فقد أغضب الاصطلاح الاول الأريوسيين المتشددين، أما الإصطلاح الثانى فقد أغضب الأريوسيين المعتدلين.. (أو أنصاف الأريوسيين Semi – arians) ويبدو أن القانون دبجه لاهوتى غربى من المحتمل أن يكون "هوسيوس" أسقف قرطبة. وكلمة "Hypostasis"[(20)] "هيبوستاسيس" فيه هى ترجمة للكلمة اللاتينية" Substantia" إلا أنه فى الغرب – نظراً لعجز اللغة اللاتينية حيث كانت كلمة Substantia تعنى كلاً من "أوسيا" Oucia أى الجوهر أو الكيان. وكلمة "هيبوستاسيس" Hypostasis أى القوام أو الأقنوم. لذا أوضح أباء نيقية وحدة تشابه هذين الاصطلاحين لأنهم كانوا يخشون لوأنهم اعترفوا باثنين هيبوستاسيس (أى قوامين) – أن يتهموا بأنهم يقبلون الاعتراف بجوهرين أى يكونوا مثل الأريوسيين.

1- الأريوسيون المعتدلون:

كان الأريوسيون المعتدلون (Semi – Arians) أوريجانيين قدامى وكان يتزعمهم أسقف قيصرية أوسابيوس، وهم الذين قبلوا بتعاطف عن رضى تعليماً واحداً يرتكز على النظرية الأوريجانية الخاصة بخضوع الابن، هؤلاء أصروا على التمييز المشدد بين الآب والابن.. ورفضوا أيضاً اصطلاحى مجمع نيقيا واعتبروهما سابيليان. ولأنهما لم يردا بين نصوص الانجيل.. إلا أنهم كانوا على استعداد لقبول معنى "التساوى فى الجوهر Omooucios" لكن بتعبير مخالف.. لهذا تمسكوا بالتعبير "مماثل للآب فى كل شئ"[(21)].

وبعد موت أوسابيوس قام باسيليوس أسقف أنقيرا وجورجيوس اللاوديكى بتنظيمهم. وتميزوا بوضوح أكثر من الأريوسيين الآخرين. وذلك فى مجمع ميديولانوس عام 355م. حيث أنهم قبلوا "تماثل الجوهر" أو التشابه فى الجوهر "هوميوأوسيوس" الأمر الذى من أجله أطلق عليهم اسم "هوميوأوسيين" وكانوا يختلفون عن القائلين "بالتساوى فى الجوهر" أى "الهوموأوسيين" قليلاً، ولذلك أطلق على النزاع بينهم أنه نزاع على لا شئ.

2- الأريوسيون المتشددون:

هؤلاء كانوا على عكس المعتدلين. وهؤلاء المتشددون كانوا قد نشأوا عن اللوكيانيين الذين قبلوا تعليم "بدعة التبنى".. وكان يرأسهم فى البدء أوسابيوس النيقوميدى. وفيما بعد أوسابيوس القسطنطينى. وهذا الفريق تشدد فى الفصل بين الآب والابن بدرجة أكبر.. وان كانوا أحياناً يخفون أراءهم لاسباب تنظيمية. إلا أنهم كانوا متشددين.. وبعد موت أوسابيوس هذا فى عام 341. برز بين صفوفهم "ايتيوس" الانطاكى الذى اندفع إلى تعليم أريوس الأشد تطرفاً من أجل تكوين فريق أريوسى جديد. وهذا الفريق الجديد تشكل بطريقة أكثر تنسيقاً على يد تلميذه "يونوميوس". أن المنتمين إلى هذا الفريق وضعوا مناهج وأساليب متكاملة.. وتدخلوا بفكرهم ليفحصوا جوهر كل الكائنات. بما فيها الله أيضاً.. وزعموا أن جوهر الله هو فى عدم الولادة.

أما جوهر الابن فهو فى كونه مولود.. ومن ثم فإن جوهرى الآب والابن ليسا فقط لم يكونا شبيهين بل نقيضين تماماً.. ولكى يؤكدوا تمييزهم لله الآب بفرادة خاصة وحده. أعتادوا أن يمارسوا المعمودية بغطسة واحدة فقط بدلاً من ثلاثة غطسات.

4- بسبب التباين بينهم، تشكل فريق ثالث بإيحاء من الامبراطور قسطنديوس. هو فريق "الاوميويين" أى (الشبيهيين) وهؤلاء استخدموا الإصطلاح "أوميوس OMIOS" (أى شبيه أو مثيل)، ألا أنهم لم يكن لاهوتهم الخاص.. بل – بحسب الظروف – كانوا ينحازون لفريق أو لأخر. وقد أدى ذلك إلى إضفاء تفسيرين على كلمة "أوميوس OMIOS" فصار من الممكن أن تعنى أما "تشابه الجوهر" أو تشابه المشيئة.. وأتخذ مشايعو هذا الفريق لزعامتهم أساقفة الحدود الشمالية أمثال أورساكيوس السنجدونى، وأولتتاس المورصى... وكذلك أكاكيوس القيصرى، وهؤلاء فرضوا وجهات نظرهم فى المجمع الذى أنعقد فى سرميوس عام 359م.

مواجهة الأريوسية:

هز الأريوسيون أرجاء الكنيسة بسبب الطريقة التى ظهروا بها، حيث أنهم – على وجه الخصوص – نشروا وفرضوا أفكارهم بكل ضرب من ضروب البدع الغريبة على ذلك العصر. فهم لم يستعينوا فقط بالأحاديث الدينية، وتحرير الرسائل اللاهوتية ونشر عقائدهم على هيئة أفكار منتظمة قانونية، كما تأمر بذلك "أحكام الرسل" بل كما سبق أن قيل أيضاً، فإنهم استخدموا كذلك اشعارهم الغنائية التى كانوا يتغنون بها فى كل مناسبة.. أما سلاحهم الأكثر مضاء وصلابة، فكان استغلالهم للقوى السياسية التى أقحموها للتدخل – لأول مرة – فى شئون الكنيسة الداخلية, وهكذا أبعدوا خصومهم بوسائل عنيفة.. وأرغموا أثناسيوس على أن يبارح كرسيه خمس مرات.. وفى مرتين منها أقاموا أساقفتهم على هذا الكرسى.. وكان تفوقهم الساحق أكثر ثباتاً واستقروا فى أنطاكيا، بعد عزل الأسقف أوستاتيوس عام 330م.. وفى عام 360 أقاموا هناك صديقهم ميليتيوس الذى ما لبث أن أعرب فى الحال عن اتجاهه إلى قانون إيمان نيقيا..

أما فى أسيا فكان نفوذهم أقل، ولو أن موقفهم هناك كان أكثر هدوءا، الأمر الذى لأجله كان موقف الأرثوذكسيين مرناً..

وفى القسطنطينية – على مدى أربعين سنة – خلف أربعة أساقفة أريوسيين الواحد الآخر.. وهكذا عندما صار غريغوريوس الثيئولوغوس أسقفاً للقسطنطينية أستقر فى بيت صغير للصلاة (Chapel)، لأن الأريوسيين كانوا قد أستولوا على جميع الكنائس، ولكن غريغوريوس خلص القسطنطينية منهم.. وفى الغرب حصلوا على نجاح محدود حيث أستولوا فقط على بعض مراكز هامة قليلة مثل المديولانيين وذلك لعدة سنوات قليلة فقط.. إلا أنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى كرسى أسقفية روما.

وكانت حالة المسيحية فى ذلك العصر تثير الحزن والأسى. فبينما أعطيت لها الفرصة لأول مرة لكى تمد كرازتها فى كل مكان، اضطر قادتها أن يهملوا ذلك قهرا. واضطروا للإنشغال بأمور عقائدية دقيقة.

كانت شوارع الاسكندرية تعج بإستمرار للاشتراك بالاساقفة الذين، أما كانوا يفدون نحو منفاهم وأما كانوا يتوجهون للاشتراك فى المجامع غير المكتملة. وفى وسط هذه المحازفات والمخاطر أظهرت قيادة الأرثوذكسية شجاعة مقترنة بدبلوماسية تجاه مضطهديهم، كما أظهرت تمسكاً شديداً بالتقليد والإيمان المسلم.. فكانوا أما ينادون بعقائدهم وينفون بسببها واما كانوا يحافظون على هذه العقائد ويمكثون فى أماكنهم كى يصونوا الإيمان الأرثوذكسى الذى لا يطفأ، ومن حول هؤلاء كانت خلايا المؤيدين المخلصين تصارع وتتصادم من أجل عقيدة مجمع نيقية.

ان مسئولية الدفاع عن هذه العقيدة كان لها أولاً: مجموعة القادة الأول: الكسندروس السكندرى. وأوستاتيوس الأنطاكى، وهوسيوس القرطبى.

ثم بعد ذلك بقليل وقع عبء الدفاع عن عقيدة نيقية على اكتاف القديس أثناسيوس الكبير الذى أدار النضال طيلة خمسين عاماً تقريباً.. معضداً أيضاً من الأباء الآخرين أمثال كيرلس الأورشليمى وسرابيون أسقف تيميس، وديديموس الضرير، وهيلاريوس البكتافى وأخيراً الآباء الكبادوكيين العظام: باسيليوس أسقف قيصرية وغريغوريوس الثيئولوغوس وغريغوريس النيصصى، أن هؤلاء اللاهوتيين – باستنادهم على حجج وبراهين من الكتاب المقدس والتقاليد الشرعية الصحيحة – قاموا بتجريد لاهوت أريوس من غطائه المتستر بالكتاب المقدس. وكشفوا أن الآريوسية إنما هى دراسة فلسفية جافة وعميقة تظهر الله بدون حياة أو حركة..

كشف أثناسيوس الكبير أن تعاليم أريوس أدت إلى أمرين غير لائقين:

أولهما: أنه أذاب التعليم بالثالوث القدوس ولاشاه، وفتح الطريق أمام الاعتقاد بتعدد الآلهة، إذ أنه سمح بعبادة المخلوق.

وثانيهما: أنه قلب "بناء الخلاص" كلية. فإن المخلص الذى أخذ على عاتقه خلاص البشرية يلزم أن يكون هو نفسه حاصلاً على ملء اللاهوت، ما دام قد أخذ على عاتقه أن يؤله الإنسان. فكيف يكون من الممكن أن الكلمة الذى يقوم بعمل التأليه لا يكون واحداً فى الجوهر مع الله؟ إن قمة براهين أثناسيوس هى أن المسيح لم يصر أبناً لله كجزاء لكماله الأدبى بل على العكس فإنه هو الذى إلهنا (بتشديد اللام) (أى جعلنا الها). فيقول أثناسيوس "لذلك إذن فالمسيح لم يكن انساناً وفيما بعد صار إلهاً، بل أنه كان إلها ثم صار إنساناً لكى يؤلهنا" (المقالة الأولى ضد الأريوسيين فقرة 39).

وعلى الرغم من صرامته وحزمه لم يكن أثناسيوس متصلباً بل كان يعرف كيف يتدبر الأمر بتفهم وتسامح.. وعندما تخلص من الضغط السياسى الخطير عرض المشكلة بحذر ويقظة أكثر. ووضع موقف الأرثوذكسيين تحت الفحص. وعندئذ تحقق من قصور وعجز حججهم وسعى لكى يجد لها علاجاً.. فإن المطابقة المشار إليها سابقاً بين الاصطلاحين "اوسيا" (أى الجوهر). و"هيبوستاسيس" (أى القوام) صارت مقبولة فى الغرب بدون اعتراض. ولكن فى الشرق رأى كثير من اللاهوتيين أن فيها خطر البدعة "السابيلية". وأدرك أثناسيوس هذه الحيرة وقام بحركة توفيق فعالة أثناء مجمع الاسكندرية عام 362م حيث أقر بأن كل من لا يرغب فى الإعتراف بصيغة "الاوموأوسيوس" (أى المساواة أو الوحدة فى الجوهر)، ولكنه يقبل فى نفس الوقت بوحدة "الآب والابن فإنه يوجد على الطريق المستقيم. وقام بخطوة عوطة التسليم بالمبدأ الشرقى للثالوث مع التفريق بين معنى الاصطلاحين "أوسيا"، و"هيبوستاسيس" مع إضافة معنى "طريقة الوجود الخاص بالكيان" إلى "الهيبوستاسيس".. وهكذا فإن الله يكون

من جوهر واحد ولكنه يوجد فى ثلاث أقانيم (هيبوستاسيس) أو أشخاص (بروسوبا)، وهذه الصيغة توسع فيها أكثر الأباء الكبادوكيوسن بعد ذلك.. ومن ذلك الوقت فتح الباب أمام جماعة "الهوميواوسيين". وأن غالبية الذين رجعوا وانضموا إلى أتباع مجمع نيقيا الأرثوذكسيين، وصلوا أيضاً بعد ذلك إلى قبول مبدأ "الهوموأوسيوس" (التساوى أو الوحدة فى الجوهر) ولكن البعض من هؤلاء لم يكونوا على استعداد لقبول الاعتقاد بمساواة الروح فى الجوهر أيضاً (أى مع الآب والابن) .. ولهذا السبب ضمن مجمع نيقيا ضمن قانون الإيمان. مجرد عبارة "وبالروح القدس" بدون أية خاصية أو صفة أخرى، وكان هؤلاء يعتقدون بثنائى فقط فى الله بدلاً من الثالوث. ولهذا أطلق عليهم أسم "أعداء الروح" ولأنه كان يتزعمهم "مقدونيوس" . الذى جرده "الأوميوون" من رتبته. لهذا أطلق عليهم أيضاً أسم "المقدونيون". وهؤلاء حكم عليهم بواسطة مجمع أنطاكية سنة 379م. والمجمع المسكونى الثانى بالقسطنطينية سنة 381م. ولكى يتجنب الاباء أى مخاطرات جديدة أو أى إساءة فهم للأمور. فانهم لم يستخدموا فى هذا المجمع الآخير أى اصطلاحات مثيرة، مثل "الهوموا وسيوس" بل استخدموا عبارات متباينة وهى عبارات توضح "المساواة فى الكرامة". وهم فى هذا قد أتبعوا السياسة الحكيمة التى كان يسير عليها باسيليوس الكبير. ثم أصدر الامبراطور ثيئودوسيوس قراراً بوضع حد لهذا الصراع داخل امبراطوريته، فكانت النهاية الحاسمة، مما أدى إلى الاعتراف بشكل دينى واحد وهو المسيحية الأرثوذكسية التى أقرها "داماسوس" أسقف روما. "وبطرس" أسقف الاسكندرية. وبالتالى أنضم غالبية الآريوسيين إلى الكنيسة، أما البقية الذين تخلفوا فقد أنضموا على التوالى إلى بدع وهرطقات أخرى، وخاصة أنضموا إلى النسطورية وهى البدعة التى حاولت أن تنقص من ألوهية المسيح بطريقة أخرى.

[(1)] قارن 1 تيمو1:20 و 2 تيمو 2:17 هيمينايس والاسكندر هما اثنان من المعلمين المبتدعين فى المسيحية الأولى، اللذين حرمهما بولس الرسول من الخدمة فى الكنيسة لأنهما آمنا وعلما بأن القيامة قد صارت.

[(2)] سوتيادس شاعر يونانى قديم من مارونيا، ذاع صيته أيام حكم بطليموس فيلاديفوس. وكان موضوع أشعاره من الميثولوجيا اليونانية ذات الأسلوب الفاضح الوقح، ولذلك سمى بالشاعر الداعر.

[(3)] ابنة هيروديا، كانت قد ابهجت صدر هيرودس برقصاتها المغرية لدرجة أنها أخبرته أن يقدم لها رأس يوحنا السابق على طبق أنظر متى 14:1 – 12، مر6:17 – 29.

[(4)] الثاليا هى أشعار وقصائد ألفها أريوس بهدف نشر هرطقته بما فيها من تعاليم خاصة.

[(5)] يبدو أن القديس أثناسيوس يشير إلى أن البعض كان يطلق على المؤمنين المستقيمى الرأى اسم أثناسيوس، لكى يجدوا بهذا مبرراً لأنفسهم وهم يسمون أتباعهم، وأن يعتبروا أنفسهم مسيحيين.

[(6)] أنظر (يوئيل 2:25) حيث يشير الى الجراد والطيار بلقب "جيش الله العظيم".

[(7)] يقصد مجمع نيقية المسكونى الأول الذى أنعقد سنة 325م.

[(8)] كان الامبراطور قسطنديوس يحمى الأريوسيين ولذلك فإنه نفى أثناسيوس مرتين فى عامى 340، 356.

[(9)] مز 2:1.

[(10)] يو 1:1.

[(11)] رؤ 1:4.

[(12)] يو 1:20.

[(13)] 1كو1:24.

[(14)] أى أن القوة منسوبة للآب وخاصة به. ولكنه لم يقل أن الاب نفسه هو القوة ذاتها. بل أن الابن هو قوة الاب (المعرب).

[(15)] 2 كو3:17.

[16] كو 17:1.

[17] مت 27:11.

[18] أش 28:40.

[19] دانيال (سوسنة 42).

[20] باروخ 20:4.

[21] باروخ 22:4.

[22] عب 3:1.

[23] مز 17:89.

[24] مز 10:35 (فى ترجمة جمعية الكتاب المقدس مز 9:36).

[25] مز 13:144 (أى مز 13:145).

[26] يوحنا 12:8.

[27] يو 14:10.

[28] يو 12:8.

[29] يو 13:13.

[30] تكوين 5:2 (الترجمة السبعينية).

[31] تث 8:22.

[32] يو 29،28:14.

[33] أم 23:8 – 25 (السبعينية).

[34] يو 58:8.

[35] أرميا 5:1.

[36] مز 89 (90): 1 – 2.

(37) دانيال (سوسنة42).

(38) يو 3:1.

(39) أمثال 1:18.

(40) يوحنا 14:16.

(41) متى 5:17.

(42) يوحنا 18:5.

(43) 2بط 4:1.

(44) 1 كو 16:3.

(46) أنظر 2 كو7:5.

(47) ارميا 13:2.

(48) ارميا 13،12:17.

(49) باروخ 12:3.

(50) يو 6:14.

(51) ام 12:8.

(52) اش 11:58.

(53) مز24:103 (السبعينية) مز24:104 في الطبعة الشائعة.

(54) أم 10:3.

(55) يو 3:1.

(56) 1 كو6:8.

(57) يو 6:14.

(58) أم 30:8 (السبعينية).

[59] كان أوسابيوس أسقفاً لنيقوميدية وكان زميلاً لأريوس فى مدرسة لوسيان بأنطاكية وظل صديقاً له على الدوام. وأخـذ على عتقه أن يقول بتأييد آريوس تأييداً مطلقاً بعد أدانته بواسطة المجمع المسكونى الأول (نيقية 325) وعمل بجد عملاً متواصلاً لأجل قبول آريوس من جديد فى الكنيسة وعلى الرغم من عدم نجاحه فى ذلك، فان الأريوسية تدين لـه بأنها لم تتلاشى وتختف فوراً بل ظلت كخطر داهم جسيم لفترة طويلة على الكنيسة.

[60] أنظر رو23:1.

[61] أفسس 15:3.

[62] يو 1:1.

[63] عب 3:1.

[64] رو 5.

[65] كان بولس الساموساطى أسقفاً لانطاكية (260 – 268) وأدين فى عام 268 بعد سلسلة من المجامع التى من خلالها ظهر ضلال عقائده.

وحسب تعليم هرطقته اعتبر أ، المسيح كان مجرد انساناً عادياً ثم صار الها بسبب جدارة عظمة شخصيته التى استحقها بسبب التبنى (ولذلك) سمى مشايعوه باسم أصحاب التبنى وهكذا أنكر الساموساطى تعليم الثالوث القدوس وتعليم التجسد ولكنه اعترف فقط أن المسيح أفضل من موسى والأنبياء.

[66] الآباء الأساقفة الـ 318 الذين اجتمعوا فى المجمع المسكونى الأول فى نيقية، والذى أدان الهرطقة الأريوسية.

[67] كان أستيريوس مثل أريوس وأوسابيوس النيقوميدى، تلاميذ لوكيانوس الأنطاكى. وقد تبع استيريوس التعاليم الأريوسية وكتب لهم دستور عقيدتهم، وقد لعب دوراً هاماً فى نشر الأريوسية بواسطة رحلاته المستمرة التى كان يقوم فيها بالدعاية للآريوسية.

[68] اللغة اليونانية تستعمل أداة التعريف قبل المضاف وقبل المضاف إليه والمقصود "قوة الله وحكمة الله" (المعرب).

[69] أى التى من الآب (المعرب)

[70] مز71 فى الترجمة السبعينية ويقابل مز17:72 ، مز5:72).

[71] أى بحسب كونه الابن الذى من ذات الآب (المعرب).

[72] كانت المانوية مماثلة لمذهب الغنوسية (أى مذهب العارفين. وهم المسيحيون الذين يعتقدون أن الخلاص بالمعرفة دون الإيمان). وكانت المانوية تؤمن بالمبدأ الثنائى: فالعالم تحكمه قوتان مضادتان: النور والظلام، والخير والشر. الله والمادة وبحسب أعتقادهم أن المسيح قد صلب لأن لديه فى داخله عنصر خاضع للألم والمعاناة.

[73] أساء أهل تسالونيكى فهم محتويات رسالة الرسول بولس الأولى الموجهة إليهم بخصوص مجئ المسيح الفجائى، وتركوا أعمالهم فى انتظار المجئ الثانى، لذلك أضطر الرسول أن يكتب إليهم الرسالة الثانية كى يهدئ خواطرهم، معلنا لهم العلامات التى ستسبق هذا المجئ.

[74] كان المسيحيون المتهودون يعملون على غواية الغلاطيين، وكان هؤلاء المتهودون يعتبرون الاحتفاظ بشريعة موسى والختان ضرورة ملحة للمسيحية وكتب بولس رسالته إليهم – خاصة لأجل دحض وجهة النظر هذه.

[75] فالنتينوس هو المثل الرئيسى للغنوسية فى القرن الثانى وبحسب مذهبه أن العالم نشأ من الإله الأعلى بواسطة سلسلة لا نهائية من الآلهة الوسطاء – أى الدهور. وقد وصلت إلينا أخبار هذه الهرطقة أساساً من أيريناوس وهيبوليتوس.

أما كاربوكراتوس: فقد كان فيلسوفاً من الأسكندرية تأثر كثيراً بأفلاطون أكثر من غيره من الغنوسيين، وكان يعلم بأن الله غير المولود هو أبو الملائكة والأرواح، وبعض من هؤلاء الملائكة هم خالقوا العالم – وبحسب مذهبه ولد يسوع أبناً طبيعياً من مريم ويوسف رغم أنه أكث براً من كل البشر.

[*] فى مواضع أخرى من المقالات الأربعة فسر القديس أثناسيوس هذه الآية وآيات أخرى مشابهة بمعنى أن الآب أعظم من جسد الأبن. (المقالة 7:3) (المغرب).

[1] نسبة إلى سابيليوس صاحبة البدعة السابيلية المعروفة بأسمه، والذى ظهر فى روما أوائل القرن الثالث. والسابيلية تعلم بأن الآب والابن والروح القدس هم شخص واحد وليس ثلاثة أقانيم. فنقول "أن الآب أعطى الناموس فى العهد القديم، ثم ظهر هو نفسه بأسم الابن فى التجسد، وبعد أن أختفى المسيح بالصعود ظهر هو نفسه باسم الروح القدس. أى أن الثالوث هو ثلاث ظهورات متوالية فى التاريخ لشخص واحد، وليس ثلاثة أقانيم لهم جوهر واحد (المعرب).

[2] أنظر "حياة قسطنطين لأوسابيوس المؤرخ" (61:2) والتاريخ الكنسى لسقراط (7:1).

[3] أوسابيوس فى حياة قسطنطين (64:2).

[4] التاريخ الكنسى لسقراط (9:1) بوفيريوس هو أحد فلاسفة "الافلاطونية الجديدة" الوثنيين قرب نهاية القرن الثالث. هاجم المسيحية بعنف وخاصة هاجم ألوهية المسيح (المعرب).

[5] الرسالة الدورية إلى الأساقفة بقلم أناسيوس 5:18.

[6] باناريون معناها سلة الخبز.

[7] التاريخ الكنسى لثيئودوريتس (4:1) أنظر "باناريون" لابيفانيوس (6:69).

[8] "أثناسيوس عن المجامع" 16.

[9] "باناريون" لابيفانيوس (7:29).

[10] "ايلاريوس عن الثالوث" (12:4، 5:6هـ).

[11] "التاريخ الكنيسى لسقراط" (26:1).

[12] التاريخ الكنسى لسوزومينوس" (27:2).

[13] أثناسيوس ضد الأريوسيين (1:5–6).

[14] أثناسيوس عن مجمع نيقية 16 – فيلوستورغيوس التاريخ الكنسى (2:2).

[15] أريوس فى رسالته إلى الكسندروس وجدت فى كتاب أثناسيوس عن المجامع 16.

[17] المرجع السابق.

[18] "ثاليا" كما جاء فى أثنايوس ضد الأريوسيين مقالة 1:5.

[19] هم معلمى الكنيسة الذين قاموا بالدفاع عن المسيحية والمسيحيين أمام الأباطرة الوثنيين. وأمام الفلسفات الوثنية المعاصرة وأحياناً ضد الهجمات اليهودية. خلال القرنين الثانى والثالث، ومن أشهر المدافعين يوستيتوس. وتاتيان واتيناغوراس وأوريجانوس (المعرب).

[20] كلمة "هيبوستاسيس **Hyposasis**" اليونانية تعنى القوام، أو الأساس – أو ما يقف عليه الشئ – "الدعامة" أو طبيعة الشئ، أو الشخص، أو أقنوم (المعرب).

[21] أوسابيوس: رسالة إلى كنيسته فى كتاب "التاريخ الكنسى لسقراط".

[17] المرجع السابق.

[18] "ثاليا" كما جاء فى أثنايوس ضد الأريوسيين مقالة 1:5.

[19] هم معلمى الكنيسة الذين قاموا بالدفاع عن المسيحية والمسيحيين أمام الأباطرة الوثنيين. وأمام الفلسفات الوثنية المعاصرة وأحياناً ضد الهجمات اليهودية. خلال القرنين الثانى والثالث، ومن أشهر المدافعين يوستيتوس. وتاتيان واتيناغوراس وأوريجانوس (المعرب).

[20] كلمة "هيبوستاسيس **Hyposasis**" اليونانية تعنى القوام، أو الأساس – أو ما يقف عليه الشئ – "الدعامة" أو طبيعة الشئ، أو الشخص، أو أقنوم (المعرب).

[21] أوسابيوس: رسالة إلى كنيسته فى كتاب "التاريخ الكنسى لسقراط".